المملكة العربية السعودية
Kingdom of Saudi Arabia

جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل
IMAM ABDULRAHMAN BIN FAISAL UNIVERSITY

وزارة التعليم
Ministry of Education
043

عمادة الدراسات العليا | Deanship of Graduate Studies

أسلوب (ألا) و (أما) في صحيح مسلم بين المقام والدلالة

دراسة مقدَّمة إلى قسم اللُّغة العربية استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص البلاغة والنقد

إعداد الطالبة:

فايزة بنت صاهود بن محمد السبيعي

إشراف:

د. منى فهد أحمد النصر

١٤٤٠هـ-٢٠١٨م

(أسلوب (الأ) و (أمّا) في صحيح مسلم بين المقام والدلالة)

أعدتها / الطالبة

(فايزه بنت صاهود محمد السبيعي)

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٦ / ٤ / ١٤٤٠هـ وتم إجازتها .

المشرف

د. منى بنت فهد أحمد النصر

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم	التوقيع
١. د. منى بنت فهد أحمد النصر	
٢. د. أحمد علي عبدالعزيز يوسف	
٣. د. ضحى عادل بلال	

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث، أحمد الله –عز وجل– على نعمه التي منَ بها علينا فهو العلي القدير، كما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير:

إلى الشمعة التي أنارت طريقي

إلى من مهدت لي طريق العلم

إلى من تطلعت لنجاحي بنظرات

الأمل

إلى الأصل الذي ينسب لها كل ما أنا عليه

(أمي الحبيبة)

إلى من كان عوناً وسنداً لي في بحثي

ونوراً يضيء الظلمة التي كانت تقف في طريقي

إلى رفيق دربي في هذه الحياة

(زوجي الحبيب)

إلى القلوب الرقيقة الطاهرة التي ساندتني دائماً

(إخوتي)

فلهم مني كل الشكر والتقدير، فلولا وجودهم لما وصلت إلى ما وصلت إليه.

كما لا أنسى أن أتقدم بأرقى وأثمن عبارات

الشكر والعرفان لأستاذتي د/ منى النصر

على ما قدمته لي من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث.

المقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا، وبعد:

يتناول البحث أسلوب (ألا) و(أما) في الحديث النبوي، وهو من الموضوعات التي لم يتعرض لها البلاغيون بشكل دقيق، ولم يفردوا لها مباحث وفصولاً خاصة؛ ولأجل هذا يحاول هذا البحث الكشف عن أسرار هذا الأسلوب من الناحية البلاغية؛ لإبراز تفوقه ﷺ في بيانه وبلاغته.

وهذا ما ألحَّ عليه كل من درس بيانه الشريف، وما أجمعوا عليه من تفوق كلامه على كلام غيره من الناس، فهو في الطبقة العليا، لا يدانيه كلام ولا يقاربه وإن انتظم أي انتظام[١].

يقول الجاحظ –رحمه الله– في وصف بيانه الشريف ﷺ: «لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقسط لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى، من كلامه ﷺ»[٢].

وبالنظر إلى ما نبَّه إليه أهل العلم من أن أسلوب التنبيه يعد من أقوى آليات لفت النظر وجذب الانتباه؛ لاسيما إذا جاء في مفتتح الخطاب.

وهذا يدخل ضمن ما تحدَّث عنه شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله– في قوله: «وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلًا، مثل إعلامك له بعد التنبيه والتقدمة له؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام»[٣].

ومن هنا تكمن أهمية هذا الأسلوب، وضرورة العناية به، وإفراده بالدرس والتحليل في البيان النبوي الشريف؛ إسهامًا في تعميق دراستنا للبلاغة النبوية، والكشف عن أسرار بيانها الشريف، وإبراز الفوارق المائزة بينها وبين سائر بيانات البشر.

---

(١) ينظر: الطراز، العلوي، ١٦٠/١.
(٢) البيان والتبيين، ١٤/٢.
(٣) دلائل الإعجاز، ١٣٢/١.

ولما كان أسلوب (ألا، وأما) مطردًا في صحيح مسلم؛ سواء في توجيهاته الشريفة ﷺ وأوامره لصحابته الكرام ﷺللحث على القيام بالأحكام الشرعية؛ وذلك لإثارة الانتباه واليقظة في نفوسهم، فهو يعد خصيصة من خصائص لغة بيانه الشريف، ومن ثم كان جديرًا بأن تفرد له دراسة مستقلة على غرار غيره من الأساليب الإنشائية المفيدة لهذا الغرض، حتى تتجلى مقوماته الجمالية الجذابة، ويتم الكشف عن خصائصه البلاغية.

ويضاف إلى ما سبق أن اجتماع أسلوب (ألا، وأما) مع غيرهما من الأساليب البلاغية كالاستفهام، والشرط، والقسم... وغيرها، قد يترتب عليه تنوع الدلالات والمعاني البلاغية؛ ففي طياتها ما يدعو لتأملها، والغوص في دقائقها، وذلك في ظل سياقاتها ومقاماتها.

وقد كان لاختيار هذا الموضوع أسبابه، أولها: الإسهام في خدمة لغة أفصح البشر، رسولنا الكريم ﷺ الذي يعد حديثه جزءًا من سنته المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله.

وثانيهما: أنه لم يفرد البلاغيون مبحثًا مستقلًا لهذا الأسلوب كما فعلوا في الأساليب الأخرى، إنما ورد ذكره عندهم ضمن مبحثي الاستفهام والتمني[١].

كما أنَّ هذا الأسلوب لم يدرس دراسة بلاغية استقصائية في البيان النبوي؛ لذا فقد جمعتُ الأحاديث النبوية المبنية على هذا الأسلوب في صحيح مسلم، وقد بلغ عددها مئة وسبعة عشر حديثًا من دون الروايات المتعددة للحديث الواحد، ومئة وسبعة وأربعين حديثًا مع الروايات المتعددة، ومن ثم دراستها دراسة بلاغية تحليلية.

الدراسات السابقة للبحث، هي:

- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس الأوسي، الناشر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٨٨م.

وقد تناول الباحث في تلك الرسالة أسلوب (ألا) في أربعِ صفحات فقط[٢]، عرض أبرز معاني (ألا) كما نص عليها النحاة، أما أسلوب (أما) فقد ذكره الباحث في سطر واحد فقط[٣]، ومن هنا يمكن القول بأن تلك الدراسة

---

(١) ينظر: الخطاب الطلبي، هناء محمود شهاب، ١٠٤.
(٢) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس الأوسي، ٥٠٢- ٥٠٥.
(٣) المرجع نفسه، ٥٠٧.

تختلف اختلافًا جذريًا عن بحثي، سواء من ناحية عدد الصفحات المختصة بدراسة أسلوب (ألا)، أو من ناحية تناول بعض معاني هذا الأسلوب بمعزل عن السياق الوارد فيه.

– التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه، د. بسيوني فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

وهي دراسة موسعة لطرق التنبيه والتشويق في الحديث النبوي ، أجاد فيها صاحبها في تناول أسلوب التنبيه، تحت عنوان: التشويق بأدوات التنبيه، ولكنه تناول أسلوب التنبيه في ثماني صفحات[١] فقط، وقد حصرت الشواهد التي درسها تحت هذا الباب وتبيَّن أن الأحاديث المتقاطعة مع بحثي أربعة فقط .

– الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف – دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، د. هناء محمود شهاب، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.

تناولت الباحثة فيها موضوع أساليب الطلب في صحيح البخاري، وتطرقت لأسلوب (ألا) في الفصل الخامس تحت عنوان: خطاب العرض والتحضيض في الحديث الشريف[٢]، وتناولت فيه أسلوب: (ألا) و(هلا) و(لولا) و(لوما)، ولم تتطرق إلى أسلوب (أما)، كما أن عدد أحاديث هذا الفصل التي تتقاطع مع بحثي ثمانية أحاديث فقط، وهذا لا يكفي في الإحاطة بأسراره وجماليات التعبير به، فضلًا عن أن هذه الأحاديث من صحيح البخاري، ومع ذلك فإن لهذه الدراسة الكثير من المحاسن والمزايا، والبحوث العلمية تكمل بعضها بعضًا.

---

(١) التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، ٦٥–٧٢.

(٢) الخطاب الطلبي، هناء شهاب، ٢٠٣– ٢١٨.

– أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف دراسة لغوية بيانية في الموطأ، الباحث: محمد سعيد عبدالله، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

تناول الباحث في هذه الدراسة أساليب الطلب في الموطأ، وخصص أسلوب (ألا) بالدراسة في الفصل الرابع، وهو بعنوان: النداء وأساليب الطلب الأخرى في المبحث الثاني تحديدًا، وقد بين فيه الفرق بين العرض والتحضيض وتناول أسلوب (ألا) دون (أما)، في صفحتين فقط[١]، فضلًا عن أن أحاديث هذه الدراسة في الموطأ وأحاديثي في صحيح مسلم.

خطة البحث:

واقتضت طبيعة البحث أن تكون وفق خطة تقوم على تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

التمهيد ويشمل: التعريف بالإمام مسلم، ومكانة كتابه الصحيح، ومصطلح (المقام) في البلاغة العربية، أصوله وأهميته في الدرس البلاغي.

الفصل الأول: أسلوب (ألا) في صحيح مسلم، وقفت في المبحث الأول مع (ألا) وتأصيلها، وأثرها في النظم، أما المبحث الثاني فقام على دراسة مدخولات (ألا) في صحيح مسلم، وأسرارها البلاغية

الفصل الثاني: أسلوب (أما) في صحيح مسلم، في المبحث الأول: وقفت مع (أما) تأصيلها، وأثرها في النظم، وفي المبحث الثاني: درست مدخولات (أما) في صحيح مسلم، وأسرارها البلاغية.

الفصل الثالث: مقامات أسلوب (ألا) و(أما) في صحيح مسلم دراسة موازنة، في المبحث الأول: ذكرت مقامات استخدام أسلوب (ألا) و(أما)، وأنواع المخاطبين بها في صحيح مسلم. وفي المبحث الثاني: قارنت بين

---

(١) ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف في الموطأ، محمد سعيد، ١٧١، ١٧٢.

أسلوبي (ألا) و(أما) في صحيح مسلم، حيث تحدثت فيه عن كل أداة على حدة، مبينًا خصائصها التركيبية، ومعانيها البلاغية من خلال كل أداة.

واختتم البحث بخاتمة موجزة تضمَّنت أهم النتائج.

وقد جاءت هذه الفصول متفاوتة في حجم مادتها،؛ نظرًا لطبيعة هذا الأسلوب (ألا، أما) وعدد شواهد كل منهما؛ إذ بلغ عدد أحاديث (ألا) اثنين وسبعين حديثًا دون تكرار، أما عدد أحاديث (أما) فقد بلغ أربعة وثلاثين حديثًا دون تكرار.

منهج البحث:

هو المنهج التحليلي القائم على دراسة خصائص هذا الأسلوب من خلال الحديث الذي ورد فيه، مع الأخذ بالاعتبار المقام والدلالة، وأحوال المخاطبين؛ لإبراز جماليات التعبير فيه.

وحرصت على إيراد الحديث كاملًا؛ وذلك لما للسياق المقالي من أثر في كشف المعنى، كما لم أغفل الروايات المتعددة للحديث الواحد، فيما يخص جملة أسلوب التنبيه.

وأخيرًا: فأرجو من الله أن أكون وفِّقت في هذا العمل بقدر ما بذلت فيه من جهد وعناء، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله تعالى، وأن أخطأت فحسبي أني اجتهدت، أسأل الله التوفيق والسداد في الدارين.

التمهيد

أ. التعريف بالإمام مسلم، ومكانة كتابه الصحيح.

ب. مصطلح (المقام) في البلاغة العربية: أصوله وأهميته في الدرس البلاغي.

أولًا: التعريف بالإمام مسلم:

اسمه:

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الحفاظ[١]، من أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة وحفاظ الأثر.

مولده:

اختلف العلماء في تاريخ ولادته[٢]، والراجح هو القول الذي يذهب أصحابه إلى أن ولادته كانت سنة ٢٠٦هـ (٨٢١م) ذهب إليه ابن الصلاح نقلًا عن أبي عبدالله الحاكم ،عن شيخه ابن الأخرم الحافظ، وكان قريب العهد جدًا من مسلم، فقد توفي الإمام مسلم وعمر ابن الأخرم إحدى عشرة سنة، وهو من بلده، وذهب أكثر عمره في جمع المستخرج على مسلم، وهو اختيار ابن الصلاح والنووي، الذين اشتدت عنايتهم بالإمام مسلم ومصنفاته[٣].

بيئته:

نشأ في أسرة كريمة، وتأدَّب في بيت علم وفضل، فكان أبوه ممن يتصدرون حلقات العلم؛ لذا عني بتربية ولده وتعليمه، كما قال محمد بن عبدالوهاب الفراء –تلميذ الإمام مسلم–: «كان أبوه الحجاج من المشيخة»[٤]، ولا شك أن

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ١٩٥/٥.

(٢) قال الإمام الذهبي: إنه ولد في سنة ٢٠١هـ، وذكر بروكلمان أنه ولد سنة ٢٠٢هـ، ونقل قولًا يفيد أنه قد ولد سنة ٢٠٦هـ ولم ينسبه إلى قائل، وقال الذهبي في كتبه: « إن ولادته كانت سنة ٢٠٤هـ » ولكنّه لم يجزم بهذا الرأي، ولكن جزم به ابن كثير وغيره، وقيل: إنه ولد سنة ٢٠٦هـ، وهو قول الحاكم النيسابوري فيما سمعه من ابن الأخرم، وهذا يتضمّن ما قاله ابن الصلاح: أن مولده كان في سنة ست ومائتين. ينظر: العبر، الذهبي، ٣٧٥/١؛ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ١٧٩/٣؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي،١٢٥/٢؛ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي، ٢٥٨/٢؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤/١١؛ صيانة صحيح مسلم، ابن الصلاح، ٦٢/١.

(٣) ينظر: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، محمد عبدالرحمن طوالبة، ١٧.

(٤) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٢٧/١.

هذا الوسط العلمي الطيب من شأنه أن يكون دافعًا نحو حلقات التعليم؛ فنشأ شغوفًا بالعلم، مجدًا في طلبه، محبًا للحديث النبوي.

عاش الإمام مسلم بنيسابور وهي من أهم مراكز علوم الحديث، واشتهرت بعلوم الأسانيد حتى وصفها الذهبي بـ(دار السنة والعوالي)[١]، وكان صاحب تجارة[٢] بخان بحمس بنيسابور[٣]، ولما كانت التجارة في نيسابور آنذاك دائمة، فقد درَّت عليه مهنته خيرًا كثيرًا وله أملاك وثروة، أحسن استغلالها في بذل الخير للناس[٤]، ولم تكن تجارته عائقًا في تعليمه للناس وطلبه للعلم، بل على العكس كان يحدث الناس كثيرًا في متجره عن أحاديث الرسول ﷺ، وكان لها أثر كبيرٌ في تعدد رحلاته وتطوافه في البلاد الإسلامية؛ طلبًا للعلم .

رحلته في طلب العلم :

أقبل الإمام مسلم منذ صغره على سماع الحديث وحفظه، وأول سماعه سنة ثماني عشرة ومائتين[٥]، أي: وعمره اثنتا عشرة سنة، ومن البدهي أن يبدأ بالسماع عن شيوخ مدينته نيسابور قبل أن يتكبَّد الرحلة للمدن البعيدة ذات العناء، والمشقة، والكلفة، وأول من سمع له يحيى بن يحيى التميمي[٦]، ومن الشيوخ الذين سمع منهم بنيسابور أيضًا: قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم[٧]، ورحل في طلب الحديث إلى جميع محدثي الأمصار، فرحل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وأخذ عن شيوخها من مشايخ البخاري وغيرهم[٨].

صفاته وفضائله:

---

(١) ينظر: منة المنعم، المباركفوري، ١.
(٢) ينظر: العبر، الذهبي، ٣٧٥/١.
(٣) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ٢٧٢/٣.
(٤) ينظر: العبر للذهبي، ٣٧٥/١.
(٥) ينظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي ١٢٥/٢.
(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٥٨/١٢.
(٧) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ١٧١/١٢.
(٨) ينظر: الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد محمد أبو زهو، ٣٥٦.

كان الإمام مسلم حسن الوجه، والثياب، تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخي طرف عمامته بين كتفيه[١]، وهو من الأئمة الأفذاذ النوابغ المبرزين في الحفظ، والإتقان، وسعة العلم، والإدراك، إلى جانب ما يتميز به من شجاعة ووفاء، فهو يقف دائمًا مع الحق وأهله في الشدائد، فقد وقف مع الإمام البخاري ينصره ويذود عنه متحدّيًا خصومه، وله مواقف برزت فيها عزته وكرامته[٢]، فقد كان صدوقًا، محسنًا للناس، وصفه الذهبي بأنه كان محسن نيسابور[٣].

وبلغ الإمام مسلم منزلة رفيعة في العلم، حتى أجمع العلماء على جلالته وإمامته وعلو مرتبته في صناعة الحديث، قال فيه شيخه محمد بن عبدالوهاب الفراء: «كان مسلم من علماء الناس، وأوعية العلم ما علمته إلا خيرًا »[٤]، وكانت له حلقه علمية يجتمع فيها الطلاب، يدرسون عليه الحديث في وطنه، وأيضًا في رحلاته العلمية[٥].

ومن مشايخه: الإمام أحمد بن حنبل، وحرملة بن يحيى تلميذ الشافعي وصاحبه، وخلائق كثيرون، وتتلمذ عليه كثيرون أيضًا، منهم: الإمام أبو عيسى الترمذي، وابن خزيمة، ويحيى بن صاعد، وعبدالرحمن بن أبي حاتم، وإبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد، وهو راوية صحيح مسلم[٦].

كتابه:

اسم الكتاب:

ذكر الإمام مسلم اسم كتابه في عدة مواضع وسماه: (المسند الصحيح)[٧]؛ لالتزام الصحة فيه، والاسم العلمي له هو: (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ)، ومعظم المترجمين له

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٢٧/١٠.
(٢) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٠٣/١٣.
(٣)ينظر: العبر، الذهبي، ٣٧٥/١.
(٤) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٢٧/١٠.
(٥) ينظر: أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، الخطيب محمد عجاج، ٢٠٧.
(٦) ينظر: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، د/هـ.
(٧) ينظر: صيانة صحيح مسلم، ابن صلاح، ٦٧.

يقتصـــــــرون علـــــــى وصـــــــفه بـــــــ (الصـــــــحيح)، ومـــــــنهم مـــــــن وصـــــــفه بـ (الجامع) كالحافظ بن حجر[١].

عدد أحاديثه:

اختلف العلماء في عدد أحاديثه، فقيل: «صنّف مسلم كتابه من ثلاثمئة حديث مسموعة، واستغرق في تهذيبه وتنقيحه خمس عشرة سنة»[٢]، وقيل: إن «عدد أحاديث صحيح مسلم دون المكررات ثلاثة آلاف وثلاثون حديثًا، ويبلغ ما فيه من طرق الأحاديث المختلفة نحو عشرة آلاف حديث»[٣].

مزاياه ومكانته:

حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط، لم يحصل لأحد مثله، وتلقاه العلماء بالقبول، وأفادوا منه الكثير، واستنبطوا الأحكام العامة والخاصة منه، واحتجوا بكل ما ورد فيه في المنابر، وكتب الفقه، والتفسير، والسيرة؛ وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى، وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريين فلم يبلغوا شأوه[٤].

بل إن من العلماء من يفضّله على البخاري، ومنهم أبو علي الحسين النيسابوري، حيث يقول: «ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث»[٥]، وقال الذهبي: «هو كتاب نفيس كامل في معناه»[٦].

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ١٣٣/٧.
(٢) منة المنعم، المباركفوري، ١٦.
(٣) أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، ٢٠٧.
(٤) ينظر: فوائد في علوم الحديث وكتبه وأهله، أبو العلي المباركفوري، ٣٨٣.
(٥) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٠١/١٣.
(٦) سير الأعلام، الذهبي، ٥٦٨/١٢.

رتَّبه الإمام مسلم على أبواب الفقه، وهي طريقة المحدِّثين، واشتمل على (خمسة وخمسين) كتابًا في الطهارات والعبادات، والعقود، والعقوبات الشرعية، والأقضية، والجهاد، والفضائل، والأخلاق (الآداب) والعقيدة، والتفسير، والفتن...، وكان يجمع طرق الحديث في مكان واحد، بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة؛ لتعُمَّ الفائدة، ويمكن الاستنباط، ويسهل تناول كل ما يتعلق بالحديث رواية ودراية[١].

وفاته:

توفي مسلم بن الحجاج –رحمه الله– عشية يوم الأحد، ودُفِن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومئتين، وكان لموته سبب غريب، فقد عُقِد له مجلس للمذاكرة، وذُكِر له حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج، وقال لأهله: لا يدخل أحد الليلة عليَّ، وقد أهديت له سلة من تمر، فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث، ثم يأكل أخرى ويكف عن آخر، فلم يزل ذلك حتى أصبح، وقد أكل تلك السلة، وهو لا يشعر، فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض حتى كانت وفاته[٢].

ثانيًا: المقام:

وعي القدماء بمصطلح المقام:

المقام لغة: بفتح الميم موضع القدمين، والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه، والمُقامة بالضم: الإقامة، والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس، وقول لبيد:

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بمنًى تأبَّد غَولُها فَرِجَامُهَا[٣]

---

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ص أ/ب/ج.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤/١١، ٣٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٨٠/١٢؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ١٩٥/٥؛ تهذيب الأسماء واللغات، الإمام النووي، ٩٢/٢؛ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أحمد بن عبدالله صفي الدين، ٣٧٥؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف الحنفي، ٣٣/٣؛ تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٢٧/١٠؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن أبو الحجاج، ٥٠٧/٢٧؛ طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، ٣٣٩/١.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه، ١٦٣.

يعني: الإقامة، وقوله عزّ وجل : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ ﴾[١] قيل: المقام الكريم هو المنبر[٢]، والمقام والمقامة: المجلس، ومقامات الناس: مجالسهم، ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس: مقامة، والمقامة والمقام: الموضع الذي تقوم فيه[٣].

ومن استقراء النصوص السابقة تبيَّن أن مفهوم المقام يدور حول معنى المجلس، والمكان، والجماعة من الناس.

استعمال العلماء القدماء مصطلح (المقام):

يرتبط المقام عند العرب بمعنى القيام، فقد جرت عادة البلغاء والخطباء أن يلقوا خطبهم وينشدوا أشعارهم وهم قيام، فارتبط الكلام بالقيام، فأصبحوا يقولون: قام بها خطيبًا[٤]، وقام فينا خطيبًا[٥]، ثم قام فأمَّ الناس[٦]، يقول ابن رشيق عن هذا القيام: «فأما قيامه وجلوس اللحون[٧] فلأن هذا متشوَّف إليه، يحب إسماع من بحضرته أجمعين، بغير آلة ولا معين، ولا يمكنه ذلك إلا قائمًا أو مشرفًا، وليدلَّ على نفسه، ويعلم أنه المتكلم دون غيره، وكذلك الخطيب، وصاحب اللحون لا يمكنه القيام لما في حجره كرامة منه على القوم، على أن منهم من كان يقوم بالدف والمزهر»[٨].

يقول الجاحظ: « وقد أصاب كل الصواب الذي قال (لكل مقام مقال)»[٩]، والمراد من هذه العبارة المشهورة في كتب البلاغة والتي تضرب مضرب الأمثال هو مناسبة الكلام للحال الذي أطلق فيه هذا الكلام حتى يكون الكلام بليغًا، فـ« قبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلّمين في خطبة، أو رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته، أو في حديثه إذا تحدَّث، أو خبره إذا أخبر، كذلك فإنّه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب، وألفاظ العوامّ وهو في صناعة الكلام داخل، ولكلّ مقام مقال، ولكلّ صناعة شكل»[١٠]، فلفظة (المقام) درجت على ألسنة أهل البلاغة لما كانوا بسبيله من معالجة مطابقة الكلام للمقام، ويظهر إدراكهم لأهميته اشتراطهم مطابقة الكلام

---

(١) سورة الدخان:٢٦.
(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٩٨/١٢؛ الصحاح ، الجوهري، ٢٠١٧/٥؛ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي، ١١٥٢/١؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٦٨/٢.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٥٠٦/١٢.
(٤) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٢٣٠/١.
(٥) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٢/١.
(٦) العمدة، ابن رشيق، ٣٠/١.
(٧) أي: صاحب الموسيقى.
(٨) العمدة، ابن رشيق، ٢٦/١.
(٩) الحيوان، الجاحظ، ١٩/٣. وينظر أيضًا: ١٣٢/١.
(١٠) الحيوان، الجاحظ، ١٧٥/٣.

لمقتضى الحال، ومن ذلك ما وجد فيما نقله الجاحظ عن بشر بن المعتمر، حيث يقول: «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»[١].

ويؤكد السكاكي على اختلاف مقامات الكلام بعضها عن بعض؛ إذ يقول: «ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع، شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال»[٢].

ويستخدمون ألفاظًا توازي لفظة المقام، مثل: الحال، زمان الإخبار، دلالة الحال، الأحوال المشاهدة، والمطابقة، والاقتضاء... إلخ[٣]؛ كمصطلح مقتضى الحال في علم المعاني، فهذا القزويني يعرِّف علم المعاني بقوله: «هو علم يُعرَف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال»[٤]، ويرد مصطلح الحال من خلال مباحثه أيضًا: أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة[٥]، كذلك ربطوا بين مباحث علم البيان والمقام، فالتشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية يكون جمالها مع مطابقتها لمقتضى الحال، ولا يقل علم البديع ارتباطًا بالمقام من علمي المعاني والبيان، فالتورية، والمبالغة، والتعريض، وتأكيد المدح بما يشبه الذم...إلخ، لا تكون إلا بعد مطابقة مقتضى الحال.

إذن كان القدماء على إدراك تام بالمقام وماهيته، ووعي بمفهومه كما هو في الدراسات الحديثة، مع ميلهم لاستخدام مصطلح الحال .

أنواع المقام (الحال) في البلاغة العربية:

تنبهت البلاغة العربية إلى الأحوال المختلفة التي يخضع لها الأسلوب، وما ينبغي مراعاته، وقد بيَّن حازم القرطاجني ذلك بقوله: « والأقاويل الشعرية أيضًا تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ١٢٩/١.
(٢) مفتاح العلوم، ٢٥٧/١.
(٣) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ، ١٣١/١؛ مفتاح العلوم للسكاكي، ٢٥٧/١.
(٤) الإيضاح، القزويني، ٥٢/١.
(٥) ينظر: الإيضاح للقزويني ٥٥/١.

يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل، التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه، أو التي هي أعوان للعمدة، وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول فيه»[١]، وقال في موضع آخر: « وإذ قد تبين أن الكلام يهيأ للقبول من جهة ما يرجع إليه، وما يرجع للقائل، وما يرجع للمقول فيه، والمقول له، فواجب أن يعلم أن للكلام في كل مأخذ من تلك المآخذ، التي بها تغتر النفوس لقبوله، هيئات من جهة ما يلحقه من العبارات، وما يتكرر فيه من المسموعات...»[٢].

١ – حال المتكلم نفسه:

من المباحث الأولى التي تناولها البلاغيون (أحوال المتكلم)، فهي العنصر الأساس في صناعة البيان، وقد وجدت في صحيفة بشر بن المعتمر أمرًا خاصًا بهيئة المتكلم البليغ؛ إذ يقول : « خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك؛ فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرف حسبًا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكلّ عين وغرّة ، من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول، بالكد والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة...»[٣].

وقد أشار القاضي الجرجاني إشارة واضحة إلى تأثير شخصية المتكلم على النص اللغوي، وذكر تباين مقامات التعبير الشعري عند الأشخاص: « وقد كان القومُ يختلفون في ذلك، وتتباينُ فيه أحوالهم، فيرقّ شعرُ أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّر منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع، وتركيب الخلْق؛ فإن سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة. وأنت تجدُ ذلك ظاهرًا في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الجافي الجِلْف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعْر الخطاب، حتى إنك ربما وجدتَ ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك، ولأجله قال النبي ﷺ : (مَنْ بَدا جَفا) [٤] ولذلك تجد شعر عَديّ –وهو جاهلي– أسلسَ من شعر الفرزدق ورجَز رؤبة وهما آهلان؛ لملازمة عديّ الحاضرة وإيطانه

---

(١) منهاج البلغاء، ٣٤٦.
(٢) المرجع نفسه، ٣٤٧.
(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، ١٢٩/١.
(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ، والطبراني في الجامع الصغير : ١١٢/٢.

الريف، وبُعده عن جلافة البدْو وجفاء الأعراب، وترى رقةَ الشعر أكثرَ ما تأتيك من قِبَل العاشق المتيّم، والغزِل المتهالك؛ فإن اتفقت لك الدماثةُ والصّبابة، وانضاف الطبعُ إلى الغزل؛ فقد جُمِعت لك الرقةُ من أطرافها»[١].

وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى حال المتكلم في عملية الإبداع الأدبي، يقول: «إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة، ولكن من حيث توخى فيها (النظم) الذي بيَّنا أنه عبارة عن توخِّي معاني النحو في معاني الكلم... وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر بقائله... فكما لا يشتبه الأمر في أنَّ الديباج لا يختص بناسجه من حيث الإبريسم، والحلي بصائغها من حيث الفضة والذهب، ولكن من جهة العمل والصنعة، وكذلك ينبغي أن لا يشتبه أن الشعر لا يختص بقائله من جهة أنفس الكلم وأوضاع اللغة »[٢].

وينص السكاكي في تعريف البلاغة على المتكلم: «أن البلاغة بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»[٣].

ويقول الخطيب القزويني: «وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»[٤].

وأصناف المتكلم وأحواله كثيرة جدًا، فهناك المتكلم الذي يعاتب نفسه، وهناك المتكلم الذي يهجو نفسه، وهناك المتكلم الذي يرثي نفسه... إلخ.

٢- حال المخاطب (المتلقي):

ومن أبرز عناصر المقام وأكثرها أهمية في الموقف التخاطبي والذي يجب أن يراعى عند تبليغ الكلام هو (المخاطب)، فهو المستهدف من الخطاب، وقد أدرك البلاغيون أهميته وقيمته واعتنوا به من خلال ما أسموه مراعاة حال المخاطب، ومن ذلك ما ذكره بشر بن المعتمر في صحيفته، حيث قال: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ١/١٧، ١٨.
(٢) دلائل الإعجاز، ٣٦٢.
(٣) مفتاح العلوم، السكاكي، ١٧٦.
(٤) الإيضاح، القزويني، ١/٤٠.

المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[١].

ومن أهم ما ورد في ضرورة مراعاة حال المخاطب قول الجاحظ: «حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك، قال: وجعل ابن السماك يومًا يتكلم، وجارية له حيث تسمع كلامه، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه، قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه»[٢].

ويؤكد الجاحظ في موضع آخر ضرورة مراعاة مقتضى الحال وبيئة المخاطبين عند صياغة الرسالة اللغوية في قوله: «ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم»[٣].

ومفهوم مراعاة مقتضى حال المخاطب كان ظاهرًا، حيث تحدَّث عنه قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) في أقسام المدح أن المدح يختلف بحسب الممدوحين، يقول: «وينبغي أن يعلم أن مدائح الرجال، وهي التي صمدنا الكلام فيها في هذا الباب، تنقسم أقسامًا بحسب الممدوحين من أصناف الناس في الارتفاع والاتضاع، وضروب الصناعات، والتبدّي والتحضّر، وأنه يحتاج إلى الوقوف على المعنى بمدح كل قسم من هذه الأقسام... وأما مدح ذوي الصناعات، فأن يمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة، فإن انضاف إلى ذلك الوصف بالسرعة في إصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الإبطاء لطلب الإصابة، كان أحسن وأكمل للمدح... وأما مدح القائد فيما يجانس البأس والنجدة، ويدخل في باب شدة البطش والبسالة، فإن أضيف إلى ذلك المدح بالجود والسماحة والتخرق في البذل والعطية، كان المديح حسنًا، والنعت تامًا، إذا كان لهم السخاء أخا الشجاعة، وكان في أكثر الأمور موجودين في بعداء الهمم وأهل الإقدام والصولة... وأما مدح السوقة من البادية والحاضرة، فينقسم قسمين

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ١٣١/١.
(٢) البيان والتبيين للجاحظ، ١٠٥/١.
(٣) المرجع نفسه، ٩٥/١.

بحسب انقسام السوقة، إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب، وإلى الصعاليك والخراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم»[١].

والفكرة ذاتها وهي مراعاة حال المخاطبين وظروف الخطاب، نجدها عند العسكري وهو يقول: «فأوّل ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكاتبة كلّ فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوّتهم في المنطق، والشاهد عليه أن النبيَّ ﷺ لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس كتب إليهم بما يمكن ترجمته، فكتب: من محمد رسول الله إلى كسرى إبرويز عظيم فارس: (سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، فأدعوك بداعية الله، فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافة، لينذر من كان حيًا، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإثم المجوس عليك)، فسهّل ﷺ الألفاظ كما ترى غاية التسهيل؛ حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية، ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخّم اللفظ؛ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم لسماع مثله، فكتب لوائل بن حجر الحضرمي: (من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة[٢] من أهل حضرموت، بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، على التّبعة الشاة، والتّيمة لصاحبها، وفي السّيوب الخمس؛ لا خلاط ولا وراط، ولا شناق ولا شغار، ومن أجبى فقد أربى، وكلّ مسكر حرام)»[٣].

كما يشير إلى عنصر من عناصر المقام وهو العلاقة بين المشتركين في الخطاب في قوله : « فأمّا ما يكتبه العمال إلى الأمراء ومن فوقهم، فإنّ سبيل ما كان واقعًا منها في إنهاء الأخبار، وتقرير صور ما يلونه من الأعمال، ويجرى على أيديهم من صنوف الأموال أن يمدّ القول فيه، حتى يبلغ غاية الشفاء والإقناع، وتمام الشرح والاستقصاء؛ إذ ليس للإيجاز والاقتصار عليه موضع، ويكون ذلك بالألفاظ السهلة القريبة المأخذ، السريعة إلى الفهم، دون ما يقع فيه استكراه وتعقيد»[٤]، إذن ينبغي أن يراعي مقام هؤلاء في اختيار الألفاظ ولون الكلام.

كما يزيد الفكرة إيضاحًا ويؤكدها في قوله: « وسبيل ما يكتب به في باب الشكر ألّا يقع فيه إسهاب؛ فإن إسهاب التابع في الشكر إذا رجع إلى خصوصية، نوع من الإبرام والتثقيل، ولا يحسن منه أن يستعمل الإكثار من

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ١/٢٦-٢٨.

(٢) الأقيال : ملوك حمير في اليمن، والعَبَاهِلة هم الذين أُقِرُّوا على مُلْكِهِم لا يُزَالون عنه ، وعَبَاهِلَةُ اليَمَن ملوكُهم الذين أُقِرُّوا على مُلْكهم . ينظر : لسان العرب مادة (عبهل) .

(٣) الصناعتين، العسكري، ١/١٥٤، ١٥٥.

(٤) المرجع نفسه، ١/١٥٧.

الثناء والدعاء أيضًا؛ فإن ذلك فعل الأباعد الذين لم تتقدّم لهم وسائل من الخدمة ومقدّمات في الحرمة، أو تكون صناعتهم التكسّب بتقريظ الملوك وإطراء السلاطين، فلا يقبح إكثار الثناء من هؤلاء»[١].

وأكد ابن قتيبة هذه المراعاة فدعا الكاتب وأوصاه بـ أن« يُنَزّل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيعَ الكلام؛ فإنّي رأيت الكُتَّاب قد تركوا تفقّد هذا من أنفسهم، وخلَّطُوا فيه؛ فليس يفرقون بين من يكتب إليه (فرأيك في كذا) وبين من يكتب إليه، (فإنْ رأيت كذا)، و(رأيك) إنما يُكتبُ بها إلى الأكفاء والمساوين، لا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأستاذِين؛ لأن فيها معنى الأمر، ولذلك نُصِبَتْ، ولا يفرقون بين من يكتب إليه (وأنا فعلتُ ذلك)، وبين من يكتب إليه (ونحن فعلنا ذلك)، و(نحن) لا يكتب بها عن نفسه إلا آمرٌ أو ناهٍ؛ لأنها من كلام الملوك والعظماء»[٢].

ولا يبعد السكاكي عن هذا الفكر، فقد أكَّد على أهمية اختيار أساليب التعبير بحسب حال المتلقين (المخاطبين) وبيئتهم، يقول: « ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن على التنبه لأنواع هذا الجامع والتيقظ لها لا سيما النوع الخيالي، فإن جمعه على مجرى الألف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال، وأن الأسباب لكما ترى على حد تتباين في شأن الجمع بين صور وصور، فمن أسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن، ومن أسباب تجمع بين دسكرة وإبريق وأقران، فقل لي إذا لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر، أنى يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر، حيث يبصرهم الدلائل ناسقًا ذلك النسق ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[٣]، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثم لبعده في خياله عن السماء، وبعد خلقه عن رفعها، وكذا البواقي لكن إذا

---

(١) الصناعتين، العسكري، ١٥٧/١.
(٢) ينظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة، ١٨/١.
(٣) سورة الغاشية:١٧- ٢٠.

وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم، جاء الاستحلاء وذلك إذا نظر أن أهل الوبر، إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة على أكثرها نفعًا وهي الإبل، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب؛ كان جل مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال»[١].

٣- حال الموضوع الذي يتكلم فيه المتكلم:

كان من ثمرة الاهتمام بالمخاطب نزوع البلاغة العربية إلى الوضوح، ونفرتها من كل ما يمكن أن يعوق فهمه أو يؤخِّره، لذلك دعت إلى الوضوح مراعاة لحال المخاطب، وحرصًا على إفهامه، قال الدينوري وهو يشير إلى الإيجاز وينبه إلى مواضعه المناسبة وحالاته الضرورية: «واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول، يريد الإيجاز، وهذا ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محمودًا في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرَّر تارة للإفهام»[٢].

ويضرب ابن قتيبة أمثلة وحالات لذلك فيقول : وليس يجوز لمن قام مقامًا في تحضيض على حرب، أو حَمَالة بدم، أو صلح بين عشائر، أن يُقلِّل الكلام ويختصرهُ، ولا لمن كتب إلى عامَّةٍ كتابًا في فتحٍ أو استصلاحٍ أن يوجز، ولو كتب كاتب إلى أهل بلد في الدعاء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلكّؤُهُ في بيعته: (أمَّا بعد؛ فإني أراكَ تُقدِّم رِجْلًا وتؤخِّرُ أُخرى، فاعتمدْ على أيتهما شئت، والسلام)؛ لم يعمل هذا الكلام في أنْفُسها عملهُ في نفس مروان، ولكن الصواب أن يُطيل ويُكرِّر، ويعيد ويُبدئ، ويُحذِّر ويُنذِرُ»[٣].

إذن لا يقتصر الأمر على مراعاة حال المخاطبين فحسب، بل حتى في الغرض الذي يكتب فيه، فإنه يتحكم في خصائص الكلام، كما يبيِّن العسكري بقوله: «سبيل ما يكتب به التابع إلى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ٢٥٧/١.
(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ١٩/١.
(٣) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ١٩/١، ٢٠.

النّظراء ألا يكثر من شكاية الحال ورقّتها، واستيلاء الخصاصة عليه فيها؛ فإنّ ذلك يجمع إلى الإبرام والإضجار شكاية الرئيس لسوء حاله وقلّة ظهور نعمته عليه. وهذا عند الرؤساء مكروه جدًّا، بل يجب أن يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر والاعتراف بشمول النعمة وتوفير العائدة . وسبيل ما يكتب به في الاعتذار من شيء أن يتجنّب فيه الإطناب والإسهاب إلى إيراد النكت التي يتوهم أنها مقنعة في إزالة الموجدة، ولا يمعن في تبرئة ساحته في الإساءة والتقصير؛ فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء، والذي جرت به عادتهم الاعتراف من خدمهم وخولهم بالتقصير والتفريط في أداء حقوقهم وتأدية فروضهم؛ ليكون لهم فيما يعقبون ذلك من العفر والتجاوز موضع منّة مستأنفة تستدعى شكرًا، وعارفة مستجدّة تقتضى نشرًا، فأما إذا بالغ المتنصّل في براءة ساحته من كلّ ما قذف به فلا موضع للإحسان إليه في إعفائه عن ترك السخط، بل ذلك أمر واجب له، وفي منع الرئيس حصّته منه ظلم وإساءة»[١].

وقد سبق أن السكاكي اعتنى بأهمية الغرض الذي يتكلم فيه البياني، وسأورد كلامه على طوله؛ لدلالته القوية لورود المقام بمعناه ومفهومه، يقول: «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال وإطلاق الحكم؛ فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفًا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريًا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصًا بشيء من التخصيصات؛ فحسن الكلام نظمه على الوجوه

---

(١) الصناعتين، العسكري، ١/١٥٧، ١٥٨.

المناسبة من الاعتبارات المُقدَّم ذكرها، وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والإيجاز معها أو الإطناب، أعني طي جمل عن البين ولا طيها، فحسن الكلام تأليفه مطابقًا لذلك»[١].

وربط ابن رشيق قول الشعر بالمقامات التي يقال فيها: « فأول ما يحتاج إليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحده الكفاية حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنًا من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا... وقد قيل: لكل مقام مقال، وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته، من مدح، وغزل، ومكاتبة، ومجون، وخمرية، وما أشبه ذلك غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين: يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه، وما لم يتكلف له بالًا، ولا ألقى له بالاً، ولا يقبل منه في هذه إلا ما كان محككًا، معاودًا فيه النظر جيدًا، لا غث فيه، ولا ساقط، ولا قلق، وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع»[٢].

كذلك ركَّز الخطيب القزويني على جانب المقام عند تعريف البلاغة، يقول: «وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام... إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا -أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال- هو الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم، حيث يقول: النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام»[٣]، ونلحظ في هذا النص أن القزويني نقل كلام السكاكي ولخّصه واعترف ضمنًا بأن (المقام) هو (الحال)،

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ٢٥٧/١.
(٢) العمدة، ابن رشيق، ١٩٩/١.
(٣) الإيضاح، القزويني، ٤١/١-٤٣.

حيث ردَّ علو البيان والكلام في الحسن والقبول بمراعاة مطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وبذلك نجد أن مصطلحي المقام والحال متقاربان مفهومًا.

ونظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني ما هي إلا تنظير لفكرة المقام، يقول في دلائل الإعجاز: «ومنَ المعلوم أنْ لا معنى لهذه العباراتِ وسائرِ ما يَجْري مَجراها، مما يُفرد فيه اللفظُ بالنعتِ والصفةِ، وينسبُ فيه الفضلُ والمزيةُ إليه دونَ المعنى، غيرُ وصْفِ الكلام بِحُسْنِ الدَّلالة وتمامِها فيما له كانت دَلالةٌ، ثم تَبرُّجِها في صورةٍ هي أبهى وأزْيَنُ وآنَقُ وأَعْجَبُ وأَحقُّ بأنْ تستوليَ على هَوى النفس، وتنالَ الحظَّ الأوفرَ من مَيْل القلوب، وأولى بأن تُطْلِقَ لسانَ الحامدِ، وتُطِيلَ رغْمَ الحاسد، ولا جهةَ لاستعمال هذه الخصالِ غير أنْ تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظُ الذي هو أَخصُّ به، وأَكْشَفُ عنه وأَتمُّ له، وأَحرى بأن يَكسبه نُبلًا، ويظهر فيه مزية»[١].

والشواهد كثيرة على عناية القدماء بمفهوم المقام في البلاغة العربية والنقد العربي، وقد تركَّزت جهود النقّاد القدامى على بيان حقيقته وعناصره والعلاقة بينهما، وكانوا على بصيرة بمصطلح (المقام) ومفهومه منذ القدم، وجهودهم النيرة في ذلك ما كانت إلا لإدراكهم أهميته في الأساليب البليغة، وجاءت عنايتي بتوضيح المقام بهذه التوطئة لدوره في الكشف عن دلالة (ألا) و(أما) في صحيح مسلم.

---

(١) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ٤٣/١.

الفصل الأول

أسلوب (ألا) في صحيح مسلم

توافر التنبيه بـ(ألا) في كلامه كثيراً؛ ولا غرو فهو ﷺ رجل دعوة أرسله الله إلى هذه الأمة بشيراً ونذيراً، وكان حريصاً على إيصال هذه الدعوة إلى الناس كافة، بكل الطرق والوسائل الممكنة، من ذلك أسلوب التنبيه، الذي حرص على توظيفه له في دعوته إلى الله بأحسن صورة، وأبلغ عبارة، وقد تأثر أصحابه به أعمق تأثر، وقد ظهر هذا التأثر جلياً، من خلال سرعة استجابتهم وتمثلهم لتوجيهاتهﷺ كما سيتبين ذلك في الأحاديث الشريفة.

ويعتني هذا الفصل قبل الدراسة التحليلية لـ (ألا) ومدخولاتها في صحيح مسلم، وأسرارها البلاغية، بتأصيل (ألا) وأثرها في النظم، ثم تحليل الأحاديث المبنية على التنبيه بها مبينةً أثر مدخولاتها بلاغياً .

المبحث الأول: تأصيل (ألا) وأثرها في النظم:

إن لأدوات التنبيه أهمية بالغة لذلك كثر دورانها في الكلام؛ فالمخاطب غالبًا ما يحتاج إلى تنبيه؛ لتوجيه فهمه ولفته للاعتناء لما يأتي بعدها من دلالات فلا يفوته المقصود، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾[١]، يقول أبو حيان: «ألا كلمة تنبيه دخلت على الجملتين تنبيهًا للغافل؛ إذ كانوا مشغولين بالنظر إلى الأسباب الظاهرة من نسبة أشياء إلى أنها مملوكة لمن جعل له بعض تصرف فيها واستخلاف»[٢].

ويُعد حرفا التنبيه: (ألا، أما)، من أصناف الحرف، تقول: (ألا إن عمرًا بالباب)، (أما والله لأفعلن)[٣]، وتصدّر بها الجمل حتى لا يغفل المخاطب عن شيء مما يلقى المتكلم؛ لذلك سُمِّيت حرف تنبيه[٤]، وتسميتها بهذا الاسم أولى من تسميتها بحرف استفتاح؛ لأن إضافة الحرف إلى المعنى المختص به في الدلالة أولى من إضافته إلى أمر ليس من دلالته، وإنما إشارة إلى مكانته في الجملة، والتنبيه من دلالة هذه الحروف، بخلاف الاستفتاح، فحروف الاستفهام وحروف التحضيض ونظائرها لا تكون إلا مستفتحًا بها، ولم تسم حروف استفتاح؛ لأنه ليس من دلالتها، وإنما سُمِّيت حروف استفهام وحروف تحضيض لما كان ذلك المعنى مدلولًا لها، كذلك حروف النداء وحروف الشرط وغيرها[٥]، وإن كان جرت على ألسنة العلماء تسميتها حروف استفتاح، يقول أبو حيان: (ألا)، بفتح الهمزة وتخفيف اللام، حرف استفتاح[٦]، ويقول في قوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٧]، « افتتحت هذه الجملة

---

(١) سورة يونس:٥٥.
(٢) البحر المحيط في التفسير، ٧٣/٦.
(٣) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٤٠/٥.
(٤) ينظر: الجامية على الكافية والعصام، الإسفراجني، ٢٠٦/١.
(٥) ينظر: شرح الدماميني على مغني اللبيب المسمى المزج، أبو بكر الدماميني، ٣٥٨.
(٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، ٢١٤/٨.
(٧) سورة الأنعام:٣١.

بـ(ألا) تنبيهًا وإشارة لسوءِ مرتكبهم، فـ(ألا) تدل على الإشارة إلى ما يأتي بعدها، كقوله: ألا فليبلغ الشاهد الغائب»[١].

اللغات الواردة في (ألا) :

من اللغات الواردة في (ألا): إبدال الهمزة (هاء) فتكون (هلا)[٢]، وقيل: الهمزة في (ألا) بدلًا من (الهاء) في (هلا)[٣]، والمالقي يجوز أن تكون (ألا) أصلًا لـ (هلا) ويمنع العكس[٤].

وقد ذكر العلماء فوائد هذه الحروف :

فائدة حرف التنبيه (ألا):

١. تحقيق الكلام بعدها وتوكيده[٥]، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾[٦]، يقول أبو السعود: «صُدِّرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق؛ لزيادة تقرير مضمونها»[٧].

٢. كون الكلام بعده مبتدأ به، فكأنه صار بمعنى (إنَّ)[٨]، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[١٠] .

خصائص الأداة (ألا):

ذَكَرَ العلماءُ لهذه الأداة عدة خصائص، وهي:

أولًا: الصدارة في الكلام:

---

(١) تفسير البحر المحيط، ٤٨٤/٤.
(٢) ينظر: أحرف التنبيه في القرآن، حبيب الله عبدالرحيم، ٤٩.
(٣) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس الأوسي، ٥٠٢.
(٤) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، ١٧٠؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٣٦٢/٣.
(٥) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٤٣/٥؛ مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٥/١؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٢/١.
(٦) سورة يونس:٦٢.
(٧) تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٥٨/٤.
(٨) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي، ١٣٥٦/٢.
(٩) سورة الصافات:١٥١.
(١٠) سورة البقرة:١٣.

« والحروف التي لها الصدارة، لا يقدم ما بعدها على ما قبلها»[١]، أي: أنه حرف يفتتح به الكلام[٢]، ومن هنا سميت حرف استفتاح.

ثانيًا: وجوب كسر همزة (إن) بعدها:

وإن كان في المسألة اختلاف نحوي، فمنهم من قال: يجوز أن تفتح همزة (إن) بعدها كما تفتح بعد حقًا[٣]، ومنهم من قال: يجب أن تكسر همزة (إن) بعدها[٤].

ثالثًا: تختص بدخولها على الجمل:

وتدخل على الجمل مطلقًا سواء كانت اسمية أم فعلية، طلبية أم خبرية[٥]، وسواء كانت الطلبية استفهامًا، أم تمنيًا، أم أمرًا، أم نهيًا، أم غير ذلك[٦]، فمن دخولها على الجملة الفعلية، قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[٧]، والاسمية قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٨] .

رابعًا: دخولها على الجمل المصدرة بما يتلقى به القسم:

واستدلوا به على إفادتها التحقيق؛ لأنه لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم[٩]، مثل قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾[١٠] .

دلالاتها وموقعها في الكلام:

---

(١) الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، ١٤٠/١، ١٤١.

(٢) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي، ١٣٦١/٢؛ لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٤/١٥؛ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ٣٨١.

(٣) ينظر: الجنى الداني، المرادي، ٣٨١.

(٤) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ٥٣/١؛ النحو الوافي، عباس حسن، ٦٤٩/١.

(٥) ينظر: شرح العصام على الكافية، عصام الدين إبراهيم، ٤٦٤؛ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ٣٨١/١؛ الأدوات النحوية، إبراهيم محسن، ٥٤٦.

(٦) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي، ١٣٥٦/٢؛ لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٤/١٥.

(٧) سورة هود:٨.

(٨) سورة يونس:٦٢.

(٩) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام،٦٥؛ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، ٣٣١/١؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٢/١.

(١٠) سورة يونس:٦٢.

ذكر العلماء[١] أن من دلالات (ألا) التنبيه، فهي تنبّه المخاطب على ما تُحَدِّثه به، ومن دلالات (ألا) توكيد مضمون الجملة كما سبق ذكره، سواء كانت الجملة خبرية أم طلبية، وموقعها هو ابتداء الكلام وافتتاحه، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤﴾[٢]، يقول أبو حيان: «(ألا) استفتاح تنبه السامع إلى ما يقال»[٣]، وإذا قصد المبالغة في التنبيه يؤتى به مكررًا، كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ۝٦٠﴾[٤]، وتكرير حرف التنبيه وإعادته للمبالغة تهويلًا لأمرهم، والحث على الاعتبار بقصتهم، والحذر من مثل حالهم[٥].

<u>أغراض ومعان (ألا):</u>

أ- (ألا) البسيطة: التي لو أسقطت من الكلام لم يتغير المعنى أو أضع بدلاً عنها حقاً' يقول أبو حيان: «وعلامة ألا هذه التي هي تنبيه واستفتاح صحة الكلام دونها» [٦]

- **العرض:**

ومعناه طلب الشيء بلين، ويختص بالفعل[٧]، وإن وليها اسم فعلى إضمار فعل، كقوله:

ألا رَجُلًا، جَزَاهُ اللهُ خَيرًا ... يَدلُ على مُحصِلةٍ[٨] تُبيتُ[٩]

يقول الجرجاني: «والعرض قريب من التمني، وذلك قولك: (ألا تنزل فتصيب خيرًا)، كأنه قال: (ألا يكون منك نزولًا فإصابة خير)، ومقاربة العرض للتمني من حيث إنك إذا عرضت عليه النزول فقد حثثته عليه، ولا تحث إلا على ما توده وتتمناه»[١٠].

---

(١) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٤٥/٥؛ مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٥/١، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الرضي، ١٣٥٦/٢.

(٢) سورة فصلت:٥٤.

(٣) البحر المحيط في التفسير، ٣١٧/٩.

(٤) سورة هود:٦٠.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ٢٢٠/٤؛ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ١٧١/٦.

(٦) البحر المحيط في التفسير، ١٠١/١.

(٧) ينظر: المعجم المفصل في الإعراب، طاهر الخطيب، ٥٩؛ لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٤/١٥.

(٨) محصّلة، بكسر الصاد: امرأة تحصل الذهب من تراب المعدن وتخلصه منه، تبيت: أي تبيت تفعل ذلك أي: الفاحشة، وقال بعضهم: يبيت بضم أوله، أي: يجعل لي بيتًا أي: امرأة بنكاح. ينظر: شرح شواهد المغني، السيوطي، ٢١٤/١.

(٩) ينظر: الجنى الداني، المرادي، ٣٨٢/١. وينظر: ابن هشام، ٦٦/١.

(١٠) المقتصد في شرح الإيضاح، ١٦٤/٢.

ويرى السكاكي أن العرض في (ألا) ليس بابًا قائمًا بنفسه، إنما تولد من الاستفهام، يقول: «وأما العرض كقولك: (ألا تنزل تصب خيرًا)، فليس بابًا على حدة وإنما هو من مولدات الاستفهام»[١]، ويرى أيضًا أن (ألا) للتحضيض[٢]، وهي تختص بالفعل[٣].

- **التحضيض:**

ومعناه طلب الشيء بحث، ويختص بالدخول على الجملة الفعلية[٤]، كقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾[٦]، وتحتمل أن تكون للإنكار عدم الأكل أو لحثهم عليه، أو للعرض والتحضيض، يقول أبو حيان: «فيه العرض على الأكل فإن في ذلك تأنيسًا، بخلاف من قدَّم طعامًا ولم يحث على أكله، فإن الحاضر قد يتوهَّم أنه قدَّمه على سبيل التجُّمل، عسى أن يمتنع الحاضر من الأكل...الهمزة في (ألا) للإنكار، وكأنه ثم محذوف تقديره

(فامتنعوا من الأكل)، فأنكر عليهم ترك الأكل فقال: ألا تأكلون»[٧].

ويقول الزمخشري: «الهمزة في (ألا تأكلون) للإنكار: أنكر عليهم ترك الأكل، أو حثهم عليه فأوجس فأضمر»[٨].

- **تأتي بمعنى الجواب:** تكون حرف جواب بقول القائل: ألم تقم؟ فتقول: ألا بمعنى بلى[٩].

ب- (ألا) المركبة[١٠]: وهي التي لو أسقطت من الكلام اختل المعنى، يقول الزمخشري «وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقًا كقوله: ﴿ أليس ذلك بقادر﴾ »[١١].

---

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ١٥٣.
(٢) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٨٩.
(٣) ينظر: المرجع نفسه، ٥٩.
(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، السيوطي، ١٥٩/٢؛ شرح الرضي لكافيه ابن الحاجب، ١٣٥٧/٢؛ مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٦/١.
(٥) سورة التوبة:١٣.
(٦) سورة الذاريات:٢٧.
(٧) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ٥٥٦/٩.
(٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٤٠١/٤.
(٩) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ٥٥٦/٩، وصف المباني في حروف المعاني، المالقي، ١٦٦.
(١٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٤/١٥؛ شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٨٨/٥؛ شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ١٣٥٧/٢؛ مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٥/١؛ شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ٣٤٥/١؛ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس الأوسي، ٥٠٢؛ الجنى الداني، المرادي، ٣٨١/١؛ رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ١٦٦؛ عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، ١٠٦/٣.
(١١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٢/١.

ولها ثلاث معانٍ:

- التمني:

وهو «طلب أمر موهوم الحصول، وربما مستحيل الحصول»[١] كقوله:

أَلا عُمـــرَ وَلَّـــى مُســـتَطَاعٌ رُجُوعُـــه فَيَـــرأَبَ مَـــا أَثـــأَت يَـــدُ الغَفَـــلاتِ[٢]

ولا خفاء أن (ألا) في البيت للتمني في قوله: (ألا عمر)[٣]

ألا ليـــتَ شـــعري هـــل أتـــى أهـــلَ مكـــة إبَارَتُنَـــا الكُفَّـــارَ فـــي سَـــاعَةِ العُسْـــرِ[٤]

- التوبيخ والإنكار: كقوله:

أَلا ارعِـــوَاء[٥] **لِمَـــن وَلَّـــت شَـــبِيبَتُه وآذَنَـــت بِمَشـــيبِ بَعَـــدهُ هَـــرَمُ**[٦]

وقوله[٧]:

أَلا طِعَـــان أَلا فُرسَـــان عاديـــةً إلا تَجَشُّـــؤَكُم حَـــولَ التّنـــانِيرِ[٨]

- الاستفهام:

وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن[٩]

كقوله:

ألا اصـــطبار لســـلمى أم لهـــا جلـــد إذا ألاقـــى الـــذي لاقـــاه أمثـــالي[١٠]

يستفهم عن انتفاء اصطبارها، يعني انتفى صبرها عند موته أم تتجلد[١].

---

(١) الجنى الداني، المرادي، ٥٨٢/١.

(٢) لم أقف على قائله.

(٣) شرح الدماميني على مغني اللبيب المسمى المزج، أبو بكر الدماميني، ٣٦٢.

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ١١٣.

(٥) الارعواء: الانكفاف، مصدر ارعوى عن الشيء، أي: الانكفاف عن القبيح، والمشيب: الشيب، دخول الرجل في حدّ الشيب من الرجال. ينظر: شرح أبيات شواهد المغني، السيوطي، ٢١٢/١، ٢١٣.

(٦) البيت بلا نسبة. ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٦/١.

(٧) هذا من قصيدة لحسان بن ثابت –رضي الله عنه– يوبّخ بني الحارث بن كعب المجاشي من بني عبد المدان، والمعنى: ألا طعان عندكم ولا فرسان فيكم تعدو على أعدائهم، أي: لستم بأهل حرب، وإنما أنتم أهل أكل وشرب، وأثأت: بمثلثة بعدها همزة، أفسدت، منقول بالهمزة من ثأى، بالكسر، يثأى، بالفتح، فسد. واستعار للغفلات التي هي جمع غفلة. يدا تشبيها بمن يكتسب أشياء بيده. ينظر: شرح شواهد مغني اللبيب، السيوطي، ٢١٠/١، ٢١١.

(٨) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ١٢٩.

(٩) شروح التلخيص، ٢٤٦/٢.

(١٠) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ٦٦/١.

وجعلوا من قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[٢]، استفهام معناه الإنكار، أي: كيف لا يعلم ما تكلم به من خلق الأشياء وأوجدها من العدم[٣].

وكل وجه يخرج إلى معان بلاغية، مصداق ذلك ما سنجده في صحيح مسلم ، وكلها تنصب في منحى الأغراض السابقة، وإن أضيف إليها أغراض ومعان أخرى تُستَفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

وعند الوقوف على إسهام البلاغيين في بحث المعاني التي تخرج إليها (ألا)، نجدهم لم يفردوا لها مبحثًا خاصًا، وإنما ورد ذكرها عندهم ضمن مبحثي التمني والاستفهام، فالتحضيض تولد عندهم من معنى التمني القائم فيها[٤].

مدخولاتها:

هذه الأداة تدخل على الجمل بأنواعها، وكذلك تدخل على الحروف، ومن نماذج ذلك:

١- دخولها على الجملة الاسمية:

- المصدرة بالمبتدأ من غير ناسخ:

كقوله تعالى: ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾[٦] .

-المصدرة بناسخ:

كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾[٧]، وقوله: ﴿إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾[٨] .

٢- دخولها على الجملة الفعلية:

-الفعل الماضي:

---

(١) ينظر: شرح الدماميني على مغني اللبيب المسمى المزج، أبو بكر الدماميني، ٣٦٣.
(٢) سورة الملك:١٤.
(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ٢٢٥/١٠.
(٤) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس الأوسي، ٤٩٣؛ الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، هناء محمود شهاب، ٢٠٤.
(٥) سورة الزمر:٥.
(٦) سورة الزمر:١٥.
(٧) سورة البقرة:١٢.
(٨) سورة البقرة:٢١٤.

مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١﴾[١] .

أَلا قاتَـــلَ اللهُ الهَـــوى مـــا أَشَـــدَّهُ وَأَســـرَعَهُ لِلمَـــرءِ وَهـــوَ جَليـــدُ[٢]

- الفعل المضارع:

كقوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾[٤] .

- الفعل الأمر:

أَلا قُـــل لِليلَـــى هـــل تُرَاهـــا مُجِيرَتِـــي فَـــإِنّي لَهـــا فِيمَـــا لَـــدَيَّ مُجِيـــرُ[٥]

<u>٣- دخولها على الحرف (رب) و(يا) و(هل):</u>

- دخولها على (رب):

ألا رب مولـــــودٍ ولـــــيس لـــــه أب وذي ولـــــد لـــــم يلْـــــدَهُ أبـــــوان[٦]

- دخولها على (يا):

ألا يـــا بـــائِعَيْ ليْلَـــى بِمَكَّـــةَ ضَـــلَّة تَبايَعْتمـــا هَـــلْ يَسْـــتوِي الثَّمَنـــانِ[٧]

- دخولها على (هل):

أَلا هَـــل إِلـــى شَـــمِّ الخُزامـــى وَنَظـــرَةٍ إِلـــى قَرقَـــري قَبـــلَ المَمـــاتِ سَـــبيلُ

أَلا هَـــل طُلـــوعُ الشَـــمسِ يُهـــدي تَحيَّـــةً إِلـــى آلِ لَيلـــى أَو أَدنـــو غُروبُهـــا[٨]

---

(١) سورة الأنعام:٣١.
(٢) البيت لقيس بن الملوح في ديوانه، ١٠٣.
(٣) سورة الشعراء:١٠٦.
(٤) سورة يوسف:٥٩.
(٥) البيت لقيس بن الملوح في ديوانه، ٩٨.
(٦) البيت لأزد السراة، في شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، ٦٥٨/١؛ والجنى الداني، المرادي، ٤٤١.
(٧) البيت لقيس بن الملوح في ديوانه، ١٠٥.
(٨) البيتان لقيس بن الملوح في ديوانه، ١١٨، ٧٢.

المبحث الثاني: مدخولات (ألا) في صحيح مسلم
وأسرارها البلاغية

تعددت مدخولات (ألا) في صحيح مسلم، وإن كانت هذه المدخولات لا تتجاوز الجملتين الاسمية، والفعلية، فإنها تتعدد عطاءاتها بحسب تعدد أنماطها التركيبية، للجملة الفعلية، والاسمية، فتشع كل مرة بدلالة مختلفة بحسب ما تقترن به من أساليب من استفهام أو دعاء أو شرط ...إلخ[١]، من خلال المقامات التي تتطلبها.

أولًا: الجملة الاسمية:

١-عن عمرو بن العاص قال: « سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سر، يقول: ألا إن آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين»[٢].

لأن مقام الولاية مقام عظيم افتتح ﷺ بيانه بأداة التنبيه والاستفتاح (ألا) لينبه ويتبرأ من الأولياء الكافرين، ولينفي أن يكون (آل فلان) من أقاربه أومن أوليائه، ويعلن ويصرِّح باسم معين، لكن الصحابي أبهم الاسم وكنَّى عنه، بـ(فلانًا)؛ لغاية في نفسه ، وهذا من أدب الصحابي ، فلعله أراد عدم فضح هذه القبيلة؛ إذ لم أجد في كتب شرح الحديث سببًا لهذا الإخفاء .

وفي مقابل البراءة من ولاية الكافرين التي نبَّه إليها بـ(ألا) أكَّد قوة الولاية للمؤمنين بدلالة القصر بـ(إنما) في قوله: (إنما وليي الله وصالح المؤمنين) أي: إنما وليي من كان صالحًا، وإن بعد نسبًا مني.

---

(١) كما سيأتي في هذا الفصل وفصل الموازنات.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم.

٢-عن أبي مسعود قال: «أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة[١] وغلظ القلوب في الفدادين[٢]، عند أصول أذناب الإبل[٣]، حيث يطلع قرنا الشيطان[٤] في ربيعة ومضر»[٥].

أدت الإشارة بيده الشريفة وظيفة إزالة الشك والريبة من نفوس الصحابة بأبهى صورة وأوجزها، وقد قرر الجاحظ أن مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، وحسن الإشارة باليد من تمام حسن البيان في اللسان[٦]، وجاء في الأمثال: «لسان الحال أبين من لسان المقال»[٧]، وقد ذكر الجرجاني في وظيفة الإشارة قوله: «أن الأنس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر إلى العيان ورؤية البصر ليس له سبب سوى إزالة الشك والريب»[٨].

فللإشارة في بيان النبي ﷺ مقام رفيع لا يقل عن مقام اللفظ في البيان، وقد حرص الرواة جميعًا حين سمعوا رسول الله ﷺ يقول: (بلغوا عني ولو آية...)[٩]، حرصوا على نقل هذا البيان كاملًا بما فيه من لفظ وإشارة، وعقد وحال؛ لأنهم يعلمون أن هذه الوسائل ليست حشواً أو كمًا مهملًا، بل لها أثر في بناء المعنى وتكوين الدلالات، وعسى أن يكون وراء الإشارة حكم، أو تكليف، أو وصية، أو أمر، أو غيرها من الدلالات والتعاليم فتغيب عن الناس، فيتحملوا وزرها؛ لأجل ذلك نقلوا إلينا كل شيء بأمانة كاملة[١٠].

وقد أثارت أداة التنبيه (ألا) في الحديث الشريف التشويق في نفوس المتلقين، وهيأت الأذهان لاستقبال ما يليها من تحذير؛ ليكون المعنى أكثر تأثيرًا وثباتًا في ذاكرتهم، خاصة وأنه أعقبها بحرف التوكيد (إن) فتكون مدعاة

---

(١) القسوة يراد بها هنا: أن تلك القلوب لا تلين لموعظة، ولا تخشع لتذكار، وغلظها ألا تفهم ولا تعقل. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، ٢٣٧/١.

(٢) الفديد: الصوت، وقيل: شدته، والفدّادون: أصحاب الإبل الكثيرة الذي يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف، يقال له: فَدَّاد إذا بلغ ذلك وهم مع ذلك جفاة أهل خيلاء، وقيل: هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم مواشيهم وما يعالجون منها. ينظر: لسان العرب، مادة: (فدد).

(٣) المراد به: الملازمون للإبل، السائقون لها. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، ٢٣٨/١.

(٤) وقيل: إن معنى قرني الشيطان في الحديث: أنهما أمتان عظيمتان يعبدون غير الله، ولعلهم في ذلك ربيعة ومضر، وقيل المراد في الحديث: ما ظهر بالعراق من الفتن العظيمة، والحروب الهائلة، فقيل: إن له قرنين حقيقةً، وقيل: ناحيتا رأسه "أو قال: ((قرن الشمس))" حاجبها، حينما يطلع حاجبها قرنها، حينما يطلع جانبها الأول، فالشيطان مقارنٌ للشمس في مطلعها وفي مغربها، فالشمس تطلع بين قرني شيطان، وتغرب بين قرني شيطان، لماذا؟ ليكون سجود عبدة الشمس له؛ لأن هناك من يعبدها، ولذا جاء النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس، ووقت غروبها. ينظر: المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، ٢٣٩/١؛ شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، عبدالكريم الخضر، ٦/٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان فيه.

(٦) ينظر: البيان والتبيين، ٧٩/١.

(٧) مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، ٣١٤/١.

(٨) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ١٦٤.

(٩) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

(١٠) ينظر: بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، سعيد جمعة، ٢٥.

للفت الانتباه والتأثير، فالمقام هنا مقام تحذير مما يأتي من قبل المشرق في عهد النبي ﷺ، أو ما حدث من عهده من فتن وحروب عظيمة في العراق، وفي الحديث بيان لحال أهل اليمن على عهد النبي ﷺ من كمال الإيمان وسلامة القلب، وقد جاءت النصوص الكثيرة في اليمن، ومدح أهل اليمن، قال: «الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية»[١]

وقد بلغت الإثارة أقصى مداها بقوله: (ههنا) عندما أشار بيده نحو اليمن، وتكرار أسلوب التوكيد بـ(إن)، وهذا –بلا شك– أكثر إثارة لذهن المخاطبين، وأمضى أثرًا في نفوسهم، كما أفضى الطباق الخفي بين: (الإيمان والقسوة) و(ههنا وهناك)، إلى تعميق المراد وتوكيده على النحو الذي لا يخفى على المتأمل.

ثم جاءت الاستعارة التمثيلية في قوله: (حيث يطلع قرنا الشيطان)، حيث « شبَّه اختصاص هذا المشرق – وهو موطن ربيعة ومضر – بمزيد من تسلُّط الشيطان وعمل ما لا يحمد من الأمور، بطلوع قرني الشيطان، وهي الصورة المفزعة والتي لا يظن منها الخير»[٢]، وما التمثيل إلا نوع من تصور الأحوال وتخيّلها، ثم الربط بينها وعرضها ممثلة بعد ذلك؛ ليتم التأثير وتحصل الإفادة[٣].

ولا يخفى أنه في هذا الاختيار الدقيق للعبارات ونظمها في هذه الأساليب المتناسبة مع المقام، يفصح عن بلاغته ﷺ القولية والفعلية، وما كان يقصد من ورائها من التنبيه والإيقاظ.

٣–عن عبدالله بن عمر: « ذكر رسول الله ﷺ يومًا، بين ظهراني الناس، المسيح الدجال، فقال: إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافيه، قال: وقال رسول الله ﷺ: أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعًا يديه على منكبي رَجُلَينِ، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم، ورأيت وراءه رجلًا جعدًا قططًا، أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعًا يديه على منكبي رجلين، يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال»[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب. ينظر: شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، عبدالكريم الخضير، ٩/٥.

(٢) من بلاغة الحديث الشريف، عبدالفتاح لاشين، ٥٨.

(٣) ينظر: التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقجي، ٣٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.

لقد امتدت توجيهات النبي ﷺ وتحذيراته إلى ما سيقع مستقبلًا؛ لخوفه على أمته وحفظًا لسلامتهم، ولجسامة الموضوع وخطورته؛ مهد ﷺ لأسلوب التنبيه (ألا) بأسلوب التوكيد (إن) دالًا بذلك على اهتمامه عليه السلام البالغ بما سيذكره، يتعلق بالمسيح الدجال وفتنته وذكر علامته، فنبَّه ﷺ وحذَّر في أسلوب يحمل دلالة التحذير في حسم وقوة.

فالدَّجال يدّعي الألوهيّة، ويأتي بخوارق تخدع الناس، ولقد ذكر رسول الله ﷺ علامته؛ ليحذِّر أمَّته منه، فقال: إنه أعور العين اليمنى، وإن هذه العين كعنبة طافية أي: ناتئة مرتفعة[١]، وفي هذا الوصف تشبيه؛ ليكون بذلك أوكد في تثبيت المعنى.

ثم فصَّل ﷺ بذكر الرؤيا، وعقد مقارنة بين عيسى عليه السلام والمسيح الدجال؛ لكون الأمر غيبيا ومتعلقا بالساعة وبالعقيدة، وفيه فتنة من شدّتها وردت فيها الكثير من الأحاديث الصحيحة.

٤- عن ابن عباس قال: «كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: أيها الناس، إنه لم يبقَ من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظِّموا فيه الربّ عزّ وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ أن يُسْتَجَابَ لكم»[٢].

لقد حرص الرسول ﷺ أن يوفر لمعانيه كل ما من شأنه أن ينبِّه السامع حتى يتلقاها وهو راغب فيها مقبل عليها، فبدأ بصيغة النداء: (أيها الناس)، واستهلال الخطاب بهذه الصيغة يمهِّد للقول الذي بعده، فتركيب النداء مع هذه اللفظة فيه درجة عالية من التنبيه، فكل ما يرد بعد نداء الناس يكون مرتبطاً بإيقاظ الغفلة وتنبيه الإدراك وصحوة التأمُّل[٣].

ثم جاء بأسلوب التنبيه (ألا)، والأسلوب المؤكد بـ(إن)، والضمير والجملة الاسمية: (ألا وإني نهيت)، تركيب فيه من المبالغة والتنبيه الكثير، هذه المقدمة تدل على أمر جلل، تتناسب وأهمية ما يليها من عظيم ينبغي ألا يغفل عنه.

---

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، الصباغ، ٢٥٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع.
(٣) ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ضحى حيدر، ٢٢٧.

فما هو الأمر العظيم الذي عني به الرسول ﷺ؟ هو النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: (نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا)، وبيان ما يقال في الركوع والسجود وهو الدعاء في قوله: (فأما الركوع فعظِّموا... وأما السجود...).

فجاء اختياره لهذه الأساليب الموجزة؛ ليسهم بتهيئة السامعين لتلقي هذا الأمر بوعي وحضور، وليسهل حفظها، فهو البليغ الذي يدرك كيف يخاطب النفوس ويؤثِّر فيها، فالمقام مقام تقرير شأن متعلق بثاني ركن من أركان هذا الدين العظيم وهو الصلاة.

٥-عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تغلبنكم[١] الأعراب على اسم صلاتكم، ألا إنها العشاء[٢]، وهم يعتمون بالإبل»[٣].

ينبه النبي ﷺ الصحابة على الأخطاء في مواقف كثيرة، فيرشدهم ويوجِّههم إلى السلوك الصحيح، وقد جاء أسلوب النهي متآزرًا مع أسلوب التنبيه في هذا الحديث؛ لأن الأعراب كانت تخلط وتسمي صلاة المغرب العشاء، وصلاة العشاء عتمة، فحرص ﷺ على نهيهم وتنبيههم على

مجانبة هذا الخطأ في التسمية؛ حفاظًا على أوقات صلاتهم.

ولما كان الموضوع خاصًا بأهم فريضة في الإسلام، وهي الصلاة، جاء الخطاب النبوي بأسلوب النهي، وأعقبه بأسلوب التنبيه الذي هو أقوى ردعًا وأشد وقعًا في نفوسهم مما لو جاء بصيغة أخرى.

٦-عن عبدالله بن الحارث النجراني قال: «حدثني جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[٤].

يحرص الرسول ﷺ في هذا الحديث على ترسيخ أمرين:

---

(١) يقال غلبه على كذا: استولى عليه قهرًا. لسان العرب، مادة: (غلب).
(٢) لفظ العشاء لغة: هو أول ظلام الليل. لسان العرب، مادة: (عشا).
(٣) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: وقت العشاء وتأخيرها.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

الأمر الأول: براءته من اتخاذ الخليل، والأمر الثاني: تحذيره من اتخاذ القبور مساجد.

وقد حذَّر من الأول والثاني تحذيرًا شديدًا، أما الأول: وهو براءته من اتخاذ الخليل، استفتح ﷺ فيه بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إن) التي أضيفت إلى الضمير العائد إلى الرسولﷺ؛ للتنبيه إلى عظم الأمر الآتي بعدها، وهو تبرئته من اتخاذ الخليل من البشر.

وأوحى اللفظ (أبرأ[١]) بنفي جازم من جهة النبي ﷺ باتخاذ الخليل، وقد أكدَّه بـ(إن) وصرَّح بلفظ الجلالة (إن الله تعالى قد اتخذني) للتعظيم، ثم جاء التشبيه (كما اتخذ إبراهيم خليلًا) تشريفًا للرسول بجعل منزلته كمنزلة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ .

أما الثاني: وهو تحذيره من اتخاذ القبور مساجد، فجاءت أداة الاستفتاح وعملت على تقوية الاستئناف، وتحديد مقاطع المعنى في قوله: (ألا وإن من كان قبلكم) الواو هنا لعطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر، أو واو عطف قصة على قصة، وهو استئناف لمعنى جديد ووسيلة ربط لفظية وعقلية[٢].

فتعلو نبرة التحذير بإعادة وتكرار أداة التنبيه (ألا) في قوله: (ألا فلا تتخذوا القبور مساجد)، فالتكرار أورث وجوب الحكم، ثم أكَّده بلفظ النهي صراحة في قوله: (إني أنهاكم)، فعلت النبرة التحذيرية من الأدنى إلى الأعلى في النهي عن اتخاذ القبور مساجد؛ لأن الأمر متعلق بالعقيدة لا يكتفى فيه بالتمليح.

٧-عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[٣] ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن»[٤].

يبيِّن النبي ﷺ لصحابته في هذا الحديث فضل سورة الإخلاص ويبشِّرهم بعظيم الجزاء؛ إذ تعدل هذه السورة عند الله ثلث القرآن، ولم يسلك في هذا الحديث أسلوبًا مباشرًا في بيان فضلها، بل سلك مسلكًا آخر، يحمل نفوسهم على الإقبال والامتثال، وذلك حين طلب منهم الاجتماع؛ لأنه سيقرأ عليهم ثلث القرآن، فخرج إليهم ثم قرأ ﴿ قُلْ هُوَ

---

(١) البراءة: التباعد من الشيء ومزايلته، والبراءة من العيب والمكروه، ولا يقال منه إلا برئ يبرأ، فيقال: اليوم البراء السعد، أي: إنه بريء مما يكره. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (برأ).

(٢) ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ٣٤٩.

(٣) سورة الإخلاص:١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة قل هو الله أحد.

ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[١] فقط، ثم دخل، فتساءلوا فيما بينهم عن دخوله، فلم يرد ما فهموه وما ذهبت إليه أذهانهم، من أنه سيقرأ عليهم ثلث القرآن، فبيَّن لهم مراده ومقصده، بعد أن مهَّد ولفت أنظارهم جميعًا بحركة الجسد (الدخول عليهم ، ثم الخروج ، ثم الدخول عليهم مرة أخرى)، و« هي من عوامل تثبيت كلامه في النفوس وتمكينه في القلوب... وقد كان لحركته وإشارته أثر كبير في جودة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر، وتنبِّه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكر»[٢] ثم أفصح ﷺ عن مراده بثلث القرآن، وهي سورة الإخلاص، وبعد أن بعث في نفوسهم ذلك الشعور النفسي القائم على الانتقال الحاد المفاجئ من حال إلى حال، وهو انتظارهم قراءته لثلث القرآن، ثم أخبرهم أن سورة الإخلاص يحصل لصاحبها من الأجر ما يعدل ثلث القرآن في الأجر، فأحسُّوا بيسر العمل الذي يكسبهم هذا الأجر العظيم[٣]، واتخذ التنبيه سبيلًا لتحقيق هذا المعنى وتثبيته في نفوسهم من خلال الأداة (ألا) والتأكيد بـ(إن) الذي اختتم به هذا الحديث: (ألا إنها تعدل ثلث القرآن)؛ ليحثّهم ويحرّضهم على العمل الذي يرغّبهم في فعله، والمداومة عليه.

٨-عن أبي هريرة قال: «ألا رجلٌ يمنحُ[٤] أهل بيت ناقة تغدو بعس[٥] وتروح بعس، إن أجرها لعظيم»[٦].

يعرض الرسول ﷺ على أصحابه الكرام أعظم الصدقة أجرًا وهي منيحة الغنم أو البقر أو الإبل، يعطيها صاحبها لغيره؛ ليستفيد من وبرها ولبنها وروثها ثم يردها إليه إذا انقضى اللبن، وقالﷺ في موضع آخر في صحيح مسلم عن فضلها: «من منح منحة غدت بصدقة وراحت بصدقة صبوحها وغبوقها»[٧]، وقال ﷺ أيضًا في صحيح البخاري: «نعم الصدقة اللقحة الصفي منحة، والشاة الصفي منحة، تغدو بإناء وتروح بآخر»[٨].

كأنه نوع من التواصل الاجتماعي الذي يدعو إليه الإسلام، ومظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي، ووسيلة تبيِّن العادات الطيبة والسجايا الحميدة من الجود والكرم التي تتلاءم مع أخلاقنا وديننا الحنيف، فالرسول ﷺ قال: إن

---

(١) سورة الإخلاص: ١.

(٢) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، عبدالله هنداوي، ١١، ١٢.

(٣) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل أيوب، ١٤٨.

(٤) يمنح: أي يعطيهم ناقة يأكلون لبنها مدة ثم يردونها إليه، وقد تكون المنيحة عطية للرقبة بمنافعها موبدة مثل الهبة، والمنيحة: هي العطية، وقد تكون في الحيوان وفي الثمار أو غيرها. ينظر: شرح النووي.

(٥) العُسُّ: القدح الضخم والأنية الكبار. ينظر: لسان العرب، مادة: (عسس)؛ شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل المنيحة، ٤/ ١١٤، ١١٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل المنيحة.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل المنيحة، ٤/١١٤، ١١٥. والغبوق : ما يُشْرَب في العَشِيّ ، خِلاف الصَّبُوح ، وهو ما يُحلَبُ بالعشيّ أيضًا . لسان العرب (مادة غبق) .

(٨) صحيح البخاري، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: فضل المنيحة. واللِّقْحَةُ : الناقةُ الحلوب الغزيرةُ اللبن ، لسان العرب مادة (لقح)

هذه المنيحة تعطى لـ(أهل بيت)، ولم يقل بيت فقر أو بيت حاجة أو عازة، وفي الصحيح أن «النبي ﷺ منح أم أيمن عذاقًا أي: نخيلًا»[١]، ولغرابة هذه الفكرة نبَّه إليها وافتتح كلامه ﷺ بأسلوب التنبيه بـ(ألا)؛ لما فيها من التلطُّف في الطلب والحث على الامتثال وتحريك المشاعر، فقد كان ﷺ يتخيَّر عباراته وأساليبه بما يناسب المقام والموقف؛ لتحمل دلالات كثيرة فوق دلالتها المباشرة؛ «ليأنس إليها السامعون، ويفتقدونها إذا سيق لهم القول مغسولًا منها، مقتصرًا على أداء المعنى المجرد»[٢].

واختياره ﷺ لفظة: (رجل) لإشعار المخاطب بما توحيه هذه اللفظة من معنى القوة والشدة والشجاعة، قال ابن سيده: «وقد يكون الرجل صفة، يعني بذلك الشدة والكمال»[٣]، وقال الزمخشري: «هذا رجل أي: كامل في الرجال بين الرجولية والرجولية، وهذا أرجل الرجلين»[٤].

واعتمد الحديث على أساليب التوكيد؛ لترسيخ المعنى وتقويته، ومنها: اسمية الجملة (ألا رجلٌ يمنحُ أهل...)، والطباق بين الفعلين: (تغدو، تروح)[٥] واصفًا حركة الناقة وصفًا يتمثلها للعيان، فهي تذهب بملء قدح كبير لبنًا وقت الصباح، وتذهب بملء قدح كبير لبنًا وقت المساء، وجاء في ختام الحديث الجملة المؤكدة في قوله: (إن أجرها لعظيم)؛ ليؤكد للمخاطب أجرها العظيم، فيتحفّز ويسارع إلى العمل والامتثال.

وتتجلى سمة الإيجاز في هذا البيان النبوي مع اتساع معنى الحديث وإبانته وعمق أثره، والإيجاز « قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل، وقوة الروح، وقوة الشعور، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول؛ ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه»[٦].

٩-عن جعفر بن محمد عن أبيه: حين دخل عليه جابر بن عبدالله فسأل أباه عن حجة الرسول في خطبة الوداع وحدّثه عنها، وقال: إن النبي ﷺ «خطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل المنيحة، ١١٤/٤، ١١٥.
(٢) مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عياد، ٣٠.
(٣) أساس البلاغة ، ١٥٦؛ المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٢٦٤/٧.
(٤) أساس البلاغة، الزمخشري، ١٥٦.
(٥) تقابل تام لفظي مكاني حركة أفقية. ينظر: بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف، أسماء الخطاب، ٢٣٢.
(٦) وحي الرسالة، الزيات، ١٩/٣.

دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء...»[١].

حج النبي ﷺ حجةً واحدة، كانت أعظم حجة في التاريخ كله وأفضلها، أقام فيها شعائر الله تعالى وعظَّم حرماته، وصدع بدينه، وبيَّن للناس مناسكهم، وخطب فيهم يعلِّمهم ويبشِّرهم وينذرهم. واستهل ﷺ خطبته بالتأكيد بـ(إن) فأكَّد التحريم ﷺ؛ تحريم الدماء والأموال، وقوله: (كحرمة يومكم هذا)[٢] وهو يوم عرفة فإنه يوم حرام؛ لأنه من جملة أيام الحج، والناس فيه محرمون.

ثم جاء التنبيه قويًا مباغتًا للنفس بالأداة (ألا) في قوله ﷺ: (ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع)؛ ليقضي على كل مظهر من مظاهر الشرك، ويتقرر في ذهن المخاطبين التوحيد ويترسخ، ثم استخدام لفظ الاستغراق (كل) ليدل على الشمول، والنكرة (شيء)، (من أمر) فأي شيء له تعلُّق بالجاهلية فهو موضوع وملغىً، وفي قوله: (تحت قدمي) كناية عن الإبطال والإهانة؛ لأن الناس جرت العادة أن الشيء المهان يقال تحت القدم؛ مبالغة في التحقير، أي: كل ما كانوا عليه من أمور الجاهلية من عاداتك وعبادات باطلة مهينة لا عبرة لها.

ويلحظ في الحديث وسيلة من وسائل التوكيد والتنبيه، ألا وهي التكرار، فطبيعة مهمته تدعوه لاتباع هذا الأسلوب؛ ليدرك السامع المراد[٣]، فكرر النبي ﷺ حرمة الدماء والأموال مرة أخرى بقوله: (ودماء الجاهلية موضوعة.. وربا الجاهلية موضوع)؛ ليكون تأكيدًا لما سبق، وإبطالًا لما يعتقدون حِلَّه أو استمرارهم عليه.

لقد أراد الرسول ﷺ في هذا الحديث أن يقرر قواعد الإسلام في أعظم اجتماعٍ له بأمته في حجة الوداع، وكان أسلوب التنبيه سبيله في تحقيق هذا الغرض، وإبرازه في هذا المقام.

١٠-عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ .

(٢) مناط التشبيه (كحرمة يومكم) ظهوره عند السامعين؛ لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتًا في نفوسهم مقررًا عندهم بخلاف الأنفس والأموال والأعراض؛ حيث كانوا في الجاهلية يستبيحونها، فأخبرهم أن تحريم الدماء والأموال أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم، فلا يرد أن يكون المشبه به أخفض رتبة من المشبه؛ لأن الخطاب إنما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون قبل تقرير الشرع. ينظر: فتح الباري، ٢٠٩/١.

(٣) ينظر: التكرار في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، ٧٩.

أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد»[١].

يبيّن ﷺ في هذا الحديث فضائل المدينة المنورة، وأنه لا يبقى فيها إلا خيار الناس والصالحون قبل قيام الساعة، وأن شرار الناس ومنافقيهم يخرجون منها، إما لمرض يصيبهم أو شدة الحر أو الفاقة، والظاهر أن هذه المعاني خاصة بزمن الرسول ﷺ[٢].

لذا حرص الرسول ﷺ على أن يمكِّن هذا المعنى ويقرِّره في النفوس، فاستخدم الأداة (ألا) و(إن) المؤكدة في قوله: (ألا إن المدينة كالكير)؛ ليتنبه المخاطبون إلى فضل المدينة وقيمتها، ويؤكِّد أنه لا يسكنها في آخر الزمان إلا كل نقي وصالح.

ثم أوغل في هذا التأكيد بعبارة التشبيه: (المدينة كالكير) فشبه (المدينة المنورة) وهي تخرج وتنفي شرارها بـ(الكير)، وهو موضع الحداد الذي يوقد فيه النار ليصهر به المعادن، وفي اختيار(الكير) ليكون المشبه به تصويرًا بديعًا يمثل حال المدينة في صورة قوية تنفي الخبيث بشدة، كما يخرج (الكير) خبث الحديد والفضة[٣]، ووجه الشبه التنقية وإخراج الفاسد من الصالح، والتشبيه مرسل؛ لأن الأداة مذكورة والطرفان حسيان : بقاء الصالحين في المدينة وإخراج الفاسدين كبقاء الحديد أو الفضة نقية وإزالة ما بهما من شوائب، ومما لا شك فيه أن هذا التشبيه وقع موقعًا حسنًا وأدى المقصود منه؛ لأن العناصر التي بني عليها التشبيه (الحديد والفضة) منتزعة من بيئة المخاطبين؛ إذ إن مجتمعهم مجتمع حروب وزراعة، فالحديد ومعايشة صناعته، وإدخاله النار ليسهل طرقه لصناعة أدوات الحرب وأدوات الزراعة أمر معلوم لدى الصحابة في تلك الأيام[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: المدينة تنفي شرارها.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: المدينة تنفي شرارها.
(٣) ينظر: التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، محمد السيد أبو موسى، ١٨.
(٤) ينظر: التشبيه في صحيح مسلم، أحمد الثقفي، ٤٧.

إن انتخاب هذه الكلمات والألفاظ وجه من وجوه مراعاة الحديث للمقام ومقتضى الحال، وهو سمة من سمات البيان النبوي، يتمثَّل في استعمال الألفاظ الملائمة لأفراد المجتمع؛ مراعاة للمخاطبين، واهتمامًا بوصول المعنى المراد تمكينه في نفوسهم.

١١-عن أَبَي هُرَيرَةَ قال: «إن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فركب راحلته فخطب، فقال: إن الله ﷻ حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين[١]، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يخبط شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل، فهو بخير النظرين، إما أن يعطى، يعني الدية، وإما أن يقاد أهل القتيل، قال: فجاء رجل من أهل اليمن، يقال له: أبو شاه، فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: "اكتبوا لأبي شاه"، فقال رجل من قريش: إلا الإذخر، فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ : "إلا الإذخر"»[٢].

ينبِّه النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف المسلمين إلى تحريم القتال في مكة وصيدها وشجرها ولقطتها، فجاء كلامه بسيلٍ من المؤكدات، فكما هو مقرر أنه ﷺ لا يؤكد إلا ما كان منه ذا شأن، وله مكانته العالية، وخطورته البالغة، فاستفتح بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إن): (إن الله عز وجل..)، ثم أعقبها بأسلوب التنبيه بـ(ألا) و(إن) للفخر: (ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي) فهو يفخر أنها لم تحل لأحد أن يقاتل فيها قبله، ولن تحل لأحد بعده، ويكرر ليؤكِّد ذلك بأسلوب التنبيه بـ(ألا) و(إن): (ألا وإنها أحلت لي

---

(١) وذلك في فتح مكة، يريد نفسه الكريمة، ووجه العدول: أن لفظ الرسول يشير إلى أن ذلك التسليط إنما لكونه رسوله الله ﷺ. ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد إسماعيل الكوارتي، ٢٥٣/١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة، وصيدها، وخلاها وشجرها ولقطتها.

ساعة من نهار)؛ لتأكيد أنه أحلّت له ساعة من أول النهار إلى العصر، ثم يحرص على تأكيد إعادة حرمتها كما كانت عليه بأسلوب التنبيه بـ(ألا) و(إن): (ألا وإنها ساعتي هذه حرام).

وهكذا رأينا أن صيغة التنبيه بحد ذاتها لا تكشف عن المعنى إلا من خلال ربطها بدلالة السياق الذي في النص كله.

١٢- عن عمر بن عبدالعزيز قال: «حدثنا الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه أن رسول اللهﷺ نهى عن المتعة[١]، وقال: ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئًا فلا يأخذه»[٢].

هذا الحكم كان مباحًا مشروعًا في صدر الإسلام وإنما أباحه النبي ﷺ لهم لأسباب؛ منها ما يجدونه من المشقة بسبب البعد عن الزوجات في أسفارهم، وصدَّر العبارة ﷺ بـ(ألا)؛ لينبّه السامعين؛ لإحضار أذهانهم، ويوقظ مشاعرهم، ويحرِّك أحاسيسهم، ليصل بعد ذلك إلى ما يريد تحقيقه، وهو النهي وتحريم نكاح المتعة.

وترى أن خطابه ﷺ لأصحابه هنا جاء مؤكدًا بـ(إن) واسمية الجملة؛ لأن المقام هنا يحتاج إلى قدر أكبر من التأكيد؛ لأنهم في منزلة المنكر للحكم؛ فالمقام يوحي بوقوعهم في أمر المتعة كون الحكم بدأ بـ(يومكم هذا)، وقوله ﷺ: (من أعطى شيئًا)، حيث أبطل ﷺ ما كان سائدًا عندهم في ذلك الوقت، وقد لحظ البلاغيون أن وجود الإنكار أو التردد في النفس يقتضي هذا الضرب من الصياغة المؤكدة، يقول د. أبو موسى: « إن النفس حين تتردد تصير في حاجة إلى قدر من التوثيق، وإن كان الحكم على وفق ظنها؛ لأن ما تظنه وتميل إليه هي أيضًا في حاجة إلى توكيده... أما إذا كان المخاطب منكرًا فإنه لا بد من التوكيد، وهذا التوكيد يختلف قلة وكثرة على وفق أحوال الإنكار... لأن وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الرافضة له، فلا مفر من أن تكون قوة العبارة ووثاقتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع...»[٣].

والجملة الشرطية التي جوابها مقرون بالفاء في قوله: (ومن كان أعطى شيئًا فلا يأخذه)، زادت الحزم في تأكيد الحكم الذي سيق الحديث من أجله.

---

(١) هو النكاح لأجل معلوم أو مجهول؛ سميت بذلك لأن الغرض منها مجرد التمتع دون التوالد وغيره من أغراض النكاح. ينظر: شرح الزرقاني على موطأ ابن مالك، ١٩٨/٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

(٣) خصائص التراكيب، ١١٧.

١٣ – عن عطاء بن أبي رباح أن أبا سعيد الخدري لقي ابن عباسﷺ فقال له: «أرأيت قولك في الصرف، أشيئًا سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئًا وجدته في كتاب الله عز وجل؟ فقال ابن عباس: كلا. لا أقول، أما رسول الله ﷺ فأنتم أعلم به، وأما كتاب الله فلا أعلمه، ولكن حدثني أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: ألا إنما الربا في النسيئة»[١].

الحديث مبني كله على القصر وطريقته بإنما، التي تأتي في المقامات الهادئة الناعمة دون جلبة، فهي بجرسها وقوتها ودلالتها تتصدَّر الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف، فتسوقها إلى النفس المتلقية سوقًا هادئًا، وتستعمل دائمًا في الأمر الجلي أو الخفي المنزل منزلة الجلي[٢].

واستفتح ﷺ حديثه بأسلوب التنبيه (ألا)؛ من أجل تنبيه الأذهان وتحفيزها على الإصغاء، لفهم المضمون الذي يذكره، وهو أن الربا لا يحرّم في شيء من الأشياء إلا إذا كان نسيئة، أي: «جواز بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلًا»[٣].

١٤– حدثنا زكرياء عن الشعبي عن النعمان بن بشير ﷺ « قال: سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه: إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتّقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[٤].

يعرض هذا الحديث الشريف لبيان الحلال والحرام في الإسلام، وأنهما بيّنان واضحان، ثم يذكر المشتبهات لأخذ الحيطة والحذر[٥]، وأجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام؛

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: بيع الطعام مثلًا بمثل.
(٢) ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، صباح دراز، ١٩٢–١٩٤.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٨/٦.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات.
(٥) ينظر: معالم البيان في الحديث النبوي، عبدالمحسن العسكر، ٦٠.

لأن النبي ﷺ نبَّه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها، وأنه ينبغي أن يكون حلالًا، وأرشد إلى معرفة الحلال، وأنه ينبغي ترك المشتبهات[١].

ثم أوضح ذلك بضرب المثل بالحمى: (كالراعي يرعى حول الحمى...) شبّه المكلف بالراعي الذي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، تصوير محسوس لشيء عقلي ليزيد الأمر وضوحًا. وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الأبعاد الجمالية للتمثيل وأثرها على إمتاع نفس المتلقي، وإثارة عقله، ودفعه إلى التدبُّر والتأمُّل العميق، وذلك بأن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صوره، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها[٢].

ثم بيَّن أهم الأمور: الحمى المحظور، محارم الله، ويؤكد ذلك بأسلوب التنبيه بـ (ألا) في قوله: (ألا وإن لكل ملك حمى)، «هذه الأداة التي تفتح نوافذ القلب والعقل؛ ليتلقى ما وراءه من أمر جلل... ثم كيف أعاد هذه الأداة اللافتة والتي يسميها النحاة أداة استفتاح وهي تسمية مُصيبة ودقيقة»[٣] ثم يكرر في قوله: (ألا وإن حمى الله محارمه)، والتكرار يأتي في الكلام « تأكيدًا له وتشييدًا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو ذمه أو غير ذلك»[٤].

ثم أعاد أداة التنبيه ثالثة؛ للتشويق وتنبِّه المخاطب أن الحديث بلغ مقطعًا مهمًا من المعنى يجب أن يلتفت إليه، في قوله: (ألا إن في الجسد مضغة)، وجاء بأسلوب الشرط للدلالة على اهتمام المتكلم بهذا الأمر وتأكيده، في قوله: (إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله)، وورد هذا التركيب اللغوي في أحاديث كثيرة وهو التركيب الثاني في نسبة شيوعه في الجملة الشرطية المصدرة بـ(إذا)[٥].

ويختم حديثه بأداة التنبيه (ألا) أيضًا موضحًا ومبينًا بها بعد الإبهام: (ألا وهي القلب)؛ للتأكيد على مراعاة القلب، فهو مصدر الصلاح إذا بعد عن المحارم أو الفساد إذا وقع فيها.

---

(١) عمدة القارئ، العيني، ٣٤١/١.
(٢) ينظر: أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ٩٢- ٩٦.
(٣) التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، ٢٤٨.
(٤) المثل السائر، ابن الأثير، ٤/٣.
(٥) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، عودة خليل أبو عودة، ٥١٣.

١٥- عن عبدالله بن عمر الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[١].

وهذا الابتداء فيه تنبيه لعمر رضي الله عنه ومن معه وتشويقهم؛ إذ يتطلع عند سماعه لأسلوب التنبيه (ألا) والتوكيد بـ(إن) ولفظ الجلالة: (ألا إن الله ﷻ)؛ ليصغي إلى ما يلقى من خبر ويحسن تلقيه، بهذا التشويق وذاك التنبيه، وهذا شأن افتتاح الكلام وابتدائه بلفظ الجلالة وأداة التنبيه[٢].

وأخبر عن النهي بصيغة المضارع وقال: (يناهكم) مع أن نهي الله ﷻ عن الحلف بالآباء قد حصل وانقضى؛ وذلك لاستحضار الصورة، وإشعار المخاطب الذي اعتاد الحلف بالآباء بتجدد هذا النهي واستمراره، وكأنه يلمّح للمخاطب بعدم المؤاخذة عمّا سبق من حلف قبل النهي[٣].

وخاطب النبي ﷺ عمر بصيغة الجمع والعموم دون تخصيص أو تعيين مع أن الحلف وقع منه وحده؛ لكونه عادة عندهم وغير مختص بعمر وحده، فيفيد العموم ، ولو توجَّه عليه السلام بالخطاب إلى عمر وحده لظنوا أن النهي له دون غيره[٤].

وبعد أن نهاهم عليه السلام بصيغة الخطاب عن الحلف بغير الله ﷻ التفت إلى صيغة الغيبة: (فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو فليصمت) لإرادة العموم، وليكون خطابه قاعدة عامة لعموم الأمة[٥]، يقول الزمخشري: «الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»[٦].

١٦-عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل غادر لواء[٧] يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة »، وفي رواية: عن عبدالله بن عمر، يقول: قال رسول الله ﷺ : «إن الغادر ينصب الله له لواء يوم القيامة، فيقال: ألا هذه غدرة فلان»[٨].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله.
(٢) ينظر: التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، ١١٢.
(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٦٠٠.
(٤) ينظر: من بلاغة الحديث الشريف، عبدالفتاح لاشين، ٢١؛ رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ١٥٤.
(٥) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٥٨١.
(٦) الكشاف، الزمخشري، ٢٣/١، ٢٤.
(٧) أي علامة يشتهر بها في الناس، واللواء: العلم أو الراية. ينظر: لسان العرب، مادة: (لوي).
(٨) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز الخداع في الحرب.

إن ابتداء الحديثين الشريفين بهذا الوعيد: (لكل غادر لواء)، (إن الغادر ينصب الله له لواء)، يحدث الأثر المطلوب من التنفير من الغدر، فالغادر يرفع له لواء بقدر غدرته إن كانت كبيرة صار كبيرًا، وإن كانت صغيرة صار صغيرًا، وهذا دليل على أن الغدر من كبائر الذنوب؛ لأن فيه هذا الوعد الشديد[١]، قال ابن بطال: « وهذه مبالغة في العقوبة وشدة الشهرة والفضيحة »[٢]، وقد خاطب ﷺ العرب بنحو ما كانت تفعل حين كانوا يرفعون الراية البيضاء للوفاء، والراية السوداء للغدر والخيانة، وقد صحب ذلك الوعيد أنواع من التخصيص؛ لتصعيد الشعور بشدة العقاب، وتأكيد شناعة الغدر وعظم إثمه، حيث قيَّد العقوبة بالظرف الزماني: (يوم القيامة)؛ لما كان الغدر خفيًا لا يطّلِع عليه الناس، ليصير علمًا منشورًا على صاحبه بما فعل، ويخزيه الله على رؤوس الخلائق.

ثم صدر الحكم في هذا المقام التحذيري بأسلوب التنبيه (ألا) في قوله: فقال: (ألا ولا غادر أعظم غدرًا)، (ألا هذه غدرة فلان)؛ ليهز نفوس السامعين هزًا وينفضها نفضًا، الذي مهَّد له بذكر الوعيد والجزاء أولًا؛ ليؤدي أسلوب التنبيه دوره، ويكون أوقع في النفس، فهو ادعى في هذا المقام من الأساليب الأخرى، وأتبعه في الحديث الأول بأفعل التفضيل والنفي في قوله: (ولا غادر أعظم غدرًا من)، فازداد بذلك التنبيه، وازداد شوق المخاطب إلى معرفة المفضَّل الواقع بعد(من)، وبعدئذ يأتي الإيضاح في قوله: (أمير عامة)، ويرجع تخصيص الأمير دون غيره؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير[٣]، واحتيج إلى مزيد من التنبيه والتأكيد؛ اهتمامًا به وتعظيمًا لشأنه، وفي الحديث الثاني دخلت أداة التنبيه على اسم الإشارة (هذه)؛ ليأخذ المخاطب حذره من لواء الغدر، فلا يشهر بنفسه بين الناس في هذا الموقف العظيم.

كل هذه الخصائص أحاطت الحكم: (حرمة الغدر) بجوانب من التأكيد فضلًا عن أداة التنبيه (ألا)، تضع الغادر في أشنع موقف من الرذيلة وينتظره أفظع عقاب؛ ليرعب هذا الجزاء الشديد نفوس المخاطبين فيحذروا الغدر ويتجنّبوه .

١٧-عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك! لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقُرّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه أحد منا، ثم قال: ألا رجل

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، ٢٧٥/٦.
(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٣٥٧/٥.
(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٨٧/٦.

يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه أحد منا، ثم قال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه أحد منا، فقال: قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم، فلم أجد بدًا؛ إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: اذهب، فأتني بخبر القوم، ولا تَذَعرهم علي، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حَمّام، حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهمي في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول الرسول ﷺ: ولا تذعرهم علي، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام[١]، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت، قَرَرت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان!»[٢].

من الواضح من هذا البيان النبوي أن المهمة التي أرادها النبي ﷺ خطيرة، في وقت اجتمع فيه شدة الريح وحصار الأعداء، لذا كان الحث على القيام بهذه المهمة عظيمًا، والمقام مقام خوف، فاحتاج إلى أن يحشد كل هذه الأساليب البلاغية لتتلاءم مع هذا المقام[٣]، من ذلك: افتتاح الحديث بتكرار جملة: (ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟) ثلاثًا؛ لمزيد من التشويق والحث حين شعر بتباطؤ الصحابة عن الاستجابة بدلالة الصمت، وصدر جملته بصيغة التحضيض والعرض (ألا)؛ تحفيزًا وتنشيطًا للمخاطبين.

ومما يزيد التشويق أنه ضمن العرض معنى الشرط في لزوم الجزاء وجعله عظيمًا وهو الدعاء في قوله: (جعله الله معي يوم القيامة)[٤]، وأتى بصيغة الخبر إظهارًا للحرص على وقوع المدعو به، وكونه بفعلٍ ماض فيه مزيد تفاؤل بتحققه؛ ليتشوف المخاطب إلى هذا الجزاء ويشتاق إليه، فيبادر إلى أداء العمل[٥].

ومن الترغيب أيضًا في هذا البيان الشريف اختيار لفظة (رجل) بعد "(ألا) التحضيضية ، ولا يخفى ما في ذلك من الترغيب والتنشيط لأداء المهمة المطلوبة؛ لما تدل عليه من معاني الكمال والقوة في الرجولة كما ذكرنا في الحديث السابق، ولمزيد من الترغيب كذلك مجيء التحضيض بلفظ (الإتيان) في قوله: (يأتيني بخبر القوم) وهو

---

(١) يعني: أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا، بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ، وذهابه فيما وجهه له، ودعائه ﷺ له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس، وهذه من معجزات رسول الله ﷺ، ولفظة الحمام عربية، وهو مذكر مشتق من الحميم، وهو: الماء الحار. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٨٦/٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب.

(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ١٧٥.

(٤) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢١٤.

(٥) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ١٧٥.

نتيجة الفعل المقصود، فلم يقل: ألا رجل يذهب أو ألا رجل يتبين، ونحو ذلك، وهذا التعبير يلمح بسلامة الذاهب ورجوعه إليه[١].

١٨-عن أبي هريرة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي، فقال: يا أبا هريرة، ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فجاؤوا يهرولون، فقال: يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش[٢] قريش؟ قالوا: نعم. قال: انظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا، وأخفى بيده، ووضع يمينه على شماله، وقال: موعدكم الصفا. قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه، قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، فقالت الأنصار: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ، قال: قلتم أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته ألا فما اسمي إذًا ثلاث مرات؟ أنا محمد عبدالله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم، قالوا: والله ما قلنا إلا ضنا بالله ورسوله، قال: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم»[٣].

استهل ﷺ الحديث بتوجيه النداء للأنصار: (يا معشر الأنصار) وهذا هو الخطاب النوعي؛ لأنه موجه لنوع من الناس ينتسبون إلى جماعة معينة، فهو ﷺ يتفنن في استعمال النداء مع مخاطبيه، هادفًا من وراء ذلك تحقيق أعلى مستوى للتواصل، وإيصال كلامه بشكل أكبر تأثيرًا[٤]، ثم أعقب النداء بالاستفهام: (هل ترون أوباش قريش...)؛ لحضهم على القتال، واختياره لفظة (أوباش) تحقيرًا وتهوينًا من شأنهم، وعدم الاعتداد بهم لكفرهم.

ولما رأى الأنصار رأفة النبي ﷺ بأهل مكة ووقف قتالهم ، قالوا: (أما الرجل فقد أخذته رأفته بعشيرته...) فقد ظنوا أنه حن إليهم وإلى العودة للسكن عندهم بمكة.

فجاء رده ﷺ مصدرًا بأسلوب التنبيه (ألا فما اسمي إذًا؟) لغرض التوجيه والتنبيه على خطأ الأنصار، فالمقام هنا عظيم، استوجب أسلوب التنبيه، فالرسول في نفسه شيء على الأنصار، وسألهم ﷺ سؤالًا عجيبًا! يسألهم عن

---

(١) ينظر: المفهم لما أشكل في تلخيص صحيح مسلم، القرطبي، ٦٤٧/٣.
(٢) الأوباش من الناس: الأخلاط وهم الضروب المتفرقون. لسان العرب، مادة: (وبش).
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: فتح مكة.
(٤) ينظر: أسلوب النداء في الحديث الشريف، ضحى حيدر علي، ٢٢٦.

اسمه؟ ألا فما اسمي؟ وكيف يشكون بالرسول ﷺوقد سماهم (أوباش قريش) محرضًا على قتالهم، وعدم الاغترار بقوتهم.

وكرر ثلاث مرات (ألا فما اسمي إذًا؟)؛ لأن الانفعال قد بلغ مداه؛ ليتنبه المخاطبون حتى يراجعوا نفسهم فيخجلوا من اتهامهم النبي ﷺ، وليقينه أن ذلك أبلغ في الدلالة وأسرع في حسم الموقف.

ثم تلقاهم بغير ما يترقبون بقوله: (أنا محمد عبد الله ورسوله)، وهذا كلام على طريقة الأسلوب الحكيم، قال السكاكي في شأنه: «وإن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور»[(١)].

وبعدها ذكر الأشياء التي تزيل أو تمحِّص هذا الشيء الذي في النفوس (هاجرت إلى الله ورسوله)، (فالمحيا محياكم والممات مماتكم) كناية عن البقاء والمكث معهم، وعدم تركهم بحال من الأحوال؛ ليزيل هذه الغشاوة التي ترسَّبت في أذهانهم وعقولهم، فهزّتهم هذه العبارة وما تلاها حتى بكوا واعتذروا ونطقوا: (والله ما قلنا إلا ظنًا بالله ورسوله)، وقوله ﷺ: (فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم) دلَّ على أنهم قاموا بشيء يستحق الاعتذار، وإشارة إلى أنه ما كان ينبغي أن يصدر منهم هذا الكلام.

١٩- عن عقبة بن عامر قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[(٢)].

أول ما يلاحظ أن الرسول ﷺ ركز على هذا الجزء من الآية؛ ليبين لنا أنه لا يفسرها، وإنما يشرح للمخاطبين معنى كلمة (القوة) التي نص عليها بعد ذلك وجعلها رأس كلامه، ثم إنه ﷺ افتتح جملته بكلمة (ألا)؛ لتوقظ من الغفلة وتستحضر الوعي والعقل، ولم يأتِ بعدها في كلام العرب إلا كلامٌ له شأن وبال عظيم، خاصة وأن المتكلم في مقام سيدنا رسول الله ﷺ فيتنبه المخاطب إلى ضرورة اليقظة الأشد؛ لأن الذي يوقظه بأداة الاستفتاح هو المبلغ عن فاطر السموات والأرض، ثم يعقب أداة الاستفتاح أم أدوات التوكيد (إن)[(٣)].

---

(١) مفتاح العلوم، ٣٢٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه.

(٣) ينظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم، محمد محمد أبو موسى، ٣٧٤، ٣٧٥.

ثم جاءت كلمة (القوة) في عبارته ﷺ معرفة، بينما كانت في الآية منكرة، ويدل ذلك أنه أراد أن يبين أن القوة المعرفة في كلامه هي نفسها القوة المنكرة في الآية السابقة؛ ليعرف بها ويخبر عنها، ثم جاءت كلمة (الرمي) معرفة أيضًا، قال العلوي: «اعلم أن المعرفة والنكرة يتعلق بكل واحد منهما معان دقيقة متعلقة بأسرار البلاغة»[١]، وتعريف الطرفين في الجملة يفيد القصر، قصر الرمي على القوة، وهذا الحصر لا يدل على انحصارها في الرمي.

ولا شك أن وسائل القتال في كل عصر تتغير، ولكن اختار النبي الرماية وحض عليها دون غيرها ليعلي من شأنها؛ «لما كان الرمي أنكاها في العدو، وأنفعها فسرها، وخصصها بالذكر وأكدها ثلاثًا، ولم يرد أنها كل العدة، بل أنفعها، ووجه أنفعيتها أن النكاية بالسهام تبلغ العدو من الشجاع وغيره، بخلاف السيف والرمح، فإنه لا تحصل النكاية بهما إلا من الشج عان الممارسين للكر والفر، وليس كل أحد كذلك، ثم أنها أقرب مؤونة، وأيسر محاولة وإنكاء»[٢].

وتكرار جملته ﷺ ثلاث مرات: (ألا إن القوة الرمي) فيه لفت ظاهر ومبالغة في التأكيد؛ ليبالغوا في العناية بها، ويشتد حرصهم على التدريب عليها.

٢٠- عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا كلكم راع[٣]، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»[٤].

الحديث يبرز مسؤولية كل فرد، ويدعوه إلى الإحسان في ما يرعاه من نفوس وأموال ومصالح، ويؤكد أن الراعي مسؤول عن رعيته.

والحديث بني بناءً واحدًا، كل جملة فيه مكونة من مبتدأ وخبر (كلكم راع)، (الأمير الذي على الناس راع)، (والرجل راع)، (والمرأة راعية)، (والعبد راع)، ثم أتى بجملة حالية مقيدة لكل هذه الجمل، وهي: (وكلكم مسؤول عن

---

(١) الطراز، العلوي، ٢٠٨.

(٢) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، ٧٥٩/٣.

(٣) الراعي: هو مسؤولية الحافظ للشيء المراعي لمصالحه، وكل من ذكر في الحديث قد كلف ضبط الراعي ما أسند إليه من رعيته، واؤتمن عليه، فيجب أن يجتهد في ذلك وينصح، ولا يفرط في شيء من ذلك. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الطيبي، ٢٧/٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

رعيته) تكررت بلفظ واحد، ونسق واحد، وبناء واحد، ست مرات، وهذا يعني أنها الأصل والمقصد وبقية الجمل تنويعات على هذا الأصل، وختم الحديث بالجملة التي بدأ بها، وبناها على التعميم والشمول: (ألا كلكم راع) قاعدة معناه، وقد دلنا بيانه ﷺ على مزيد عنايته بهذا المعنى، فاستفتح كلامه بأداة التنبيه والاستفتاح التي لا ترد إلا في كلام له شأن وخطر، وله مزيد عناية واهتمام، ويحرص المتكلم على أن ينبه إليه، وأن يدعو القلوب والعقول لتفتح له نوافذها، وهذا معنى الاستفتاح[١].

فهو ﷺ أجمل أولًا ، ثم فصل وأتى بحرف التنبيه مكررًا، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه، والفاء في قوله: (ألا فكلكم) جواب شرط محذوف[٢].

واختيار مادة (ر ع ى) جاءت دقيقة في دلالتها على المقام، فهي من وحي البيئة الصحراوية وتوحي بمعنى المسؤولية، مع احتفاظها بظلالها القديمة، فجعلت الإنسان يتخيل معها عملية الرعي وصورة الراعي، وما يجب أن يتحلى به من صبر ورأفة وحسن تدبير وإلا وقعت غنمه فريسة للذئاب، فالتعبير بلفظ الرعي أدل على هذا المعنى من غيره؛ لشدة التصاقه بحياة العرب[٣].

وجاء التعبير بالجملة الاسمية في قوله: (والمرأة راعية...)، وفي قوله: (وهي مسؤولة عنهم) مرتين؛ لبيان أن هذه الأعمال ثابتة في الزوجة، متناسبة مع طبيعتها وفطرتها.

والتكرار في كل فقرة من فقرات الحديث يؤكد معنى المسؤولية، ويقررها في الأذهان؛ حتى لا يدع مجالًا للشك بأن كل إنسان مسؤول بطريقة ما، على اختلاف نوع المسؤولية وصورها[٤].

---

(١) ينظر: شرح أحاديث من صحيح بخاري، محمد محمد أبو موسى، ٤٠٧، ٤٠٨.
(٢) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ١١٣/١٣.
(٣) ينظر: تحليل الخطاب النبوي للمرأة، محمود قدوم، ٧٥، ١٢٤.
(٤) ينظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، محمد الندوي، ٣٠٢- ٣٠٩.

وجاء الخطاب في الحديث الشريف للأمة بكل أجناسها وطبقاتها في قوله: (كلكم راع) الكل يرعى أمرًا، ثم اصطفى عليه السلام الإمام؛ لأنه الأساس فإذا صلح صلح الناس وإذا فسد فسد الناس، ثم انتقل إلى الأسرة من أب وأم.

وخصَّ المرأة بالذكر في المسؤولية؛ ليبرز شأنها، وأهميتها في رعاية أسرتها وتقديرًا منه لها في تحملها هذه المسؤولية[١].

ومن خلال ما تقدَّم تتجلى أهمية الأسرة والعناية بها في الإسلام، والتأكيد على أهمية كل فرد في الأسرة، وهذا التأكيد ساعد في ترسيخه تآلف عدة أساليب، ألا وهي: استفتاح الرسول ﷺ بأسلوب التنبيه (ألا)، ثم استخدامه الإجمال ثم التفصيل، ثم التكرار، ولا يخفى أثر التدرج والترقي، بدأ بالأمير ثم الرجل ثم المرأة ثم العبد، واختيار مادة الرعاية، كذلك بناء الحديث كله على الموازنة[٢]، وهي من بُنى البديع القائمة على تعادل أجزاء الكلام ، وهي سمة في بيانه ﷺ؛ ليسهل حفظه في القلوب.

٢١- عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ليضيفه، فلم يكن عنده ما يضيفه، فقال: ألا رجل يضيف هذا، رحمه الله، فقام رجل من الأنصار يقال له: أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله»[٣].

يعرض الرسول ﷺ على أصحابه الكرام أن يضيفوا رجلًا أتاه يشكو الجوع والإجهاد، فتعاضدت في هذا البيان النبوي عدة مشوقات ومحفزات في أسلوب يثير الشوق والتطلع؛ لأن المقام مقام حث ونفث الإرادة في المخاطبين؛ لأداء المهمة المطلوبة، وهي إكرام ضيف النبي ﷺ.

---

(١) ينظر: شخصية المرأة المسلمة، محمد علي الهاشمي، ١٦١.

(٢) هي: أن تكون الفاصلتان متساويتان في الوزن دون التقفية، فإن كان ما في القرينتين من الألفاظ، أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة، ينظر: الإيضاح، القزويني، ١١٢-١١٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره.

فبدأ خطابه ﷺ أولًا بأداة العرض والتحضيض (ألا) في قوله: (ألا رجل يضيف هذا، رحمه الله) أسلوب فيه إلهاب وتهييج للمخاطب بهذا العرض في طريقة بنائه؛ لأنه ضمنه معنى الشرط في لزوم الجزاء الكبير، وهو الدعاء له بالرحمة: (رحمه الله)، جزاءً لهذا الخلق الكريم.

واختياره لفظة: (رجل) وما توحيه من معاني القوة والشدة كما ذكرنا سابقًا، وهذه سمة كما نرى، فهذه المرة الثالثة التي يستخدم فيها الرسول ﷺ (ألا) مع لفظة (رجل)، فلم يقل (ألا مسلم)، أو (ألا مؤمن) ليغرس الرجولة في نفوس المخاطبين، ويحفز الفطرة الرجولية؛ لأن الإسلام دين فطرة، كما جاءت لفظة (الرحمة) في دعائه ﷺ متناسبة مع الفعل، فالجزاء من جنس العمل؛ لأن حالة الرجل الذي قدم على النبي ﷺ ليستضيفه قد أصابه الجهد تستدعي الرحمة والإحسان إليه، وجاء هذا الدعاء بصيغة الخبر؛ إظهارًا للحصر بوقوع المدعو به، وكونه بفعل ماضي يشعر بمزيد من التفاؤل في تحقق المدعو به، تشويقًا للقيام به[(١)].

٢٢- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: « قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده! لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»، وفي رواية: عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني فرط لكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة كأن الأباريق فيه النجوم »[(٢)].

من الأمور الغيبية التي اختص بها رسولنا الكريم ﷺ الحوض، وجاءت أحاديث كثيرة في وصفه وتصويره، من ذلك هذا الحديث في الرواية الأولى الذي بني على الحوار، وبنيته تكوّنت من سؤال الصحابي عن الحوض ثم من جواب الرسول ﷺ الذي صدره بالقسم الذي يُرَاد منه التوكيد في قوله: (والذي نفس محمد بيده) ولام القسم في قوله: (لآنيته)، ثم بدأ بعد ذلك بذكر أوصاف الحوض وتصويره، واستعان بأدوات مختلفة في التصوير منها:

أولًا: استعان بالمشاهد الطبيعية حينما أراد أن يذكر كيزان الحوض وأباريقه وآنيته ، فقال:

(لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية)، ووردت (ألا) هنا لتأكيد تكثير آنية الحوض بأنها كعدد نجوم السماء، ليس في الليلة المقمرة حيث لا تظهر النجوم كلها، بل في الليلة شديدة الظلام

---

(١) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٢٧٩، ٥٥٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

التي لا سحاب فيها ولا ضوء قمر، والتشبيه في قوله: (كأن الأباريق فيه النجوم) يعني في الكثرة أو اللون يعني تضيء كنجوم السماء، ثانيًا: بالأبعاد والشكل الهندسي: (عرضه مثل طوله) مبالغة في السعة وهنا تشبيه، فقد اعتاد الناس أن المسافة في الطول أكبر مسافة من العرض، وبالمسافات بين المدن: (ما بين عمان إلى أيلة)، (صنعاء وأيلة) رابعًا: سلك مسلك الموازنة في قوله: (ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل)، وهنا شبَّه ماء الحوض باللبن في لونه وبالعسل في طعمه ، وهو من باب التشبيه البليغ الذي حُذِف منه الوجه والأداة، فتشترك عدة حواس: البصر، والشم، والتذوق، وقد أترعت هذه الحواس بفيض من الجمال؛ ليقرب هذا الأمر الغيبي البعيد عن التصور[١]، كل هذا في حوض نبينا عليه الصلاة والسلام، أعطاه الله إياه نعمة وشرفًا وكرامة.

ولا ننسى الجملة الشرطية وأثرها أيضًا في التأكيد في قوله: (من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه)، وكذلك تكرارها في قوله: (من شرب منه لم يظمأ).

وفي الرواية الثانية افتتح كلامه بأسلوب التنبيه (ألا) وأسلوب التوكيد (إن)، فاجتمعت كل هذه الأساليب في كلامه ﷺ للتوكيد؛ لاهتمامه بالمعنى، واستعظامه له، ورغبته في تقريره في النفوس، والتأثير في الأذهان و« تجد هذه الأساليب تشيع في الأساليب التعليمية سواء كانت أدبية أم علمية... فترد عبارتك مؤكدة؛ لأنك حريص على بث الفكرة وتقويتها، وإثارة اهتمام النفوس بها»[٢].

٢٣- عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: « قال رسول الله ﷺ: ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله[٣]، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله »[٤].

خاطبت بلاغة النبي في هذا الحديث المخاطبين، بالاستفتاح بأداة التنبيه (ألا)؛ لتحريك كوامن أحاسيسهم وضمائرهم ، والتنبيه وجذب الإصغاء في مقام التهديد ، فالنبي ﷺ يهدد ويتبرأ من كل من اتخذ خلة، والخلة أعلى مقامات المحبة، وهي لا تصرف إلا لله، وأشار ﷺ إلى السبب من براءته من خلة المخلوقين، وهو أن الله اتخذه خليلًا، فمع حبه ﷺ لأبي بكر ﷺ إلا أنه نفى عنه الخلة.

---

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ١٤٦، ١٤٧،٥٨١.

(٢) خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، ٩٥.

(٣) الخُلَّة، بالضم: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي: في باطنه، والخَلِيل الصَّدِيق، وإنما قال ذلك؛ لأَن خُلَّتَه كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره مُتَّسَع ولا شَرِكة من مَحابِّ الدنيا والآخرة، وهذه حال شريفة لا ينالها أَحد بكسب ولا اجتهاد، فإن الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أَجمعين. ينظر: لسان العرب، مادة: (خلة).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وأوجز في كلامه ﷺ؛ لكي لا يمل المخاطبين من الحديث ولا يدبّ إليهم سآمة، والكلام إذا طال صعب حفظه وتذكره، يقول الأستاذ الزيات: «الإيجاز غالب على أسلوب الرسول ﷺ؛ لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك»[١].

لقد ساهمت هذه الأساليب جميعًا: (أسلوب التنبيه (ألا)، أسلوب الشرط (لو)، التأكيد بـ(إن)، الإيجاز) في تقريب الأغراض المرادة، وخلق التأثير المطلوب؛ ليحسن وقعها في إفهام المخاطبين، واندفاعهم إلى الامتثال لأوامره ﷺ.

٢٤- عن أبي حيان حدثني يزيد بن حيان قال: « انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا؛ رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا! حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا بن أخي، والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه ، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمّا[٢] بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. وفي رواية: عن زيد بن أرقم قال: دخلنا عليه، فقلنا له: لقد رأيت خيرًا! لقد صاحبت رسول الله ﷺ وصليت خلفه وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان غير أنه قال: ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عز وجل، هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة وفيه : فقلنا: من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده »[٣].

---

(١) وحي الرسالة، ٣/٧٩.

(٢) بما يدعى خُماً: وهو موضع فيه ماء ويسمى ذلك الماء أو المكان (خُماً) بضم فتشديد، وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة، ينظر: مرقاة المفاتيح، علي القاري، ١١/ ٢٩٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هذه خطبة ومناسبتها الوصية بكتاب الله بحفظه وعدم هجره وبمعرفة حدوده والعمل به، فاستفتح بأسلوب التنبيه (ألا)؛ ليثير حواس السامعين ويجذب انتباههم، ويجعلهم بكامل التركيز لما سيقال لهم، فالأمر عظيم من شأنه أن يعنى به غاية العناية، وأن يهتم به كامل الاهتمام، ثم أعقبه بأسلوب النداء (ألا أيها الناس)، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر في جعل السامعين مقبلين، متيقظين، متنبهين؛ ليكون التواصل على أتمه، ويحقق الرسول ﷺ غايته في تبليغ المراد، فعلاقة النداء بالتنبيه هي علاقة الخاص بالعام، فالنداء جزء من التنبيه ووسائله، وأحد أغراضه[١].

ثم جاء بالقصر بـ(إنما): (فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي)؛ للدلالة على دنو أجله فيوصيهم بهذه الوصية، ولعظمها جاءت بأسلوب التنبيه بـ(ألا) وأسلوب التوكيد بـ(إن): (ألا وأني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله...)، (وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي) أي: أني خلفت فيكم خليفتين من بعدي أوصيكم بهما خيرًا: كتاب الله وأهل بيتي، فاحفظوهما، وكرر (أهل بيتي) أربع مرات؛ فمن راعى رسول الله ﷺ في أهل بيته جدير به أن يراعي سنته وما أمر به، فيكون المحافظ على هذه الوصية آخذًا بكتاب الله وسنة رسوله.

ولماذا أوثر التعبير بالثقلين عن الكتاب وأهل البيت؟ قال القاضي عياض: «قِيل سُمِّيَا بذلك؛ لعِظم أقدارهما، وقيل: لشدَّة الأخذ بهما»[٢]، وقال النووي: «سمِّيَا ثَقلين؛ لعظمهما، وكبير شأنهما»[٣]، وقال البغوي: «فجَعلهما ثَقلينِ؛ إعظامًا لقدرهما»[٤].

خطبة بليغة وجيزة، وهذا من دقائق لغة الحديث النبوي ونظمه، وجمال أسلوبه؛ إذ يعبر عن المعاني الكثيرة بقليل من اللفظ، وهذا ضرب من الإيجاز، الذي يعد من صور التنوع في بنية الجملة النبوية أسلوبًا، وللإيجاز بأنواعه أدوار مفيدة يؤديها؛ إذ إنه يحافظ على نشاط ذهن السامع، ويبعد عنه الملل، وفيه توسع في الدلالة

---

(١) ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ضحى حيدر، ١١٧.
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٣٤/١.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩١/٨.
(٤) تفسير البغوي، ٤٤٧/٧.

الإيحائية، فيجعل النفس تتصور وتتخيل، وفيه تكثيف للمعاني بألفاظ يسيرة، وفيه دعوة إلى تركيز انتباه المتلقي على الحدث المراد دون ما سواه[١].

٢٥- عن ابن عمر، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»[٢].

درجة الإثارة هنا أشد من كل ما سبق؛ لأن المقام مقام فتنة والتحذير منها، فهي الأعظم خطرًا في الدين، وقد استهلَّ الحديث بجملة تأكيدات لافته بذاتها، فالاستفتاح بأداة التنبيه (ألا) يلفت إلى خطورة القضية التي استهلت بها، ثم يأتي الأسلوب الخبري المؤكد بـ(إن) في قوله: (إن الفتنة...)؛ ليزيد المتلقي انتباهًا واستحضارًا، ثم تكررت الجملة الخبرية مع الأداة نفسها مرتين في قوله: (ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا)؛ لاستغراق خبايا الشعور بالانتباه عند المخاطب لمعرفة سر هذا التكرار، وقد كان النبي ﷺ يستعمل هذا التكرار في الأمور المهمة التي يرى ضرورة توكيدها، وترسيخها في الأذهان، وذلك ما أشار إليه الخطابي بقوله: «إنما يحتاج إلى التكرار، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بترك التكرار وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها»[٣]، فهذا الأسلوب ذو فاعلية مؤثرة في الأداء من حيث تكثيف المعنى وتعميقه، بوصفه منبهًا فنيًا يندفع منه المعنى وينطلق، فتشوقت نفسه ويتهيأ ذهنه لاستقبال الجواب الشافي[٤].

واختياره لـ(ههنا) و(استقباله للمشرق) فيها لفت حسي، و(ألا) لفت معنوي، فاجتمع الحسي والمعنوي لأمر عظيم، يقول الصباغ: «كان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر، وتنبِّه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكّر، فإذا أراد ذكر القلب مثلًا أشار إلى صدره، كما في قوله ﷺ:(التقوى ههنا)»[٥].

اتكأ الحديث على أسلوب التنبيه بالأداة (ألا)، ثم كرر هذه الأداة لإيقاظ الحواس وتنبيه السامعين، ثم أعقبها بالإشارة المفهمة (ههنا) مقرونة بالنطق؛ من أجل تأكيد المعنى، فضلًا عن أنها وسيلة تعين على الحفظ والتذكر،

---

(١) ينظر: بلاغة الإيجاز والإطناب في بناء الجملة الحديثية، هناء محمود شهاب، محمد عاصم النعيمي، ١٩١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الفتنة من المشرق.
(٣) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ٤٨.
(٤) ينظر: التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، محمد عبد المطلب، ٥١.
(٥) الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، ٥٧.

فساهمت هذه الأساليب جميعًا في الدلالة على مدى هول هذه الفتنة، والتحذير الشديد من وقوعها، وهل ثمة أمر أدعى للتنبه والتيقظ من خطر هذه الفتنة؟

٢٦-عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر»[١].

حديث عظيم يبعث في نفس المتلقي الرهبة والخوف، فالرسول ﷺ يحذِّر أمته من المسيح الدجال، شأنه في ذلك شأن كل الأنبياء من قبله، فلم يبعث الله نبياً إلا وحذَّر قومه من فتنة المسيح الدجال.

وقد سلك الرسول ﷺ أسلوبًا بيانيًا مشوقًا في بيان هذه الحقيقة وإيضاحها، من ذلك أنه افتتح حديثه بأسلوب القصر بالنفي بـ(ما) والاستثناء (إلا)، الذي جاء تمهيدًا لأسلوب التنبيه (ألا)؛ للفت انتباه المخاطبين، وطلب يقظتهم، لهذا الموضوع العظيم المتعلق بالمسيح الدجال وبيان صفته.

لذلك اتخذه الرسول ﷺ لبيان كثير من القضايا العقدية وإبرازها، ولقد ذكر الرسول ﷺ علامته بشكل مفصّل؛ حتى لا يخفى بعد ذلك على أحد، وهذا من حرصه على نجاة أمته من هذا الأعور الكذّاب، إنه أعور العين اليمنى، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر)[٢].

وقد وظّف طباق السلب توظيفًا جميلًا هنا؛ ليؤكد هذه الصفة في المسيح الدجال، فحين يكون الغرض نفي صفة لإثبات ما يناقضها فالعبارة اللازمة لذلك هي سلب الأخرى، وذلك في قوله: (إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور)[٣]؛ وذلك لتتضح علامته وصفته بشكل لا يمكنه أن يخفى على المؤمنين[٤].

٢٧- عن عياض بن حمار المجاشعي « أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا؛ كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه.
(٢) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، الصباغ، ٢٥٣.
(٣) السلب والإيجاب عند البلاغيين، أشار إليه ابن أبي الأصبع بمصطلح (طباق السلب): إتيان المتكلم بجملتين أو كلمتين إحداهما موجبة، والأخرى منفية، وقد تكونان منفيتان معًا. تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع المصري، ١١٤.
(٤) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، الصباغ، ٢٥٣.

الشياطين فاجتالتهم [١]عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشًا، فقلت: رب إذا يثلغوا[٢]رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك. قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط، متصدق، موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال، قال: وأهل النار خمسة؛ الضعيف الذي زبر له، الذين هم فيكم تبعًا لا يبتغون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب والشنظير[٣] الفحاش»[٤].

يستفتح النبي ﷺ خطبته بأسلوب التنبيه (ألا)، فقد أراد من هذا الأسلوب تشويق السامعين، واستدعاء انتباههم، ولفت نظرهم إلى مضمون الخطبة، ثم أعقبه بأسلوب التوكيد (إن)؛ دلالة على الاهتمام بما سيخبرهم، ومبالغة في تنبيههم، وترغيبًا لهم فيه، وذلك في قوله: (ألا إن ربي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا) فيعلم أصحابه بما أوحى الله إلي في هذا اليوم بخصوصه؛ بدلالة قوله: (يومي هذا)، فيُحمَل هذا على سرعة استجابته ﷺ لتعليم أصحابه، وحرصه ورحمته بهم، فهو مأمور أن يبلغ ما أنزل إليه لا خصوص ما أنزل إليه في ذلك اليوم، ولا شك أنه قد تمكن من تحقيق ما يريد من خلال هذه الأساليب في جعل السامعين متلهفين، متطلعين، إلى ما سيلقيه إليهم، ثم بدأ بعد ذلك بإخبارهم بما يريد، وذكر الأمر الذي يريد تحقيقه وهو سرد ما علمه الله تعالى وأوحى إليه في يومه هذا.

---

(١) فاجْتالَتْهم الشياطين: أَي اسْتَخَفَّتْهم فَجالوا معهم في الضلال، ينظر: لسان العرب، مادة(جول).

(٢) الثلخ: الشدخ، وثلغ الشيء يثلغه ثلغاً: شدخه، وثلغ رأسه يثلغه ثلغاً: هشمه وشدخه، وقيل هو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ، ينظر: لسان العرب، مادة(ثلغ).

(٣) الشنظير: الفاحش الغلق من الرجال والإبل السيء الخلق، ورجل شنظير: بذيٌّ فاحش، ينظر: لسان العرب، مادة(شنظر).

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

ثانيًا: الجملة الفعلية:

١- عن عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثًا) الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، (أو قول الزور)، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[١].

يستثير النبي ﷺ رغبة الصحابة في المعرفة، ويشوّقهم ويرغبهم إلى التعلُّم، حينما يستفهم عن ترك إخبارهم بالعلم؛ لأن النفس الإنسانية تتطلع إلى المعرفة، وتنفر من الجهل، فكيف إذا كان العلم من الرسول عليه الصلاة والسلام والمخاطبون هم الصحابة ﷺ![٢]

ولم يسرد الكبائر مباشرة، وإنما مهّد وشوّق لها، فاستهلّ الحديث بالأداة (ألا) في قوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)؛ لتأكيد العناية بالكلام، ولإحضار الأفهام، واستثارة للحوار، وإثارة رغبتهم في معرفة أمر جديد يجنّبهم الوقوع في أمور خطيرة وهي أكبر الكبائر، وكرر العبارة ثلاثًا؛ إشعارًا لهم بالاهتمام بأمر هذه الكبائر وعظمها، كما أضفى قدرًا من التحذير والترهيب من ارتكاب تلك الكبائر.

وآثر ﷺ استخدام الفعل: (أنبئكم) من «(النبأ)، وهو: الخبر ذو الفائدة العظيمة الذي يحصل به علم أو غلبة ظن»[٣]؛ للدلالة على المعنى المقصود، وما له من شأن عظيم، وشدة خطره على الإنسان؛ لأنها من أكبر الكبائر، وهذا الفعل لم يستعمل إلا فيما له وقع عظيم[٤].

وجاء الجناس الاشتقاقي في الكلمتين: (أكبر) و(الكبائر)؛ ليلفت انتباه السامعين إلى هذه الكبائر، كما جاءت كلمة (أكبر) اسم تفضيل دلالة على شأن هذه الكبائر العظيم، بالإضافة إلى أن كلمة (كبائر) جاءت جمعًا على وزن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها.
(٢) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٢٠٥.
(٣) من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، محمد محمد أبو موسى، ٤٠.
(٤) ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوري، ٨٨٦.

فعائل؛ لتفيد الكثرة، لبيان أن الكبائر كثيرة ومتنوعة، وليست محصورة في هذه الكبائر الثلاث التي ذكرت في هذا الحديث.

ثم ذكر ﷺ هذه الكبائر على سبيل الترقي والتدرج في الخطورة والذنب بادئًا بـ: (الإشراك بالله) أولًا وهي أم الكبائر جميعًا بل أشدها على الإطلاق، ثم ذكر الكبيرة الثانية: (عقوق الوالدين) وجعلها بعد الإشراك بالله؛ للدلالة على خطورة عقوق الوالدين، ثم ذكر ثالث هذه الكبائر: وهي (قول الزور، وشهادة الزور) ولعظم مرتبة هذه الكبيرة جاءت مع الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وربط بين هذه الكبائر بحرف العطف (الواو) الذي يدل على المصاحبة والمشاركة؛ لما لهذه الكبيرة من مفاسد شنيعة وضرر بالغ ، بل وكرر كلمة (الزور) بلفظها مرتين؛ لتأكيد تحريمها وعظم قبحها؛ «كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا بين الناس والتهاون بها أكثر»[(١)].

ومجيء البناء النحوي نفسه مصدر لفعل ثلاثي مضاف لاسم معرف بـ(ال)، في قوله: (وعقوق الوالدين، وشهادة الزور)، بخلاف قوله: (الإشراك بالله) جاء مصدر معرف بـ(أل) لفعل رباعي؛ إشعارًا بخصوصية هذه الكبيرة عن غيرها، وهذا التوازن النحوي المكرر مما لا شك فيه أنه يسهم في تحقيق أعلى درجات السبك والتوازن؛ لأن الرسول ﷺ أراد لهذا البيان أن يحفظ بالأذهان ويرسخ في القلوب، ونرى مثل هذا في قراءة الإمام عبد القاهر لمدح البحتري الفتح بن خاقان التي يتغنى فيها بقوله:

فكالسيف إن جئته صارخًا وكالبحر إن جئته مستثيبًا

حيث جاء البناء في الشطر الثاني على نحو البناء في الشطر الأول، وجعلها الإمام من الأشياء التي تروّع القارئ وتدهشه عند سماع البيان العالي، وذلك في قوله: « فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازًا في نفسك، فعد فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورةً أن ليس إلا...وعاد وكرر وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو، فأصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه وأتى مأتى يوجب الفضيلة»[(٢)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩٣/٥.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٨٥/١.

واستعمل وسيلة حسية تسترعي الانتباه كان يفعلها إذا أراد أن يؤكد أهمية الموضوع الذي يتحدث فيه[١]، وهي تغيير هيئته ووضعه من هيئة الاتكاء وما فيها من استرخاء إلى هيئة الجلوس؛ للتحذير[٢] وزيادة في التنبيه، وإيقاظًا للقلوب؛ لأنه من الأمور المهمة والخطيرة للغاية.

والتكرار سمة في هذا الحديث، وإن اكتفى الراوي بوصفها ثلاثًا في المرة الأولى، ففي قوله: (قال: ثلاثًا)، هذا يعني أنه قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)، ووصفه في المرة الثانية بقوله: (فما زال يكررها) يدل أنه قال ﷺ: (وشهادة الزور، وشهادة الزور، وشهادة الزور)؛ لتأكيد الاهتمام بما يخبرهم به، وليعلق في أذهانهم، فالتوكيد اللفظي يكون بإعادة الجملة أو شيء منها، على الوجه الذي يلمس المتكلم حاجة المعنى إلى إعادته[٣]، وجعل البلاغيون من أهم أغراض التكرير في المقامات البلاغية: تقرير المعنى وتثبيته في النفس؛ لأن الكلام كما قيل: إذا تكرر تقرر[٤].

فإيقاظ المخاطب بتلك الطرق من تقديم السؤال والتنبيه اللافت للأذهان قبل الدعوة إلى مضمونه التشريعي، واعتداله بعد اتكائه، لما يدفع إلى اهتمام مفرط أغنت فيه الحركة عن أفصح التعبيرات، وتكرار النهي[٥]، فأخذت قلوب الصحابة، وانخلعت نفوسهم؛ إشفاقًا ورحمةً على إمامهم الحبيب ﷺ، وعلى أنفسهم أيضًا، وتمنوا لو أنه سكت رحمة له، وخوفًا من غضبه[٦].

ولا يبعد أن تكون أمثال هذه الأحاديث الكثيرة في البيان النبوي أن تكون هي مصدر الإلهام لعبد القاهر عندما قال: « وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتةً غفلًا، مثل إعلامك له بعد التنبيه والتقدمة له...»[٧].

٢- عن أبي هريرة قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا ثم انصرف فقال: يا فلان! ألا تحسن[٨] صلاتك؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي»[٩].

---

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ٥٣١.
(٢) ينظر: توصيف الإشارة في الحديث النبوي الشريف، هاني آل يونس، دعد العبيدي، ٢١٣.
(٣) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٨٠.
(٤) ينظر: البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية، يوسف العليوي، ١٤٠.
(٥) ينظر: البيان النبوي، رجب بيومي، ١٩٤، ١٩٥.
(٦) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٨٣.
(٧) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ١٣٢.
(٨) الإحسان ضد الإساءة، وهو فعل الحسن، وإتقان الشيء، وإجادة صنعه وإحكامه. ينظر: لسان العرب، مادة: (حسن).
(٩) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها.

افتتح الحديث بالنداء النبوي: (يا فلان) وما ينطوي عليه من معنى الطلب والإقبال، وصاحبه صيغة التنبيه (ألا) في قوله: (ألا تحسن صلاتك) للتأثير في قلب المخاطب، فالنبي ﷺ ينكر عليه ويعاتبه على إساءته في صلاته، ويحضه على الإحسان في الصلاة[١]، ولأجل ذلك كرر النبي ﷺ صيغة التنبيه (ألا) في قوله: (ألا ينظر المصلى) مبالغة في الحث والتحضيض على الإحسان في الصلاة.

وخاطبه بصيغة المضارع للدلالة على التجدد ودوامه: (ألا تحسن... ألا ينظر) في أمر مضى، وكان الظاهر أن يقال: (ألا أحسنت.. ألا نظرت)؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يحضه على الإحسان، وتجدده فيه في كل صلاة يصليها، فالتنبيه والإنكار ليس مقصورًا على هذه الصلاة دون غيرها[٢].

ثم عضد أسلوب القسم: (إني والله لأبصر من ورائي...) أسلوب التنبيه والنداء في تحقق التوجيه، وإقناع المخاطب بالامتثال للنصح والأمر، فالحلف بالله تعالى لتأكيد الأمر وتفخيمه، والمبالغة في تحقيقه، وتمكينه في النفوس[٣].

وتأمّل الدقة في اختيار لفظة (الإحسان) دون غيرها؛ مع مقام المخاطب الذي لم يحسن الفعل ويحكمه وهي صلاته.

لقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تهيئة المخاطب لتلقي التوجيهات؛ لهذا اهتم بأداء هذه التوجيهات بأساليب يمهّد لها، بافتتاحه الخطاب بالنداء وما فيه من تنبيه وتنشيط للذهن، ثم أتبعه بأسلوب التنبيه (ألا) مكررًا، مما يجعله أكثر تأثيرًا وشدًا للانتباه، لقد وظّف كل هذه الأساليب لتخدم التوجيه والأمر بإحسان الصلاة والخشوع وإتمام الركوع والسجود.

وكما أن الأمر بشيء فيه عناء ومشقة يحتاج إلى لطف وتودد في الخطاب، كذلك العتاب فإن النبي ﷺ يغلف عتابه لأصحابه بأسلوب فيه رقة ولطف، من خلال طرح سؤال ليتفهم فعلهم؛

٣- عن أبي هريرة قال: « أُتي رسول الله ﷺ يوما بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد؟

---

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في الحديث النبوي، أحمد عناني، ٧٠.
(٢) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٦٠٠.
(٣) ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ضحى حيدر، ٣٠٤، ٣٠٥.

فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة، دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ، فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى ﷺ، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب، أمتي، أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى. وفي رواية: وحدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن عمارة

بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع، وكانت أحب الشاة إليه، فنهس نهسة، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم نهس أخرى، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، فلما رأى أصحابه لا يسألونه، قال: ألا تقولون كيفه؟ قالوا: كيفه يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين، وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان، عن أبي زرعة وزاد في قصة إبراهيم، فقال: وذكر قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾[١]، وقوله لآلهتهم: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[٣] ، قال: والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة، قال: لا أدري أي ذلك قال»[٤].

كان النبي ﷺ يحض أصحابه على الحوار، عن طريق حضهم على السؤال؛ ليتعلموا أمور دينهم كما في هذا الحديث الذي يقدِّم فيه النبي ﷺ بين يدي أصحابه خبرًا غيبيًا، بينما ينهس من ذراع الشاة، فيقول لهم: أنا سيد الناس يوم القيامة، ويتوقف عن متابعة كلامه، ثم ينهس نهسة ويكرر كلامه، ثم يمسك عن الكلام، يريد أن يدفعهم إلى السؤال، فلما تكرّر سكوتهم[٥]، انطلق يحضّهم ويحثّهم على الاستنباط بالاستفهام (هل) في الرواية الأولى: (هل تدرون بم ذاك؟...)، وبأداة الحض والتنبيه (ألا) في الرواية الثانية: (ألا تقولون كيفه؟...) حضاً مباشرًا لهم، وهذا هو منهج الإسلام في العلم والتعلم والتفكر والنظر ، فهو لا يرضى لأمته التقليد ويحثّها على النظر وحسن التدبر.

وقوله: (أنا سيد الناس يوم القيامة) من التتميم البليغ في (يوم القيامة)، وذلك لا يعني نفي هذه السيادة في الدنيا، وإنما ظهورها يوم القيامة ظهورًا لا ينكره أحد[٦].

---

(١) سورة الأنعام:٧٦.
(٢) سورة الأنبياء:٦٣.
(٣) سورة الصافات:٨٩.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
(٥) ينظر: أسلوب الحوار، خليل محمد أيوب، ٧٦.
(٦) ينظر: البديع في صحيح بخاري، خالد داود، ٢٩٤.

ثم يضع ﷺ بين أيدينا صورة أخروية منذرة، ولقد حرص على أن يوفر لصورته كل ما من شأنه أن يهزّ القلوب، ويرجّ النفوس، وكان أول ما صنعه في سبيل ذلك أن بنى كلامه بناء واحدًا وكرّره بالتركيب نفسه؛ ليُحفَظ في الأذهان، ويرسخ في الذاكرة، في قوله ﷺ وهو يصوّر لهفة السائلين وتشوّقهم إلى من يشفع لهم يوم القيامة: (ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟...).

ثم كرّر البناء نفسه على لسان أقوام الأنبياء، ورسم مدى تشوقهم ولهفتهم للنجاة من هذا العذاب ، وذلك في :

حوارهم مع آدم عليه السلام:

(يا آدم، أنت أبو البشر... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟... فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعد مثله...).

حوارهم مع نوح عليه السلام:

(يا نوح، أنت أول الرسل... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟... فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعد مثله...).

حوارهم مع إبراهيم عليه السلام:

(أنت نبي الله وخليله... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟... فيقول لهم إبراهيم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعد مثله...).

حوارهم مع موسى عليه السلام:

(يا موسى، أنت رسول الله... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟... فيقول لهم موسى: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعد مثله...).

حوارهم مع عيسى عليه السلام:

(يا عيسى، أنت رسول الله... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟... فيقول لهم عيسى: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعد مثله...).

حوارهم مع محمد ﷺ:

(يا محمد، أنت رسول الله... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟...).

وهذه من الأساليب الجديدة التي لم يسمع بها في كلام أحد قبل النبي ﷺ، وهي جديرة بالدرس والتحليل، يقول الشيخ أبو موسى في باب الموازنة والتماثل: وهذا باب جديد في بيان النبوة لم يدرس[(١)].

لقد تجاوز هذا الحديث الإبلاغ إلى الإثارة وهذه هي وظيفة اللغة، فهي تكشف في كل مظاهرها وجهًا فكريًا ووجهًا عاطفيًا، ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري، وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها[(٢)].

٤- عن أبي سعيد الخدري «أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ ، قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة، صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تضارون في رؤية الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر، وفاجر، وغبر أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة، ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى،

---

(١) سلسلة شرح أسرار البلاغة، الدرس ٢٢ من الدروس الصوتية.

(٢) ينظر: الأسلوبية والنقد الأدبي، عبدالسلام المسدي، ٤٠.

فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة، ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم، ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر، وفاجر، أتاهم رب العالمين –سبحانه وتعالى– في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون، تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا، أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه، إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد، خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين، لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير، فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير، فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً»[(١)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية.

يبادر الصحابة في الحديث إلى سؤال النبي ﷺ عن رؤية الله تعالى، فيجيبهم ﷺ عن ذلك، ويستخدم أسلوب الاستفهام والقصر في توضيح إجابته، وتثبيتها في نفوسهم: (هل تضارون في رؤية الشمس..) (وهل تضارون في رؤية القمر...) (ما تضارون في رؤية الله...إلا كما تضارون).

ثم يخبرهم الرسول ﷺ بمشاهد يوم الحشر من أنه يطلب من كل أمة في آخر هذا اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبده، ثم ذكر لهم عدة أمور مهمة، منها: حشر الكفار إلى النار، ومسير المؤمنين إلى الجنة على الصراط، وخلاص المؤمنين من المنافقين، ويصور الرسول ﷺ هذه المعاني بصور رائعة تعتمد على الموازنة والتشبيه والوصف.

ونلمس في هذا الحديث حضور التوازن والتكرار في بناء الحديث: (فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟... فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا. فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟... فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب، يحطم بعضها بعضًا)؛ لأنه يعطيه نغمًا يجذب إليه القلب ويشعره بالارتياح، كما يساعد على رصانة الفكر ووضوح المعنى وتقويته ورسوخه في الذهن؛ فالمتكرر أوضح من المتنوع وفقًا لما يتطلب السياق[١].

وهذا المشهد شغل الحوار منه الجزء الأكبر، فيبدأ الحوار مع اليهود بسؤالهم من كانوا يعبدون؟ فيجيبون أنهم كانوا يعبدون عزيرًا، ثم يسألون: ماذا تبغون؟ فيشكون العطش ويطلبون الإغاثة، ويشار إليهم ليردوا إلى النار التي بدت وكأنها سراب يحسبه الظمآن ماء، فإذا جاءها لم يجد إلا نار جهنم، وهكذا يكون الحال نفسه مع النصارى[٢].

ويلاحظ مجيء أسلوب التنبيه (ألا) في خطابه مع اليهود والنصارى: (ألا تردون) للسخرية منهم، وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه أسلوب التنبيه بـ(ألا) في مخاطبة غير المسلمين.

---

(١) ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ٣٦٨.
(٢) ينظر: التصوير الفني الحديث النبوي، محمد الصباغ، ٢١٣.

٥-عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا»[١].

هذا حوار يبتدئ بشكل تنبيهي، تولد من حركة النبي وكلامه[٢]؛ إذ أتى المقبرة وسلم ، فأثار استغراب الصحابة، ووَّلد في نفوسهم الرغبة في معرفة إخوان النبي، فاقبلوا من دون تلبث يسألون: (أولسنا إخوانك يا رسول الله؟) ثم أجابهم بخبر غيبي مثير آخر: (أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد)، فإذا كان الخبر الأول استمكن من نفوسهم وأطارها شوقًا لمعرفة التفسير، فمن البدهي أن الثاني أمكن وأوقع في نفوسهم، وتصعدت رغبتهم في معرفة الجواب؛ إذ اندفع الصحابة إلى السؤال: (كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟) فبادر ﷺ في تفسير كلامه استجابة لرغبة الصحابة الشديدة، فذكر أنه يعرفهم بعلامة التحجيل التي ستكون لهم بسبب الوضوء، وأنه يسبقهم على الحوض ينتظرهم، وصور لنا هذا الواقع الغيبي بعدة صور:

صور المؤمنون بالخيل الغر لهم علامة خاصة تميزهم يوم القيامة، وغيرهم دهم بهم: (فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء)، ثم صوّر نفسه ﷺ وهو يسبق أمته على الحوض وينتظرهم هناك، ويدعوهم إذا أقبلوا: (وأنا فرطهم على الحوض...)، فالرسول يسبق أمته إلى الحوض وينتظرهم هناك، ويدعوهم إذا أقبلوا، وصور الذين أحدثوا بعده وبدلوا أمورًا لم يشرعها الله، فجزاؤهم الحرمان من ورده والطرد: (ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال)، ونلاحظ أن صيغة النهي قد تواشجت مع هذه الصورة؛ لتكون أوقع في نفوسهم، وأعمق أثرًا في أذهانهم، لما تحمله من دلالات تجسِّد المعنى؛ لأنه يذكر الحيوان المعروف عندهم وهو البعير في حاله وروده

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(٢) ينظر: أسلوب الحوار، محمد خليل أيوب، ١٨١.

حوض رجل غير صاحبه، وفيه إشارة إلى عادة شائعة وهي أن صاحب الإبل يقف على الحوض يرعى أنعامه ويذود الغريب عنها[١].

وجاء أسلوب التنبيه (ألا) مكررًا ثلاث مرات:

ورد للتقرير في قوله: (ألا يعرف خيله)، وللتأكيد الخزي والعذاب الذي يصيب من يبدل بعده في قوله: (ألا ليذادن رجال عن حوضي)، والأمر في قوله: (أناديهم ألا هلم)، فعندما يراهم ﷺ يناديهم ويدعوهم للإقبال عليه، لكنهم بدلوا وغيروا بعده، فيدعو عليهم بالبعد: (سحقًا، سحقًا).

وكفى لنا شرفًا أن يكون الرسول ﷺ متشوقًا لرؤيتنا، ليدفعنا ذلك إلى المحافظة على الوضوء والصلاة في وقتها.

٦-عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطَا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»[٢].

يستفتح ﷺ خطابه بأسلوب التنبيه (ألا)، وما فيه من مبالغة في الترغيب واستثارة للحوار؛ لاستثارة رغبة الصحابة في التعلم والمعرفة[٣]، ثم عبَّر بصورة حسية عن الخطايا، وجعلها أمراً يُحَسُّ ويُرَى فيُمحَى، وصوّر الدرجات المعنوية التي هي بمعنى المنزلة والرتبة بأمر محسوس يرفع، وقابل بينهما: (محو الخطايا)، بـ(رفع الدرجات) شغلًا للحس والخيال، وتأكيدًا للغرض[٤].

كما نلاحظ أن الأداة (ألا) ومدخولها قد أثارت أشواق الصحابة وصعّدت بشعورهم إلى قمته فكان جوابهم: (بلى يا رسول الله).

---

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ١٤٧-١٢٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره.
(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٢٠٥.
(٤) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٣٢٤.

ثم عدد لهم ثلاثة أمور يمحو الله بها الخطايا، وهي: (إسباغ الوضوء على المكاره) كالبرد الشديد، وغلاء الماء وندرته، وألم الجسم...إلخ، وهذا القيد (على المكارة) مهم؛ لأنه يبرز الرغبة في الثواب والطاعة الخالصة، و(كثرة الخُطَا إلى المساجد)، و(انتظار الصلاة بعد الصلاة) هذا الانتظار الذي شبهه ﷺ بالرباط على الثغور بجامع المشقة بينهما؛ فأجر المرابط الذي ينتظر التصدّي للعدو المتربّص وردّه عن بلاد المسلمين عظيم عند الله، كذلك شأن انتظار الصلاة في المسجد بعد الصلاة، ويشترك طرفي الصورة بالانتظار (انتظار الصلاة وانتظار المرابط)[١].

وهكذا استطاع الرسول ﷺ من خلال أسلوب التنبيه أن يوقظ مشاعر السامع لما سيلقى إليه، فيصغي بقلبه وسمعه؛ لإرشاده إلى أمر عظيم فيه نجاته في الدنيا والآخرة، ومما زاد هذا الأسلوب أثرًا وتأثيرًا استخدامه الصورة الحسية التي تنعش الخيال وتبعث على الانتباه، و« ما يكون سببًا لمحو الخطايا، ورفع الدرجات، مطمع يسعى إليه كل مسلم، ويترقّب السامعون الدلالة عليه، ويصغون إليه، ويعقدون العزم على فعله، مشرقة نفوسهم، مبتهجة قلوبهم»[٢].

٧- عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ مر بشاة مطروحة أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة، فقال النبي ﷺ: ألا أخذوا إهابها[٣] فدبغوه فانتفعوا به؟»، وفي رواية: عن ابن عباس «أن ميمونة أخبرته أن داجنة كانت لبعض نساء رسول الله ﷺ فماتت، فقال رسول الله ﷺ: ألا أخذتم إهابها فاستمتعتم به؟»، وفي رواية: «عن ابن عباس أن النبي ﷺ مر بشاة لمولاة لميمونة فقال: ألا انتفعتم بإهابها؟»[٤].

يرغّب النبي ﷺ أمته في هذا الحديث بالانتفاع بجلد الميتة، فاستفتح كلامه بأداة التنبيه: (ألا) التي أفادت معنى الطلب والحث على العمل، فضلًا عن التنديم واللوم على ما فاتهم من المنفعة بجلد الشاة الميتة[٥]، دل على ذلك سياق النص وقرائن الأحوال.

---

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ٢٩٦.
(٢) الحديث النبوي مصلحه بلاغته كتبه، الصباغ، ١٠١.
(٣) الإهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش مالم يدبغ. لسان العرب، مادة: (أهب).
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الحيض، باب: طهارة الجلود الميتة بالدباغ.
(٥) ينظر: الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، هناء محمود شهاب، ٢١٨.

وفي قوله: (ألا أخذوا، ألا أخذتم، ألا انتفعتم) اتخذت كلها صيغة الطلب والحث على العمل، بغض النظر عن دخول (ألا) على الفعل الماضي أو المضارع، فهي صيغة لا يمكن أن تدل وحدها على المعنى ما لم تتفاعل مع السياق على وفق أبنية الجملة[١].

فالرسول الكريم ﷺ لم تكن أوامره مقصورة على الأمور العقدية فحسب، بل شملت كل الأمور الحياتية التي نفعهم وتحمل في طياتها أسمى معاني النصح والإرشاد، ولا ريب فهو المربي والمعلم الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

٨- عن جابر بن سمرة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة. قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقًا، فقال: ما لي أراكم عزين؟ قال: ثم خرج علينا فقال: ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصفُّ الملائكة عند ربها؟ قال: يتمّون الصفوف الأول، ويتراصّون في الصف»[٢].

كره النبي ﷺ رؤية الصحابة ﷺ وهم لم يحسنوا الصف، وتفرّقهم حلقات في الصلاة، فليس أدعى للإخلاص في العبادة من الاجتماع عليها؛ لذا تلبس الإنكار بأسلوبه ﷺ معبرًا موبخًا متوعدًا[٣].

وأراد أن يكشف لهم عن الهيئة التي يجب أن يلزموها في صلاتهم، فلم يلقها إليهم مباشرة، وإنما سلك طريقاً غير مباشر، من خلال تشبيه يحمل الكثير من الترغيب لهم، وصدّر هذا التشبيه بأسلوب التنبيه (ألا) فقال: (ألا تصفون كما تصف الملائكة...) فأثار التشويق في نفوس الصحابة ﷺ، وفي الوقت نفسه جاء كالتمهيد للطلب الذي جاء بعد ذلك، وهو أن يصفوا كما تصف الملائكة عند ربها، فجعل هيئة صف المصلين كهيئة صف الملائكة، مما يجعله أكثر تأثيرًا عليهم ويزيد من رغبتهم في الامتثال.

وكذلك حرص ﷺ على نقلهم للمشهد المهيب نقلًا حيًا؛ ليزيدهم ترغيبًا بهذه الهيئة وحثًا، من خلال إيثار الفعل المضارع: (تصف) على المصدر: (صف)؛ لما يمتاز به الفعل المضارع من استحضار الصورة في الأذهان،

---

(١) ينظر: علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ١٤٦؛ وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر، ٦٨.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة.
(٣) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢٢٣.

ودلالته على الزمن الحاضر، وآثر لفظ: (الرب) على لفظ: (الله)؛ لاستشعار أن الملتزم بهذه الهيئة هو في حماية الله وحفظه[١].

ولا شك أن الصحابة ﷺ قد حبست أنفاسهم واشتد شوقهم ولهفتهم أن يكونوا كذلك، فتعاظم انتباههم وهم ينتظرون الرد من الرسول ﷺ، فقد كان جوابهم بكل أدب: (يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟)

وهل يمكن بعد هذا التحضيض العظيم الذي جاء بصيغة أداة التنبيه (ألا) والتشبيه بصف الملائكة، وتقييده بكونه عند الرب ﷻ[٢] أن لا يكون إقبال المصلين على هيئة صف الملائكة أشد؟

٩- عن ابن شهاب أن محمود بن الربيع الأنصاري حدثه «أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددت أنك يا رسول الله تأتي فتصلي في مصلى فأتخذه مصلى، قال: فقال رسول الله ﷺ: سأفعل إن شاء الله. قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبَّر فقمنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم، قال: وحبسناه على خزير[٣] صنعناه له، قال: فثاب رجال من أهل الدار حولنا حتى اجتمع في البيت رجال ذوو عدد، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: لا تقل له ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين، قال: فقال رسول الله ﷺ: فإن الله قد حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[٤]. لحمٌ يُقطَّع قِطَعًا صغارًا ثمَّ يطبخ بماءٍ كثير وملح ، فإذا اكتمل نضجُه ذُرَّ عليه الدقيق وعُصِدَ به ، ثم أُدِمَ بإدامٍ مَا .

هذا حديث عتبان بن مالك لما دعا النبيَّ ﷺ إلى بيته؛ ليصلي له في مكان من بيته؛ ليتخذه موضعًا يصلي فيه، فاستجاب ﷺ لطلبه، وفي قوله: (فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟) دل على حرص الرسول ﷺ وهمته على تلبية حاجة الصحابي، وتحقيق رغبته، تأمّل هذه الفاءات التي تصوّر هذا الحرص:

---

(١) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل أيوب، ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٣٧٩.

(٣) لحمٌ يُقطَّع قِطَعًا صغارًا ثمَّ يطبخ بماءٍ كثير وملح، فإذا اكتمل نضجُه ذُرَّ عليه الدقيق وعُصِدَ به، ثم أُدِمَ بإدامٍ مَا .

(٤) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

(فأشرت، فقام، فكبّر، فقمنا، فصلى)، والهمة العالية وسرعة الاستجابة، فقد أوحت بتوالي وتتالي الأحداث سريعًا بعدها استخدم (ثم) في قوله: (ثم سلم).

فسمع رجال أهل الحي أن الرسول ﷺ في بيت (عتبان) فاجتمعوا فيه، فقال رجل: أين مالك بن الدخشن؟ وقال آخر: (ذلك منافق لا يحب الله ورسوله)، وواضح من المقام أن كلمة منافق هزّت الرسول ﷺ فاستنكرها وقال: (لا تقل له ذلك)، نهي صريح وحازم وجازم، فما لك من أهل بدر، وأهل بدر لم يكن فيهم منافق، وهم أفضل أصحاب النبي ﷺ.

ثم فصل[١] بين جملة: (لا تقل له ذلك) وجملة: (ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟)، وموضع الفصل شبه كمال الاتصال، حيث أثارت الجملة الأولى في النفس سؤالًا فجاءت الجملة الثانية جوابًا لذلك، وكأنه يقول: لماذا لا أصفه بالنفاق وأفعاله تدل على ذلك؟

وجاءت أداة التنبيه (ألا) زجرًا وتوبيخًا لما بدر من الصحابي من وصف رجل مسلم قال كلمة التوحيد بالنفاق في حضرة الرسول ﷺ، لذا فقد رأى ﷺ أنه يحتاج إلى أسلوب رادع تكفلت صيغة التنبيه بتصويره .

واحترز الرسول ﷺ بقوله: (يريد بذلك وجه الله)؛ لتأكيد مطابقته الظاهر والباطن حتى حكم عليه بالإيمان، فنبه بهذا التتميم[٢] على ضرورة إخلاص النية لله –سبحانه وتعالى– ليدخل في هذا الحكم[٣].

وساق الحكم على طريقة المذهب الكلامي[٤]، وهو وسيلة يستدعيها السياق ليثبت المتكلم صحة دعواه ويبطل دعوى خصمه من إلزامه بالنتائج بعد التسليم بالمقدمات، فهنا يريد ﷺ أن ينفي النفاق عن الصحابي ولكنه لم ينفه صراحة، إنما سلك مسلك أهل الكلام في الوصول إلى الحكم بأن يقر المخاطب به.

وفي قولهم: (فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين) تعليل اتهامهم له بالنفاق، بأن تعامله مع المنافقين ومجالستهم وقربه منهم هو الذي وضعه في موضع الريبة، ثم أعاد ﷺ كلامه ليؤكد معنى الإخلاص: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله...).

---

(١) المراد بالفصل والوصل: العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها. علوم البلاغة، المراغي، ١٤٧.

(٢) التتميم: وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظًا يكون فيه توكيده إلا تذكره. الصناعتين، العسكري، ٤٣٤.

(٣) ينظر: البديع في الحديث النبوي الشريف، خالد داود، ٢٨٧، ٢٨٨.

(٤) المذهب الكلامي: وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام. الإيضاح، القزويني، ٢٧٦.

١٠- عن جابر بن عبدالله، قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فانتهينا إلى مشرعة، فقال: ألا تشرع[١] يا تشرع[١] يا جابر؟ قلت: بلى، قال: فنزل رسول ﷺ وأشرعت. قال: ثم ذهب لحاجته، ووضعت له وضوءًا، قال: فجاء وتوضأ، ثم قام فصلى في ثوب واحد خالف بين طرفيه، فقمت خلفه، فأخذ بأذني فجعلني عن يمينه»[٢].

هذا المقام من المقامات التي يترفّق فيها النبي ﷺ بمن يخاطبه، فيلين له القول، فلا يأمره مباشرة، بل يجعل أسلوب التنبيه وسيلة إليه بقوله: (ألا تشرع يا جابر؟)؛ إذ فيه إيحاء بالتودد والترقق، ثم أشعره بالحميمية بندائه باسمه (يا جابر)، مضيفًا طابعًا وديًا غير رسمي على الخطاب، كما أن استعماله في منتصف الكلام يزيد من تنبه المخاطب، وكأن النداء علامة على استمرارية الحديث، وتأكيد أهمية القول الذي يجيء بعده[٣].

وقد استطاع ﷺ من خلال أسلوب التنبيه (ألا) الذي افتتح به الحديث وما صاحبه من نداء، حفز نفس جابر، وترغيبه بهذا العمل وحثه عليه، دل عليه امتثال جابر وقوله: (وأشرعت)، فهذا الأسلوب يصرفه ﷺ كيفما شاء في تحقيق أغراضه أو موضوعاته، ونلاحظ أن الرسول ﷺ يحرص على أن يقترن التنبيه بالنداء ليحدث هذا الأثر.

١١- عن علي بن أبي طالب «أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة، فقال: ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا»[٤].

لقد التمس الرسول ﷺ التحضيض بـ(ألا) في هذا الحديث؛ للحث على قيام الليل، ولا سيما ما في هذا الأسلوب من التلطف والتودد؛ لحمل أحب الناس إليه على أمر من مستحبات الدين، فصلاة الليل ليست من الفرائض.

---

(١) شرعت الدواب في الماء تشرع، أي دخلت، والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها. ينظر: لسان العرب، مادة: (شرع).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة النبيﷺ ودعائه بالليل.

(٣) ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ضحى حيدر، ١٥١، ١٧٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة المسافرين وقصرها، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى الصبح.

وجاء التحضيض بصيغة الجمع (ألا تصلون؟) عامًا لضم من يتبعهما إليهما أو للتعظيم أو لأن أقل الجمع اثنان[١].

وضرب الرسول ﷺ فخذه كناية عن التأسُّف والتعجُّب من جواب علي ﷺ واعتذاره، وفيه أيضًا تعريض بعلي ﷺ للاستجابة إلى ما يحث عليه، وترك الجدل بالأمر، ولهذا جعل جوابه من باب الجدل[٢]، قال النووي: «المختار في معناه أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب الفخذ»[٣]، وقوله (هو مدبر) تصوير بالحركة، صورت انزعاج النبي ﷺ وعدم رضاه، فهذه الإشارات ذات دلالات، ولها بلاغة، ولو قدر إبدال الألفاظ مكان الإشارات، فإنها لا تعطي عطاءها، ولا تغني غناءها، فهي من وسائل تثبيت المعاني وإيضاحها، حتى تصل للأذهان سريعًا، وتتأصل في النفوس[٤].

١٢- حدثنا يحيى بن يحيى قال: « قرأت على مالك عن نافع، أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح، فقال: ألا صلوا في الرحال، ثم قال: كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر، يقول: ألا صلوا في الرحال»[٥].

يستهل النبي ﷺ هديه في هذا المقام الطلبي بأسلوب التنبيه (ألا)؛ لاستنهاض قوى النفس وإثارة نشاطها؛ للحض على الامتثال.

ثم يردف هذا الأسلوب بالأسلوب الإنشائي الطلبي الأمر في قوله: (صلوا في الرحال)؛ إذ يقرر النحاة أن هذه الصيغة تتسم بالقوة في حسم الموقف، والأمر في أغلب حاله يستدعي حالة من البت والتشدد في الطلب[٦]، ولا غرم، فالمقام مقام أمر بالصلاة التي لا تترك حتى في السفر، ولم تترك في الحرب، فكيف تترك في البرد أو المطر.

---

(١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٢٣٨٩/١٣.
(٢) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٢٦٠.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ١٤٦/٢٥.
(٤) ينظر: معالم البيان في الحديث النبوي، عبد المحسن عسكر، ٦٤- ٦٥.
(٥) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الصلاة في الرحال.
(٦) ينظر: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ٨٦، ١٠٧.

١٣- عن أبي أمامة قال: «قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرءاء عليه قومه[١]، فتلطّفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوحَّد الله لا يشرك به شيء، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة، قال: فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله؟ أخبرني عن الصلاة، قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، قال: فقلت: يا نبي الله، فالوضوء حدثني عنه، قال: ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه، فحدّث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ، فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل، فقال عمرو: يا أبا أمامة! لقد كبرت

---

(١) مستخفيًا: حال من المفاجأة، أي قدمت ففاجأته مستخفيًا، أي يعبد الله ويدعو في خفاء وسر وعدم جهر، وجرءاء عليه قومه: جمع جريء بالهمز من الجرأة، وهي الإقدام والتسلط، وهذا سر استخفائه. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم.

سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا حتى عد سبع مرات ما حدثت به أبدًا، ولكني سمعته أكثر من ذلك»[١].

يبدو من الحديث الشريف حرص الرسول ﷺ على تبليغ الدعوة، ظهر لنا ذلك من فعله مع عمرو بن عبسة السلمي، حيث أمره بالرجوع إلى أهله؛ حتى لا يتجمع المؤيدون للدعوة في مكان واحد، فيكونون بذلك عرضة للبطش بهم والنيل منهم من قبل الأعداء، ويؤكد هذا الحرص حينما قدم عبسة للنبي ﷺ يبايعه على إظهار الإسلام في مكة، ولكن لخوف النبي ﷺ عليه من أذى قريش قال له: إنك لا تستطيع ذلك لضعف المسلمين في هذا الوقت، وارجع إلى أهلك حتى تعلمني ظهرت فأتني، والتمس الرسول أسلوب التنبيه في حديثه معه؛ ليضفي على الخطاب حيوية ويزيد من الإقناع والتأثير، في قوله: (ألا ترى حالي وحال الناس؟)؛ ليقر عبسة بالخطر المحدق بالجماعة المؤمنة الأولى خوفًا من الاستئصال.

واعتمد الرسول ﷺ على الإحالة الخارجية المفهومة من قوله: (ألا ترى حالي؟) فيحيل عمرو بن عبسة إلى إيذاء كفار قريش لضعف شوكة المسلمين.

فاستجاب الصحابي لأمر الرسول وامتثل، وحرص على تتبع أخبار النبي ﷺ والاستزادة منه، حيث لحق به حين قدم إلى المدينة، وقدّم له نفسه، واستعلم منه عن الصلاة والوضوء... استعلامًا مفصلًا.

١٤- عن عائشة قالت: «خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي فأطال القيام جدًا، ثم ركع فأطال الركوع جدًا، ثم رفع رأسه فأطال القيام جدًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع جدًا وهو دون الركوع الأول، ثم سجد ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه فقام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم سجد ثم انصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا يا أمة محمد، إن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: إسلام عمرو بن عبسة.

من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلًا، ألا هل بلغت؟»[١].

هذا الحديث يبين صفة صلاة الكسوف، وكيف كان النبي ﷺ يصليها، وبعد ذلك بيَّن ﷺ أن الكسوف لا يكون سببه موت أحد من أهل الأرض، ثم أمر بالدعاء والصلاة والصدقة عند رؤية الكسوف، ثم نادى: (يا أمة محمد) نداء فيه معنى الإشفاق، كما ينادي الوالد ولده، وكرر النداء: (يا أمة محمد)؛ ليستميل قلوبهم إلى ما يلقي عليهم من حسن التوجيه وسديد الإرشاد، ثم أعقبه بالقسم الصريح وأسلوب الشرط للتخويف: (والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا...) أي: ما يعلم من أمور الآخرة؛ وذلك لـ«عظم انتقام الله من أهل الجرائم، وأهوال القيامة وأحوالها ما علمته لما ضحكتم أصلًا، المعبر عنه بقوله: (لضحكتم قليلًا)؛ إذ القليل بمعنى العديم على ما يقتضيه السياق؛ لأن (لو) حرف امتناع لامتناع»[٢].

وختم خطبته بأسلوب التنبيه بـ(ألا) للتقرير والإلزام (ألا هل بلغت) فهي مسؤولية البلاغ المبين، فقد اعتبر الرسول ﷺ غاية مهمته: البلاغ، وبذلك يكون الرسول شهيدًا على المسلمين، ويكون المسلمون شهداء على الناس، يوصلون إليهم هذا الدين، وفي فصل خاص عقده العقاد عن محمد البليغ، طالعنا رأيه عن البلاغة النبوية: «اللهم هل بلغت، هذه اللازمة التي رددها النبي ﷺ في أطول خطبه الأخيرة، خطبة الوداع، وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها؛ لأنها لخّصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات، فما كانت حياة النبي ﷺ كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلا حياة تبليغ وبلاغ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله ﷺ، وهو يجود بنفسه، (جلال ربي الرفيع قد بلغت)، ولصدق هذه الدلالة نرى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي ﷺ في كلامه المحفوظ بين يدينا هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة أخرى، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها؛ لأنها أصل شامل لما تعرف من سمات هي منها بمثابة الفروع»[٣].

١٥- عن عبدالله بن عمر قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: أقد قضى؟ قالوا: لا يا رسول

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الكسوف، باب: صلاة الكسوف.
(٢) فيض القدير، المناوي، ٤٠٢/٤.
(٣) عبقرية محمد، ٨٩.

الله! فبكى رسول الله، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذِّب بهذا (وأشار إلى لسانه) أو يرحم»[١].

نجد هنا أن الصحابة في حالة مؤثرة وهي مرض بطل عظيم من أبطال الإسلام، وحتى لا يتحرج أحد من البكاء، أو يظن أن فيه معصية، أو أن يتوهم مخالفة النبي ﷺ لما عرفوه في الإسلام، حيث نعى الإسلام على الجاهلية الغلو في الجزع على الموتى.

مهَّد ﷺ لما سيقوله بأسلوب التنبيه (ألا) فقال: (ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب)؛ لتوجيههم بلطف وإيناس ورحمة لمعرفة الحقيقة، وهو أن الحزن شعور لا يدفع والدمع منفس عنه، وإنما المنع والجزاء على الجزع الصارخ والنواح[٢].

ولا شك أن في التعبير عن اللسان باسم الإشارة دون الاسم الصريح في قوله: (ولكن يعذب بهذا(وأشار إلى لسانه)؛ توكيدًا للمعنى، وتعظيمه في النفوس، وتمييزًا له أكمل تمييز، وهو لون من ألوان التصوير التي توضّح الفكرة وتبيّن المراد، خاصة أن المقام مقام تشريع يترتب عليه حرام وحلال، «وكانت لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبّرة تلفت النظر، وتنبِّه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكر»[٣]، كما لا يخفى ما فيه من مزيد تهويل وترهيب من عواقبه، لا سيما أنه من أهم الأعضاء؛ لأنه إما أن يرفع صاحبه أو يهوي به[٤].

وجاء التضاد بثنائية (يعذب أو يرحم) بوشيجة (أو) العاطفة الدالة على التخيير، فللمتلقي للتوجيه النبوي الخيار بين الحزن المشروع أو الغلو المسرف، فالثنائية والضدية بين: (العذاب والرحمة) تكشف عن أمرين: أولهما: الترغيب بالرحمة، والثاني: الترهيب بالعذاب[٥].

ونلاحظ تجاوب النظم كله لأداء الغرض من هذا البيان النبوي الذي صدر بأسلوب التنبيه (ألا) فأثرى النص بفيض من الدلالة، ثم الإشارة الحسية باليد؛ لزيادة التنبيه على خطر اللسان، وأخيرًا التقابل التام للتضاد بين العذاب والرحمة بمعصية الجزع وطاعة الصبر على قضاء الله وقدره.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الجنائز، باب: البكاء على الميت.
(٢) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دارز، ٢٣٠.
(٣) التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ٥٢٥.
(٤) ينظر: توصيف الإشارة في الحديث النبوي الشريف، هاني صبري، دعد العبيدي، ٧٧.
(٥) ينظر: بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف، أسماء الخطاب، ٦٦- ٦٨.

١٦- عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: (ألا تبايعون رسول الله؟)، وكنا حديث عهد ببيعة[١]، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: (ألا تبايعون رسول الله؟)، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: (ألا تبايعون رسول الله؟)، قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا) وأسر كلمة خفية: (ولا تسألوا الناس شيئًا)، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه»[٢].

يرغّب النبي ﷺ الصحابة في مبايعته من خلال أسلوب التنبيه (ألا) الذي افتتح به هذا الحديث؛ ليحثهم ويحمل نفوسهم على الإقبال، ويرغبهم على هذا العمل، ويؤثر فيهم تأثيرًا بالغًا.

ولم يكتفِ ﷺ بدلالة هذا الأسلوب وتأثيره في نفوس الصحابة، بل ضم إليه أسلوبًا آخر لا يقل عنه دلالة وأثرًا، ألا وهو أسلوب التكرار؛ ليتضافرا معًا في تحقيق التأثير المطلوب.

وأشد من أسلوب الإبهام؛ إذ لم يحدد مفهوم البيعة ؟ وقد تم له ﷺ ما أراد من خلال هذا التنبيه وتكراره، وحقق مقصوده، فقد أثّر فيهم، ألا ترى قولهم: (قد بايعناك يا رسول الله) دليلا على هذه الاستجابة، بل أعلى من ذلك قولهم: (فبسطنا أيدينا)، (قد بايعنك يا رسول الله فعلام نبايعك؟) دلالة على المبالغة في رسم صورة الاستجابة.

ثم أوضح الرسول ﷺبعد الإبهام بقوله: (على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، وأسر كلمة خفية، ولا تسألوا الناس شيئاً).

وقوله ﷺ: (وأسر كلمة خفية) إنما أسرّ هذه الكلمة دون ما قبلها؛ لأن ما قبلها وصية عامة وهذه الجملة مختصة ببعضهم[٣]، يقول العيني: «يشبه أن يكون ﷺ أسر النهي عن السؤال؛ ليخص به بعضهم دون بعض ولا يعمهم بذلك؛ لأنه لا يمكن العموم؛ إذ لا بد من السؤال، ولا بد من التعفف، ولا بد من الغنى، ولا بد من الفقر، وقد قضى الله -تبارك وتعالى- بذلك كله، فلا بد أن ينقسم الخلق إلى الوجهين»[٤].

---

(١) وكنا حديث عهد ببيعة: جملة في محل الحال من فاعل تبايعون، والبيعة أصلها من البيع؛ لأنهم إذا بايعوا وعقدوا عهدًا حلفوا لمن بايعهم جعلوا يديهم في يده توكيدًا كما يفعل البائع والمشتري، كانت هذه البيعة ليلة العقبة قبل بيعة الهجرة وبيعة الجهاد والصبر عليه. ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد الشافعي، ٤١٦/٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: كراهة المسألة للناس.

(٣) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد الشافعي، ٤١٧/٢.

(٤) شرح سنن أبي داود، العيني، ٣٩٣/٦.

والتنكير في (شيئًا) في قوله ﷺ: (ولا تسألوا الناس شيئًا) غير محدد ولا مخصص، والنكرة في سياق النهي تفيد العموم، يقول النووي: «فيه التمسك بالعموم؛ لأنهم نهوا عن السؤال فحملوه على عمومه، وفيه الحث على التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالًا وإن كان حقيرًا»[١].

وترك سؤال الناس مطلقًا أمر لا يطيقه كل الناس، لذلك لم يبايع النبي ﷺ جميع الصحابة عليه، ولم يأمرهم به، وقد استنبط بعض العلماء ذلك من إسراره ﷺ بهذه الكلمة.

ثم انتقل إلى الإرشاد بالتطبيق العملي في فعل الصحابة الذين فهموا عموم هذا الأمر: (فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه)، فكانوا لا يسألون أحدًا أن يناولهم السوط، وهذا أعلى مراتب الإذعان والتعليم.

١٧- عن أبي سعيد الخدري قال: «بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن، بذهبة[٢] في أديم مقروظ[٣]، لم تحصل من ترابها[٤]، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر ابن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله، فقال: ويلك، أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله، ثم ولى الرجل، فقال خالد بن وليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: لا لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم، قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئ[٥] هذا قوم يتلون كتاب الله، رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[٦].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤٢/٤.
(٢) ذهبة: بضم الذال المعجمة مصغر ذهبة، وهي القطعة من الذهب. ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ٤٢٢/٦.
(٣) في أديم مقروظ: بالقاف والظاء المعجمة أي مدبوغ بالقرظ. ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ٤٢٢/٦.
(٤) لم تحصل: أي لم تخلص الذهبية (من ترابها) المعدني بالسبك. ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ٤٢٢/٦.
(٥) الضئضئ: الأصل والمعدن، ومعنى قوله: يخرج من ضئضئي هذا أي من أصله ونسله، ينظر: لسان العرب، مادة(ضأضأ).
(٦) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم.

بعث علي ﷺ من اليمن إلى النبي ﷺ بقطعة من ذهب، فقسمها ﷺ بين أربعة نفر، فغضب رجال من صحابته، فبين لهم أنه يتألفهم بالإعطاء؛ ليثبتوا على الإسلام، فقال له رجل: اتق الله.

إذن المقام مشوب بتخوين، فكيف لا يغضب الرسول ﷺ من هذا التشكيك والتخوين؟ فتأتي (ألا) لتبيّن كيف يخوَّن وهو أمين من في السماء والأرض، فهل هناك أقوى من هذه العبارة: (ألا تأمنوني؟).

والمقام يستحق هذا التنبيه بـ(ألا) بهذا التوبيخ والإنكار الشديد؛ لتخوينهم رسول الله ﷺ، واعتراض بعضهم على طريقته في تقسيم قطعة الذهب[١].

١٨- عن معدان بن أبي طلحة: «أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر قال: إني رأيت كأن ديكًا نقرني ثلاث نقرات وإني لا أراه إلا حضور أجلي، وإن أقوامًا يأمرونني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به نبيه ﷺ، فإن عجَّل بي أمر، فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وإني قد علمت أن أقوامًا يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضُّلال، ثم إني لا أدع بعدي شيئًا أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري فقال: يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟ وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن، ثم قال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم، وليعلّموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ، ويقسموا فيهم فيئهم، ويرفعوا إلي ما أشكل عليهم من أمرهم، ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: هذا البصل، والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتهما طبخًا»[٢]، هذا الحديث روي أيضاً في كتاب المساجد وموضع الصلاة كما في رواية معدان بن أبي طلحة:

١٩- «أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئًا أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة[٣]، وما أغلظ لي في شيء ما

---

(١) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢١٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثومًا أو كراثًا أو نحوهما مما له رائحة كريهة عن حضور المسجد.

(٣) الكلالة: الميت أو الوارث، المال. ينظر: المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، ٥٧٢/٤.

أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟ وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن»[١].

يروي لنا الحديث الشريف حرص عمر بن الخطاب ﷺ وشدة مراجعته لرسول الله ﷺ في موضوع الكلالة حتى أغلظ عليه الرسول ﷺ وطعن بإصبعه الشريفة على صدره؛ لكون الموضوع الذي يسأل عنه عمر عظيم ولا يستهان به، واختياره ﷺ موضع الصدر؛ لأن فيه القلب فيكون أكثر تأثيرًا وثباتًا في نفس عمر؛ ولأن المقام بحاجة إلى هذه القوة واللفتة لما كان فيه من كثرة المراجعة والسؤال دون تدبر أو استنباط، وهذه الحركة منه ﷺ « مبالغة في الحث على النظر والبحث، وألا يرجع إلى السؤال مع التمكن من البحث والاستدلال؛ ليحصل على رتبة الاجتهاد، وينال أجر من طلب فأصاب الحكم ووافق المراد»[٢].

يعلل النووي بلاغة هذه الإشارة لافتاً النظر إلى منهج الإسلام في تعليم أتباعه حسن النظر والاستنباط: « لعل النبي ﷺ أغلظ له لخوفه من اتكاله واتكال غيره على ما نص عليه صريحًا وتركهم الاستنباط من النصوص... فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة؛ لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة، فإذا أهمل الاستنباط فات القضاء في معظم الأحكام النازلة أو في بعضها»[٣]، أي روعة وأي رقي ومنهج استدلال يدلنا عليه هذا الدين العظيم!

ولا تقف بلاغة الإشارة عن هذا الحد، بل كأنها جاءت تمهيدًا لما بعدها، فبعد أن هيأ عمر ﷺ ناداه باسمه المفرد العم (يا عمر) بـ(يا) الموضوعة للبعيد، لما كان الأمر ذا بال وجب استعمال أداة النداء لتنبيه السامع، وإضفاء جو من الاهتمام بالأمر المتلو للنداء، وناداه بالاسم المفرد للدلالة على قرب المنادى من المنادي وحميمية علاقتهما، فالنداء المجرد من اللقب فيه تضامن المتكلم مع المخاطب بلغ حدًا كبيرًا، وهو النداء الغالب بين الرسول الكريم ﷺ وأصحابه المقربين كعمر رضي الله عنه؛ إذ ورد كثيرًا نداء الرسول له بلا ألقاب وفي أول الكلام[٤].

ثم أعقب هذا النداء بأسلوب التنبيه (ألا) كعادته ﷺ في التمهيد لأسلوب التنبيه والتقدمة له، وأوحى أسلوب التنبيه بمعنى الإنكار، والدليل على ذلك إشارته ﷺ بإصبعه في صدر عمر؛ لأنه كان يراجعه كثيرًا في أمر الكلالة،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفرائض، باب: ميراث الكلالة.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ٥٧٢/٤.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦٣/٦.
(٤) ينظر: أسلوب النداء في الحديث الشريف، ضحى حيدر علي، ٢٦٥، ٢٦٦.

فمن إشارته نستلهم معنى الإنكار الذي أكده التصريح بـ(ألا) ثم أحاله إلى النظر في الآية والاستنباط منها، فإنه إذا أمعن فيها وفهم مغزاها زال الإشكال، وليس فعل عمر ومراجعته للنبي ﷺ اعتراضًا عليه أو جهلًا منه، ولكنه لشدة حرصه وعنايته بأحكام الدين من النبي ﷺ، وفي قوله : (فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ) تتميم، ليكتمل المعنى ويتضح له، وفيه إشارة مجملة إلى أن الآية الكريمة اشتملت على التفصيل المطلوب لمعنى الكلالة.

وبهذا تكون الأساليب المستخدمة في هذا الحديث الشريف من إشارته ﷺ، والنداء، وأسلوب التنبيه قد أدّت وظيفتها في تبليغ المراد، وإزالة الشك والريبة من نفس الصحابي على أكمل وجه .

٢٠-عن أبي بكرة: «عن النبي ﷺ أنه قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان، ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: فأي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى، قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم، قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعنّ بعدي كفارًا أو ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هل بلغت؟»[١].

يريد النبي ﷺ في يوم النحر أن يحذّر أمته من خطر الاعتداء على الدماء والأموال، ولكنه لم يسلك إلى هذا التحذير سلوكًا مباشرًا، وإنما يدلف إليه من طريق الحوار؛ لتنبيه محاوريه وتشويقهم إلى المراد، فمهّد له بخبر عن عودة الزمان إلى هيئته قبل سؤالهم عن الشهر[٢]، فقال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض...)، أي: أن الأشهر رجعت إلى ما كانت عليه من الحل والحرمة[٣].

ثم سألهم عن الشهر الحرام: (أي شهر هذا؟)، ثم انتقل إلى السؤال عن البلد: (فأي بلد هذا؟)، ثم عن اليوم: (فأي يوم هذا؟)، وكان يسكت بعد إلقاء كل سؤال برهة من الزمن؛ ليزداد شوقهم إلى معرفة المعنى المراد، وفي كل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.
(٢) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي الشريف، خليل محمد أيوب، ٢٦٠-٢٦٣.
(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ٦٣/٤.

سؤال كان الصحابة يجيبونه بتفويض العلم إلى الله ورسوله، وكان الغرض من هذه الأسئلة: هو تهيئتهم، وتنبيههم، وتشويقهم، إلى معرفة الأمر الذي سيلقيه إليهم، ولا شك أنهم تشوقوا واشتدت رغبتهم إلى معرفة الخبر، وعند هذا الحال ألقى النبي ﷺ خبره الذي بناه على التشبيه، (فإن دمائكم وأموالكم حرام عليكم)، شبَّه حرمة الدم والمال بحرمة مكة ويوم النحر؛ لتقرير حرمة الأموال والدماء في نفوسهم[١]، ثم يختم خطبته بأسلوب التنبيه بـ(ألا) في قوله: (ألا ليبلغ الشاهد الغائب) للتنبيه والاستحضار لأذهانهم، والأمر بالتبليغ عنه، ثم يكرر التنبيه بـ(ألا) للتأكيد والتقرير في قوله: (ألا هل بلغت؟)، وهذا التأكيد الملزم قد كُرّر عن قصد، والتكرار يصادف موضعَه الطبيعي؛ لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد التأكيد والتقرير واليقين الثابت، كل ذلك واضح في حديث الرسول الحريص على اهتداء قومه ، الرحيم بأمته –عليه أفضل الصلاة والتسليم–.

اقتضت الحال كل هذه الأساليب من تمهيد وحوار وتنبيه؛ فخطب الرسول ﷺ تتطلب تنبيهًا وتوكيدًا أشد؛ لأنها أمور عظام وخطوب جسام ومعان مهمة، على المسلمين أن يتيقظوا لها ويميلوا لها بأسماعهم وأبصارهم[٢].

٢١– عن أبي قلابة قال: «حدثني أنس أن نفرًا من عكل[٣] ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا[٤] الأرض وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها؟ فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحوا، فقتلوا الراعي وطردوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم، فأدركوا فجيء بهم، فأمر بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا»[٥].

في هذا الحديث أعراب من البادية نزلوا القرى، وكانت عادتهم شرب أبوال الإبل وألبانها، وملازمتهم للصحراء، فلما دخلوا القرى، وفارقوا عاداتهم، مرضوا، فجاؤوا إلى النبي ﷺيشكون إليه ذلك[٦]، فأرشدهم النبي ﷺ وحثهم بأداة التنبيه (ألا) إلى الخروج مع الراعي للاستسقاء من ألبان الإبل وأبوالها، والانتفاع منها، وهذه إشارة إلى فطنته ﷺ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨٣/٦.
(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٢٢٦/١.
(٣) عكل :بلد، وعكل: قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق: عكلي. لسان العرب، مادة:(عكل).
(٤) واستوخموا المدينة: أي استثقلوها ولم يوافق هواؤها أبدانهم، وفي حديث آخر: فاستوخمنا هذه الأرض، ينظر: لسان العرب، مادة:(وخم).
(٥) صحيح مسلم، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: حكم المحاربين والمرتدين.
(٦) ينظر: المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، ١٩/٥.

بأحوال المخاطبين، جعلته بسرعة يقول: (ألا تخرجون؟)، فلما رجعوا إلى عادتهم من ذلك، وصحوا، وسمنوا، قتلوا الراعي، وارتدوا عن الإسلام، هل هذا جزاء الإحسان؟

وكأن الحديث فيه مفارقة حينما قال لهم: (ألا تخرجون؟) ثم انظروا إلى المفارقة في فعلهم بعد إحسانه الراقي إليهم، وكيف رسم حرفا العطف الصورة (الفاء) في (فقتلوا، فبلغ، فبعث، فأدركوا، فجيء، فأمر، فقطعت)، ثم حرف العطف (ثم): (ثم نبذوا)، حيث قاما بتكثيف المعنى، فدخول حرف (الفاء) على هذه الأفعال جميعًا طوت عامل الزمن بسرعة، فهي « تفيد معنى الترتيب والتعقيب بلا مهلة»[١]، وهو يطوي الزمن، حتى يخيل للسامع أو القارئ أن هذه الأحداث، قد بدأت وانتهت دون أن تتحرك عقارب الساعة[٢]، وجاء العطف بحرف (ثم) الذي «يفيد الترتيب بمهلة»[٣] ، أي: المهلة في الزمن، أي: أنه لم يحسمهم وتركهم حتى ماتوا.

ويلاحظ في الحديث الشريف بناء الأفعال لغير فاعلها: (أدركوا، جيء، أمر، قطعت، نبذوا)؛ للرغبة في الاختصار أو لعدم تعلق الغرض بذكره، فالغرض المهم هو الفعل نفسه؛ ليدفع السامعين إلى «تركيز الاهتمام على الحدث بغض النظر عن محدثه»[٤]؛ ليتحسس بذهنه وليلاحق الأحداث المتتابعة المتسارعة كما نظمتها الفاء العاطفة.

وقد تحدث البلاغيون عن الفعل الذي لم يسم فاعله، ونظروا في دلالته ومواقعه المتباينة، فدل على ذوقهم البلاغي وحسهم المرهف بمواقع الكلام وأدوات التعبير[٥].

٢٢- عن زيد بن خالد الجهني: «أن النبي ﷺ قال: ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها؟»[٦].

---

(١) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ٣٧٦.
(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، محمد الأمين الخضري، ٥٠.
(٣) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ٤٢٦.
(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، عائشة عبدالرحمن، ٢٤٠.
(٥) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، ٧.
(٦) صحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: بيان خير الشهود.

جاء العرض النبوي في أول الحديث من خلال أسلوب التنبيه (ألا) وأسلوب التفضيل؛ لتحريك كوامن الشوق لدى المخاطبين، وجذب الإصغاء والاستماع؛ بغية استمالة نفوسهم إلى الفضائل، ولا يخفى أن اسم التفضيل: (خير) وما أضيف إليه هو الجملة الأم في الكلام.

ولم يتلبث النبي ﷺ حتى يسمع إجابة تؤكد وقع الانتباه، ذلك أن الاستفتاح بـ(ألا) وحده كاف لاستدعاء ذهنهم، لا سيما أن الاستشهاد وإن كان ما فيه من رضوان ورحمة لا تعدم النفس البشرية التلفت إلى البقاء أحيانًا[١].

أحيانًا[١].

ثم أخبرهم بصفة خير الشهداء؛ من أجل ترغيبهم بالاتصاف بها، فساهمت هذه الأساليب جميعًا من أسلوب التنبيه بـ(ألا)، والفعل (أخبركم)، واختيار كلمة (خير)، في إثراء معنى العرض والتشويق المفضي لاندفاع المخاطبين إلى الامتثال والتحلي بهذه الخصلة الحميدة.

هذا هو منهج النبي ﷺ في الكلام على فضل العبادات، فحين يتحدث عن عبادة عظيمة نجده يرفعها فوق كل عبادة، وحين يتحدث عن الخطايا الكبيرة ذات الخطر، نجده يصنع الصنيع نفسه، وهو يريد من ذلك: أن يرغِّب المخاطبين في العبادة التي يتحدّث عنها أشد ترغيب، وأن يرهِّب من الذنوب التي يتحدَّث عنها أشد ترهيب، وليعلّمنا أن هذه العبادات من أعظم العبادات، وناسها من خير الناس، وإن هذه الخطايا من أعظم الخطايا، وناسها من أشر الناس[٢].

٢٣- عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: «قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية فإما دعا وإما بصق فيها، قال: فجاشت فسقينا واستقينا، قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع حتى إذا

---

(١) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢١٤.
(٢) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ٢٤٢.

كان في وسط من الناس، قال: بايع يا سلمة، قال: قلت قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال: وأيضًا، قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلًا يعني ليس معه سلاح، قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: ألا تبايعني يا سلمة؟ قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس، قال: وأيضًا، قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي: يا سلمة، أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟ قال: قلت: يا رسول الله! لقيني عمي عامر عزلًا فأعطيته إياها، قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: إنك كالذي قال الأول اللهم أبغني حبيبًا هو أحب إلي من نفسي... »[١].

شدني أن أعرف من هو سلمة؟! الذي حرص الرسول على بيعته ثلاثًا، وضحك له النبي ﷺ مرتين. واسمه سلمة بن عمرو الأكوع، وهو من أهل بيعة الرضوان، قال الرسول ﷺ: «أنتم خير أهل الأرض»[٢]، كان بطلًا راميًا، لا يهاب الموت، يسبق العاديات، ترك ماله وأهله، وهاجر إلى الله ورسوله[٣].

ومن حرص الرسول ﷺ على بيعته، بايعه ثلاث مرات، الأولى: عندما أخبر بالفعل في قوله: (دعانا للبيعة... فبايعته أول الناس)، ثم بأسلوب الأمر من الرسول ﷺ في قوله: (بايع يا سلمة)، ولم يكتفِ بدلالة هذا الأسلوب وقوته، وشدة أثره وتأثيره في النفس، إنما ضم إليه أسلوبًا آخر، لا يقل عنه دلالة وأثرًا، وهو أسلوب التنبيه بـ(ألا) في قوله: (ألا تبايعني يا سلمة)؛ ليتضافر الأسلوبان في حثه على الإقدام على البيعة.

وتصدّرت صيغة النداء مخاطبة الرسول لسلمة؛ «لأن النداء في اللغة العربية إذا سبق طلبًا كان دالًا على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب، وحرصه على تنفيذه من جهة، وعلى أن الأمر مقصور على المنادى من جهة أخرى»[٤]، ولم تستعمل هنا لطلب الإقبال؛ لأن سلمة كان يحاوره ويقرب منه وانتباه إلى ما يقول، وإنما استعمل النداء للتكريم والتقدير، وتكرار النداء (يا سلمة)؛ ليوقظ مشاعره ويحرك أحاسيسه؛ ليصل بعد ذلك إلى ما يريد تحقيقه، والوصول إليه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قرد وغيرها.
(٢) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية.
(٣) ينظر: رجال مع رسول الله ﷺ في طريق الدعوة، أحمد القادري، ٣٠٦.
(٤) نداء المخاطبين في القرآن، علي عبدالواحد وافي، ٨٥.

وقد آتت هذه الأساليب جميعًا ثمارها المرجوة منها، فقد حقق ﷺ مقصده، وبلغ بها مراده، يدل على ذلك استجابة سلمة لأمر الرسول ﷺ في قوله: (فبايعته أول الناس... بايعتك يا رسول الله في أول الناس... بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس، قال: وأيضًا، قال: فبايعته الثالثة).

٢٤- عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة»[(١)].

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ أنه لا تجوز منازعة الولاة وقتالهم إلا إذا أتوا كفرًا صريحًا فيه برهان من الله تعالى، أو لم يقيموا الصلاة، فبنى كلامه على المقابلة وأسلوب الإبهام (خيار أئمتكم... وشرار أئمتكم...) كي يهز نفس الصحابة وينبه عقولهم؛ لأن المعنى الذي سيلقيه عليهم مهم، ويريد أن يتلقونه باهتمام وحرص، فكان من البديهي أن يثير ذلك الصحابة، ويدفعهم للسؤال: (يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟) أي: هل نعزلهم أو نحاربهم؟ فجاء جوابه بصيغة النهي المكررة في قوله: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة)؛ لأن طبيعة مهمة النبي ﷺ تدعوه لاتباع هذا الأسلوب؛ ليدرك السامع المقصود، فيجيب: أن لا يغرب على البال أنه ﷺ كان يبغي أن يعلم ويصلح، والواعظ والمعلم مجبر بحكم عمله في ذاته إلى التكرار، بل إلى التكرار بالألفاظ نفسها[(٢)].

ثم أعقب صيغة النهي بأسلوب التنبيه بـ(ألا)؛ لتنشيط ذهن المخاطب واستجماع اهتمامه لما يهدف لتبليغه، وهو أن من رأى منكرًا على ولي أمره فلينكره بقلبه، وإن لم يستطع بلسانه، وتعاضد مع أسلوب التنبيه في تحقيق وصول المعنى المقصود بوضح تام إلى أعماق النفس (الشرط): (ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره)؛ وذلك لما في الشرط من دلالة أكيدة على وقوع الوعد أو الوعيد، ولأنه ﷺ ما كان في أكثر الأحيان يوجه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم.

(٢) ينظر: حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم، ١٠٩.

الأمر توجيهًا مباشرًا إلى الفرد المسلم إلى أن يفعل كذا، أو يبتعد عن كذا، وإنما كان يوضح الحقيقة، ويبين الحكم العام؛ ليتيح للإنسان الحرية ليسأل كل فرد عن عمله، ويتحمّل مسؤوليته[١].

ثم ختم حديثه بأسلوب النهي المؤكد عن الخروج على ولي الأمر: (ولا ينزعن يدًا من طاعة) الذي كانت فيه النون بمثابة منبه تعبيري؛ لتقرع النفوس والقلوب فلا تغفل ولا تسهو.

٢٥- عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: أخبرني أبو حميد الساعدي قال: «أتيت النبي ﷺ بقدح لبن من النقيع ليس مخمرًا، فقال: ألا خمرته[٢]؟ ولو تعرض عليه عودا[٣]، قال أبو حميد: إنما أمر بالأسقية أن توكأ ليلًا، وبالأبواب أن تغلق ليلًا»[٤].

هذا الحديث من المواقف والأحداث اليومية التي يستغلها النبي ﷺ في التوجيه والإرشاد، فحينما جاءه الصحابي ولم يغطِ القدح أو الإناء، فالتمس النبي ﷺ أسلوب التنبيه والتحضيض (ألا) في حديثه: (ألا خمرته)؛ حثًا للمخاطب وحضه على القيام بتغطية الإناء؛ حفظًا له، ولصيانته من الشيطان، والمقذورات، والحشرات.

ووشت (ألا) بدلالة التنديم أيضًا؛ إذ جعلت المخاطب عندما يسمع هذا الحديث يحس بالندم على ما فاته من عدم تغطية القدح[٥].

٢٦- عن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه؛ إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة

---

(١) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، عودة خليل أبو عودة، ٥٠٩.
(٢) التَّخْمِيرُ: التغطية، يقال: خَمَّرَ وجْهَهُ وخَمِّرْ إناءك. لسان العرب، مادة: (خمر).
(٣) أي يجعل العود عليه بالعرض. ينظر: عمدة القارئ شرح صحيح بخاري، العيني، ١٨٦/٢١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: في شرب النبيذ وتخمير الإناء.
(٥) ينظر: الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، هناء محمود شهاب، ٢١٨.

فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله، وأما الآخر فاستحيا؛ فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض؛ فأعرض الله عنه»[١].

هذا الموقف وحده ينبئ أن النبي ﷺ لا يدع فرصة سنحت للتوعية والإرشاد تذهب دون أن ينتهزها لتؤتي الثمرة[٢]، فعندما أقبل ثلاثة نفر، والنبي ﷺ جالس في المسجد في حلقة مع أصحابه، رأى الأول منهم فرجة في الحلقة فجلس فيها، وجلس الآخر في الخلف استحياء، وأدبر الثالث ذاهبًا، فالتفت ﷺ على أصحابه قائلًا: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟) مستهلًا عبارته بأسلوب التنبيه (ألا)؛ ليستدعي انتباههم، ولفت نظرهم إلى أمر جليل له شأن في الدين، فجعلهم ذلك –بلا شك– متلهفين متشوقين إليه، وبعد أن تحقق لرسول الله ما أراد، وتمكن من مشاعرهم، أخبرهم بما يريد مباشرة، فذكر لهم أحوال أولئك الثلاثة وموقفهم من العلم الأول: (أوى إلى الله؛ فأواه الله)، والآخر: (فاستحيا؛ فاستحيا الله منه)، والثالث: (أعرض؛ فأعرض الله عنه).

وبيَّن أحوال هؤلاء الثلاثة بأسلوب المشاكلة[٣]، وكأنها جاءت لتدل على أن الجزاء من جنس العمل، وذلك في قوله: (أوى إلى الله؛ فأواه الله)؛ إشارة إلى أن الله ﷻ جازاه بنظير فعله عندما انضم لمجلس رسول الله ﷺ، فضمه الله إلى رحمته ورضوانه، وقوله: (فاستحيا؛ فاستحيا الله منه) دل على مجازاته بمثل فعله، وهو تركه للمزاحمة كما فعل رفيقه استحياء من النبي ﷺ، فرحمه الله ولم يعاقبه، وفي قوله: (أعرض؛ فأعرض الله عنه) أي: ذهب معرضًا بلا عذر، فجازاه الله بأن سخط عليه وغضب، ولا شك أن المشاكلة هي الوسيلة الأسلوبية الأقدر على تقديم هذه الدلالات، وقد جاءت على نمط مدهش من التقابل[٤]، قال ابن حجر: «وإطلاق الإعراض وغيره في حق الله تعالى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها.

(٢) ينظر: البيان النبوي، رجب بيومي، ١٩١.

(٣) وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أ وتقديرًا. الإيضاح، القزويني، ٢٦٣.

(٤) ينظر: من بلاغة الحديث الشريف، عبدالفتاح لاشين، ٦٠– ٦٢؛ البديع في الحديث النبوي دراسة بلاغية في صحيح بخاري، خالد داود، ٢٧٠، ٢٧١؛ بلاغة التقابل في الحديث الشريف، أسماء الخطاب، ١٥٤– ١٥٦.

على سبيل المقابلة والمشاكلة، فيحمل كل لفظ منها على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وفائدة إطلاق ذلك بيان الشيء بطريق واضح»[١].

ولا شك أن هذا وكل ما مضى من خصائص جرى بها الكلام النبوي قد رسخ لدى السامع فضل ملازمة حلق العلم ومجالسها، واستحباب الأدب والجلوس حيث ينتهي المجلس، والأجر المتحصل من ذلك.

٢٧- عن عائشة قالت: «كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة قال: فدخل النبي ﷺ يومًا وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: ألا أرى هذا يعرف ما هاهنا لا يدخلن عليكن، قالت: فحجبوه»[٢].

أباح النبي ﷺ دخول المخنث على نسائه حين ظن أنه من غير أولي الأربة، فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولي الأربة، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن يغضب ويستنكر ذلك، وتثور في نفسه دوافع الغيرة على محارمه فيمنعه من الدخول .

وقد تضمن خطابه ﷺ خمسة توكيدات؛ لتزيد من قوة المعنى ورسوخه في نفوس المخاطبين، الأول: استفتاحه الخطاب بأسلوب التنبيه (ألا)؛ لضمان اهتمام المخاطبين وإصغائهن والتفاتهن لما يلقى عليهن، وذلك في قوله: (ألا أرى)؛ لينبههن على خطئهن ، ويستنكر دخول هذا المخنث عليهن، والتوكيد الثاني: استخدامه اسم الإشارة: (هذا) للتحقير من شأنه، والتوكيد الثالث: تمثل في (ما) صلة مؤكدة، أما التوكيد الرابع: (ها) التنبيهية في قوله: (هاهنا) كناية عن صفات خاصة بالنساء، والخامس: تبين في (لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع المؤكد بالنون، ومما لا شك فيه أن هذه الأساليب كانت أشد بيانًا وأبلغ وقعًا على النفس وتبليغ المراد لا سيما وأن المقام مقام تشريع يترتب عليه حرام وحلال، وهو تحريم ومنع دخول المخنث على النساء الأجانب.

هكذا كان منهج النبي ﷺ وغيرته على نسائه، بخلاف ما يفعله بعض المتحللين في مجتمعاتنا اليوم من إضعاف الغيرة، بل ومحوها من النفوس، فنجدهم لا يكترثون إن جالست زوجته أو ابنته أو أخته رجلًا أجنبيًا عنها[١].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١/١٩٣، ١٩٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب.

٢٨- عن جابر قال: «قال رسول الله ﷺ: ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيّب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم»[٢].

يصدر الرسول ﷺ في هذا الحديث حكمه مؤكدًا بأداة التنبيه (ألا) وبأسلوب القصر؛ إشارة إلى أن الأمر خطير في مقام الترهيب ليحترز منه، وذلك الحكم هو: تحريم الخلوة بالمرأة، ليكون ذلك أوقع في النفس؛ لما تتضمنه من الأثر البالغ في النفوس، حين يلقى عليها الأمر مصدرًا بالتنبيه؛ لتعظيم أمر الخلوة وبيان خطرها.

وهذا الطريق من القصر فيه قوة وإثبات وتقرير، ويذكر البلاغيون أن الأصل فيه أن يكون فيما يجهله المخاطب أو يشك فيه، يقول عبد القاهر: «أما الخبر بالنفي والإثبات نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه... وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئًا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقرير معنى صار به في حكم المشكوك فيه»[٣].

ثم جاء بالفعل (يبيتن) مؤكدًا بنون التوكيد الثقيلة، وموثقًا بأسلوب القصر في الجملة الثانية المعطوفة على الأولى؛ للمبالغة في النهي عن هذه الخلوة في عزم وتصميم، وجاءت كلمة (رجل، امرأة) نكرة لإفادة التعميم، وسريان النهي على كل رجل وامرأة[٤].

قرن الرسول ﷺ أسلوب النهي بأسلوب التنبيه؛ لأنها أدل على المبالغة في التخويف والتحذير؛ لأن المقام هنا مقام فاحشة والبعد عن الرذائل.

٢٩- عن سعيد بن جبير قال: «قيل لابن عباس: إن نوفًا يزعم أن موسى الذي ذهب يلتمس العلم ليس بموسى بني إسرائيل، قال: أسمعته يا سعيد؟! قلت: نعم، قال: كذب نوف، حدثنا أبو بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماؤه وبلاؤه؛ إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلًا خيرًا وأعلم مني، قال: فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير منه، أو عند من هو إن في الأرض رجلًا هو أعلم منك، قال: يا ربّ! فدلني عليه، قال: فقيل له: تزود حوتًا مالحًا فإنه حيث تفقد الحوت، قال: فانطلق هو

---

(١) ينظر: كيف عاملهم ﷺ، محمد صالح المنجد، ٨٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.
(٣) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ٢٣٢-٢٣٤.
(٤) ينظر: الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، هناء محمود شهاب، ٨٧.

وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة فعمي عليه، فانطلق وترك فتاه، فاضطرب الحوت في الماء، فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوة، قال: فقال فتاه: ألا ألحق نبي الله فأخبره، قال: فنسي، فلما تجاوزا قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا... إلى آخر ما جاء في قصة الفتى يوشع بن نون عليه السلام مع موسى ثم الخضر»[١].

يروي الرسول ﷺ في هذا الحديث قصة موسى مع الخضر عليه السلام، القصة المشهورة في سورة الكهف، وهي من روائع القصص بما احتوته من غرائب الأخبار، وعجائب الأمور، وجاءت بزيادات وتوضيحات سكت عنها القرآن الكريم.

ويقول الرسول ﷺ على لسان يوشع بن نون وهو فتى موسى عليه السلام الذي صحبه: (ألا ألحق نبي الله فأخبره)، أسلوب التنبيه (ألا) جاء للاستفهام، فهو يحث نفسه على إخبار نبي الله موسى عليه السلام، ويدل ذلك على فضل خدمة أهل العلم، فقد خدم يوشع موسى في رحلتهما في طلب العلم، كما يظهر صبر المعلم على تلميذه في موقف موسى عليه السلام مع تلميذه حينما أخبره أنه نسي أن يخبره عن أمر الحوت، مع أن هذا كلفهما سفرًا طويلًا زائدًا.

ومما لا شك فيه أن ذكر الرسول ﷺ لأصحابه من أمثال هذه القصة فيه من الدروس والعبر؛ ليتزودوا لحياتهم من كل ما فيه خير وصلاح، ففي قصصهم عبرة، وفي حياتهم تذكرة.

٣٠- عن جرير بن عبدالله البجلي قال: قال لي رسول ﷺ: يا جرير! ألا تريحني من ذي الخصلة[٢]؟ بيت لخثعم كان يدعى كعبة اليمانية، قال: فنفرت في خمسين ومائة فارس وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده في صدري، فقال: اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا، قال: فانطلق فحرقها بالنار، ثم بعث جرير إلى رسول الله ﷺ رجلًا يبشره يكنى أبا أرطاة منا، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: ما جئتك حتى جعلناها كجمل أجرب، فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحمس، ورجالها خمس مرات[٣].

بني الحديث على أسلوب حوار ابتدأه النبي ﷺ بنداء ملفت (يا جرير)؛ جذبًا لانتباه جرير، وتشويقه إلى ما بعد النداء من كلام، وصاحب هذا النداء أسلوب يلفت الانتباه أيضًا وهو أسلوب العرض والتحضيض (ألا) في قوله: (ألا تريحني من ذي الخصلة؟)؛ ليوقظ السامع وينشط ذهنه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام.

(٢) الخصلة: نصب كانوا يعبدونه في الجاهلية ويسمونه بالكعبة اليمانية، يضاهون به الكعبة وخص جريرًا بذلك؛ لأنه كان في بلاد قومه، وكان هو من أشرافهم. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٨/٧١، ٧٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل جرير بن عبدالله.

كما أن استعمال أسلوب التحضيض (ألا) بدل من أسلوب الأمر، طريقة لطيفة في الخطاب؛ لحمل المخاطب على الاستجابة برضا وإذعان، على ما فيه من كلفة وعناء قد ينوء بهما، فضلًا عن أن هذا الأسلوب فيه من التودد والامتنان، وأن في هدم هذا البيت الذي كان يعبد فيه غير الله، راحة لقلبه الشريف ﷺ، التي عبر عنها بقوله: (ألا تريحني)، وهذا عامل نفسي له أثره في اتخاذ القرار والثبات عليه، فكيف سيكون رد الصحابي وهو يسمع هذا الكلام؟ وقد امتثل الصحابي لطب الرسول ﷺ فنفر إليه في خمسين ومائة فارس، فهدموا الصنم، وقتلوا من وجدوا عنده[١].

وجاءت برواية عنه بأداة الاستفهام (هل) في قوله: (هل أنت مريحي من ذي الخصلة؟)[٢]؛ لتدل على التحضيض والحث، للطلب والحث على فعله[٣].

وجاءت حركة اليد الكريمة على صدره (فضرب يده في صدري) متزامنة مع الدعاء المستجاب: (اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا)؛ لتؤدي وظيفتها في تثبيت الصحابي ماديًا بثبات جوارحه على الخيل، ومعنويًا بتشجيعه وبعث الهمة في نفسه[٤]؛ لأن المقام مقام حرب وبذل أرواح ومواجهة أعداء، فاستطاع بفضل الله ثم تثبيت نبيه ودعائه أن يحقق النصر.

٣١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»[٥].

في هذا الموقف تحكي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي كان مضطجعًا في بيته، كاشف عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر وعمر ﷺ للدخول، فأذن لهما، وهو على تلك الحال، فلما استأذن عثمان غير من

---

(١) ينظر: أسلوبا العرض والتحضيض في الحديث الشريف، هناء محمود شهاب، ١٠٨، ١٠٩؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٧٢/٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل جرير بن عبد الله.

(٣) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، ١٨٠؛ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، محمد محمد أبو موسى، ٢٩٥؛ الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح دراز، ١١١.

(٤) ينظر: توصيف الإشارة في الحديث النبوي الشريف، هاني آل يونس، دعد العبيدي، ١٥٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان بن عفان.

هيئته وهي الجلوس بعد الاضطجاع، وسوى ثيابه، فلما خرج سألته متعجبة عن سر ذلك؟ لماذا غير جلسته عند دخول عثمان ﷺ؟ ولم يعدلها مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟

فأجابها ﷺ مستفتحًا عبارته بأسلوب التنبيه (ألا)؛ لتعليل استحيائه من عثمان ﷺ، وبيان فضله وشدة حيائه حتى أن الملائكة تستحي منه، وكرر فعل الحياء(أستحي، تستحي)؛ للدلالة على صفة الاستمرارية منه ومن الملائكة، مما يدل على رسوخ الحياء في عثمان ﷺ.

٣٢- عن عبدالله بن مسعود قال: «إن محمدًا ﷺ قال: ألا أنبئكم ما العضة[١]؟ هي النميمة القالة بين الناس، وإن محمدًا ﷺ قال: إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقًا، ويكذب حتى يكتب كذابًا»[٢].

بدأ الرسول ﷺ حديثه بأسلوب التنبيه (ألا) وأسلوب الإبهام ثم التوضيح، حيث يقول: (ألا أنبئكم ما العضة؟)، وهذه الصيغة توحي بأهمية وعظم ما سيأتي بعدها؛ وذلك حتى يتنبّه السامعون إلى هذا الأمر العظيم الذي سيخبر عنه النبي ﷺ، وتنفر من النميمة والكذب.

وفي الحديث الآخر ذم النميمة من باب أنها كذب بأسلوب التوكيد بـ(إن): (إن الرجل...)، وهو من أهم الأساليب التي تساعد على تثبيت المعاني والأفكار في نفوس السامعين، وانظر أيضًا إلى موسيقى حديثه في قوله: (إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقًا، ويكذب حتى يكتب كذابًا) يظهر فيه جمال اللحن والإيقاع؛ بسبب الموازنة والتقابل بين طرفي الكلام، وتقسيم الكلام إلى جزأين، وعدم تنافر الحروف والكلمات، والسجع في(صديقًا)(كذابًا).

فالتنبيه على خطورة النميمة والكذب جاء بعدة أساليب في حديث النبي ﷺ الأول: عن طريق أسلوب التنبيه (ألا)، والإبهام ثم التوضيح والإشارة في الحديث الثاني إلى أنها من الكذب.

٣٣-عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ وهم يصعدون في ثنية، قال: فجعل رجل كلما علا ثنية نادى: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: فقال نبي اللهﷺ: إنكم لا تنادون أصم ولا غائبًا، قال: فقال: يا أبا موسى، أو يا عبدالله بن قيس! ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة؟ قلت: ما هي يا رسول الله؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي

---

(١) العضة: العضة والعضية: البهيتة، وهي الإفك والبهتان والنميمة. لسان العرب، مادة: (عضة).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم النميمة.

رواية: قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة – أو قال– على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

لقد خاطبت البلاغة النبوية بأسلوب العرض والتنبيه جانبًا مهمًا من جوانب الغرائز البشرية ألا وهو حب النفس للمال، وأي مال؟ كنز من كنوز الجنة[٢]، ولا شك أن العرض قد حقق غايته في الأخذ بمشاعر المخاطب وتحريك كوامن شوقه، خاصة أن المدعو إليه أمر يستأهل الانتباه بما يحمل من خير عظيم، ومما زاد من هذا الانتباه هذه الصفة التي وقعت بعد الفعل مدخولًا للأداة، والتي رفعت –بلا شك– درجة الإثارة، وهي: كنز الجنة[٣]، وأي كنز أعظم من هذا! ماذا تعني كنوز الدنيا الفانية أمامه، فهو من كنوز الجنة الباقية.

وجاءت لفظة (كلمة) نكرة في هذا الموقف؛ للتقليل والتعظيم معًا؛ لأن النبي ﷺ أراد تهوين القول على قائلها مع عظم مدلولها؛ لحث المخاطب وتحفيزه على القول اليسير الذي فيه فضل كبير[٤].

ولا يخفى أن الأداة (ألا) ومدخولها فعلت فعلها بالصحابي، وبلغت به درجة من الإثارة والتشويق جعلته لا يتوانى وينطلق لسانه بـ: (بلى)، مما لو ذكر المعنى من دون هذا التحفيز الذي تدل عليه الأداة (ألا).

٣٤– عن ابن أبي ليلى حدثنا علي: «أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة، فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: على مكانكما، فقعد بيننا، حتى وجدت برد قدمه على صدري، ثم قال: ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»، وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة: «أن فاطمة أتت النبي ﷺ تسأله خادمًا وشكت العمل، فقال: ما ألفيتيه عندنا، قال: ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين أربعًا وثلاثين، حين تأخذين مضجعك»[٥].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر.
(٢) ينظر: الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، هناء محمود شهاب، ٢٠٧.
(٣) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢١٢.
(٤) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٣٣٧.
(٥) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التسبيح أول النهار.

يبدأ النص الشريف بشكوى السيدة فاطمة رضي الله عنها من أعمال البيت ولا سيما الرحى، ومما شجعها على طلب خادم: قدوم سبي للنبي ﷺ، وعندما ذهبت لتطلبه لم تجده، فاختارت أقرب نسائه لإخباره به، وعندما علم عليه الصلاة والسلام بالأمر بادر إلى بيت فاطمة، لكنه عندما وصل فإذا هما مضطجعان للنوم، ولما هما لاستقباله احترامًا له، أمرهما بأن يلزما مكانهما في قوله: (على مكانما) وقعد بينهما، وما توحي به هذه الإشارة من تحقيق للاتصال وتهيئة لهما في هذا المقام المملوء بالتلطف والود والرحمة للابنة الشاكية من أثر الرحى في يدها الشريفة[١]، وهذه الحركة تأنيسًا وتلطفًا منه ﷺ؛ ليهيئ الجو المناسب لتقبل النصيحة بكامل الرضا ورحابة الصدر، ثم اختار أسلوب التحضيض والتنبيه (ألا) الذي يخرج هنا لمعنى التأنيس والتسلية المثير للانتباه، والمحقق قدرًا وافرًا من الطمأنينة والسكينة، المناسب للمقام أولًا، وللمتلقي ثانيًا، بتوجيه الطلب إليهما إشعارًا منه برفعة مكانتهما عنده، فقد مهد للمضمون بهذا التمهيد المؤنس للنفس؛ لينزل منزلة النصح والإرشاد، فضلًا عن كونه أدعى لإذعان المتلقي واستجابته[٢].

وقد بنى عليه السلام كلامه على طريقة الأسلوب الحكيم[٣]، فلفتهما إلى ما هو أولى لهما، وقد ظنت فاطمة أنه سيعطيها خادمًا حين طلبته، لكن النبي ﷺ تلقاها بغير ما ترقبته، وأن ما فاتهم من أسباب الراحة في الدنيا سيجدونه ثوابًا في الآخرة، وهذا فيه إطابة لنفوسهم.

قال الطيبي: «علمها ما هو الأهم بحالها من التسبيح والتحميد والتكبير من طلبها الرقيق، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يتطلب؛ إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والتجافي من دار الغرور، والصبر على مشاقها ومتاعبها»[٤].

٣٥- عن أبي ذر قال: « قال رسول الله ﷺ: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله! أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: إن أحب الكلام إلى الله، سبحان الله وبحمده»[١].

---

(١) ينظر: توصيف الإشارة في الحديث النبوي الشريف، هاني آل يونس، دعد العبيدي، ١٧٥.

(٢) ينظر: أسلوبا العرض والتحضيض في الحديث الشريف، هناء محمود شهاب، ١٠٦.

(٣) هو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله، أو المهم له. الإيضاح، القزويني، ٧٠؛ وينظر: الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، محمد الصامل، ٣٠.

(٤) شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، ١٨٧٦/٦.

تدخل (ألا) على أفعال الإخبار وتبعث على الحوار، على نحو ما نراه في هذا الحوار مع أبي ذر، حيث جاء التنبيه بالأداة (ألا) في أسلوب يثير الشوق، والاهتمام والتطلع عند المخاطب، خاصة أن الصفة التي وقعت بعد الفعل مدخول الأداة هي كلام أحب إلى الله، فرفعت درجة الانتباه والإثارة، فتمكن أن يتسلل إلى أعماق نفس المخاطب، وأن يوثر فيها، حينما عرض عليه الحديث بهذا الأسلوب، فقد دل على ذلك قوله في الإجابة: (يا رسول الله! أخبرني بأحب الكلام إلى الله)؛ إذ لم يكتفِ بالإجابة بـ(نعم) أو (بلى)، بل أعاد لفظ السؤال كله.

وفي تصدير هذا الخبر بـ(إن): (إن أحب الكلام إلى الله) تحقيق لهذا الخبر، وتأكيد له، ومما لا شك فيه أن هذا المعنى قر في نفس المخاطب، وثبت في وجدانه؛ لأن النبيﷺ ألقاه بعد أن نبه له، وهيأه لتلقيه، فأصبح أبو ذر متشوقًا لمعرفته، فهو ﷺ يقصد بهذا التشويق والتنبيه إلى أن يمكن لذلك المعنى في النفس حتى يشتد الحرص على امتثالها[٢].

٣٦-عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟»[٣].

من أبرز الظواهر في موقع جملة التنبيه، وعلاقتها بما قبلها: أنها تسبق بتوطئة وتمهيد؛ لتأكيد مضمونها وتقريره، ونرى في هذا الحديث أنها سبقت بأسلوب القصر في قوله ﷺ: (ولا أراها إلا الفأر) وما فيه من توكيد وتقوية المعنى، ثم جاء بأسلوب التنبيه وجذب الإصغاء (ألا ترونها...) في مقام الحث على النظر والاستنباط، والاستنتاج أن امتناع الفأرة من لبن الإبل دون الغنم دلالة على أنها مسخ من بني إسرائيل؛ لأن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بني إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل سبحان الله وبحمده.
(٢) ينظر: التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، ٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في الفأر وأنه مسخ.

٣٧- عن النضر اليمامي: حدثنا عكرمة، حدثنا إياس، حدثني أبي، قال: «عدنا مع الرسول ﷺ رجلًا موعوكًا، قال: فوضعت يدي عليه فقلت: والله ! ما رأيت كاليوم رجلًا أشد حرًا، فقال نبي الله ﷺ: ألا أخبركم بأشد حرًا منه يوم القيامة ؟ هذينك الرجلين الراكبين المقفيين، لرجلين حينئذ من أصحابه»[١].

جاء الحديث الشريف على شكل حوار عادي لم يتعمده الرسول ﷺ ولكنها الوقائع أملته، فوصل إلينا على شكل حوار، فقد كان ﷺ يرحِّب بمثل هذه الحوارات والحوادث اليومية؛ لأنها مما كان يحرص عليها ويستغلها[٢]، وهذه من سمات أسلوبه.

فالنبي ﷺ يريد في هذا الحوار أن يكشف لأصحابه عن المنافقين الذين يظهرون الإسلام وينتسبون إلى صحبته؛ ليأخذ المسلمون حذرهم منهم، ولكنه لم يُلقِ إليهم الخبر مباشرة، وإنما دلف إلى ذلك من عروض الحوار، فافتتح بأسلوب العرض والتنبيه (ألا): (ألا أخبركم بأشد حرًا منه يوم القيامة؟) ليقرر ما يقوله أحسن تقرير ويؤكده، ودخلت أداة التنبيه هنا على فعل الإخبار الذي يستعمله النبي ﷺ في الغالب للإخبار عن الذوات أو صفاتها، وليس عن الأعمال إلا نادرًا[٣]، ثم أضف إلى هذا دلالة التفضيل(أشد حرًا) التي لا تنفصل عن التأكيد أيضًا بدلالة كلمة أشد في ذاتها.

وبعد أن استجمعت البلاغة النبوية أسباب لفت الانتباه إلى معرفة الخبر، أخذ الحديث في بيان الخبر مستخدمًا اسم الإشارة (هذينك) الدال على القريب لتمييز المنافقين، والهاء في (هذينك) حرف تنبيه[٤]، وهذا من أعجب المواقف، فهو لم يكن يعلم بأمر المنافقين؛ لأنهما« كانا في غمارهما، ودخلا بحكم ظاهرهما في دينهم، والعليم الخبير يعلم ما تجنه الصدور، وما يختلج في الضمير، فأعلم الله تعالى نبيه ﷺ بخبث بواطنهما، وبسوء عاقبتهما، فارتفع اسم الصحبة، وصدق اسم العداوة والبغضاء»[٥]، ولم يكشف ﷺ عن الأسماء؛ لعل السبب أنهما مقفين، بدليل قوله: (الراكبين المقفين)، أي: الموليان أقفيتهما.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم.
(٢) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، الصباغ، ١٠٣.
(٣) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل أيوب، ٢٤٤.
(٤) ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك الشافعي، ١٣٥/١.
(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، كتاب: التفسير، ٤١٤.

٣٨- عن حارثة بن وهب: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى، قال ﷺ: كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ثم قال: ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى، قال: كل عتل جواظ مستكبر»، وفي رواية: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف[١]، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ زنيم متكبر[٢]» ، وفي رواية : «ألا أدلكم؟»[٣].

من رحمة الله تبارك وتعالى وعدله في أرضه وسمائه، إنه لن يجمع للمؤمن المستضعف عذابين؛ عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة، فيبشر الرسول ﷺ من عاش في هذه الحياة مسلمًا صادقًا مستضعفًا أن الله ﷻ سيكرمه في الآخرة برحمته بجنة عرضها السماوات والأرض، ولعظم منزلته عند الله وإن احتقر عند الناس يقول الرسول: (لو أقسم على الله لأبره) أي: لو حلف على وقوع شيء لأوقعه الله؛ إكرامًا له وصيانة له من الحنث، ثم يذكر الرسول ﷺ الصنف الآخر: أهل النار، وهم المتكبرون الطغاة، الجبارون في الأرض.

ويلحظ في هذا الحديث مجيء الاستفهام دون الجملة الخبرية المباشرة؛ ترغيبًا للصحابة في التعلم والمعرفة، وجاء بأسلوب التنبيه (ألا)، وصيغة الاستفهام مع (ألا) فيها مبالغة في الترغيب[٤]، ولو عبَّر بصيغة خبرية كقوله: (صفة أهل الجنة كذا، وصفة أهل النار كذا) لزابت هذه الإثارة المقصودة، إذ لا شك بأن الاستفهام والتنبيه أوقع في النفس، وأبلغ في الدلالة.

واختار ﷺ رسم كلماته بنغماتها؛ لتلقي ظلالًا محددة ، ثم تقابلت الأجراس والظلال لتؤكد التصوير، ففي كلمة: (ضعيف)، (متضعف) ليونة وسهولة يرسم جو اللين والذلة ويرسبه في النفس، يقابل ذلك: (المتكبر) وقد جاءت الكلمة بجرسها واختيار حروفها مصورة صورًا ثقيلة على الحس والسمع، فكلمة (عتل) تمثل الغليظ السمين

---

(١) كل ضعيف: الذي يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا، يقال: تضعفه واستضعفه، وقد يكون الضعف هاهنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن معظم أهل النار القسم الآخر. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، ٢٠٢/٩.

(٢) كل عتل: هو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ ، (جواظ) بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة هو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: غير ذلك (متكبر) أي: صاحب الكبر، وهو بطر الحق وغمط الناس. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، ٢٠٢/٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٤) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٢٠٥.

الجافي، و(الجواظ) يمثل هذا الغلظ والفظاظة والاستعلاء المتكلف، إن هذه الكلمات بظلالها وجرسها مشعرة بغلظة هذا الشخص؛ لتنفر السامع من هذا الخلق[١].

«أي غلظة أو فظاظة لا يتصورها السامع عند سماع هاتين الكلمتين ولو لم يفسرها المفسرون، أحسب أن لو نودي بإحداهما إنسان من أهل الأرض لغته أي لغة لثار الغضب في وجهه لما يتصوره وراء اللفظ من قبح بالغ مبهم، لقد ناسب ﷺ بين المعاني والكلمات مناسبة كاملة، فالثقل والطول في اللفظ يصور الثقل وامتداد الثقل في الموصوف، وقد جاء(جواظ) على صيغة المبالغة مضعف العين ، ممتد المطي ، مختومًا بالظاء التي ينتهي لديها إفراط الغلظ»[٢].

هذا التناسق في التصوير بدلالة الألفاظ على معانيها أعلى من الفصاحة اللفظية، فتصوير الألفاظ للمدلولات ليس من قبيل الدلالة المعنوية فقط ولكن من قبيل الطريقة التصويرية[٣]، وهذا ما تحقق في هذا الحديث الشريف، ففيه استدعت الدلالة ألفاظها، وشاكلت الأصوات معانيها، وهذا من أسرار الدقة البالغة في البيان النبوي الذي قال عنه الرافعي: «مسدد اللفظ، محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء، في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق»[٤].

٣٩-عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا، وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[٥].

النبي في هذا الحديث يريد أن يبشر أهل الجنة ببشرى خاصة وهي حلول رضوان الله عليهم، ويريد تقرير البشارة في نفس سامعه، فلم يلقِ البشارة إلقاءً مباشرًا، وذلك ببناء الكلام على أسلوب الحوار بين الله تعالى وأهل

---

(١) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢٥٨.
(٢) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٢٩٢، ٢٩٣.
(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ٨١.
(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ٣٥٩.
(٥) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبدًا.

الجنة، وافتتح الحديث بأسلوب التوكيد بـ(إن): (إن الله يقول لأهل الجنة)، ثم أسلوب النداء بـ(يا): (يا أهل الجنة!)، ثم جاء بأسلوب الاستفهام بـ(هل):(هل رضيتم؟)، فشوق بهذا الأسلوب أهل الجنة؛ إذ إن دخول الجنة هو الغاية، فجعلهم يسألون: (وما لنا لا نرضى؟ يا رب!) ثم يزيد تشويقهم ورغبتهم بأسلوب التنبيه بـ(ألا): (ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟)، فتشوق أهل الجنة واندفعوا يسألون، لما اعترى نفسهم من هِزة وسرور دفعتهم للكلام: (يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟) ويختم حديثه بالمقابلة: (أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا)، فتقع هذه البشارة في قلب السامع، فيطرب لها وينتشي.

فالتبشير النبوي يقوم على ترك الخيار للسامع، إما أن يقبل على العمل أو لا يقبل، ويكون جزاء هذا العمل مرتبطًا بالإقبال وعدمه[(١)].

٤٠- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بموعظة فقال: يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلًا، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين، ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ! أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾}[(٢)]، قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، وفي حديث وكيع ومعاذ: فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٣)].

افتتح ﷺ خطبته بالنداء في قوله: (يا أيها الناس)؛ للدلالة على الاهتمام بما سيخبره، ومبالغة في تنبيهه لما سيلقي عليهم، وبخطر شأنه، ثم أعقبه بأسلوب التوكيد (إن) في قوله: (إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة).

---

(١) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ١١٥.

(٢) سورة المائدة: ١١٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

اقتبـــاس مـــن القـــرآن: { كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ }[١]، { وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا }[٢].

وجاء هذا كله تمهيدًا لأسلوب التنبيه بـ(ألا) في قوله: (ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام)، وأضاف إليه أسلوب التوكيد بـ(إن) فتضافرا معًا في التنبيه والتأكيد على أن أول من يكسى من الخلق هو إبراهيم عليه السلام.

ثم كرر أسلوب التنبيه بـ(ألا) وأسلوب التأكيد بـ(إن)؛ للتنبيه على ضلالة فئة أو جماعة من أمة محمد في قوله: (ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي)؛ لما في هذا الأسلوب من قوة، لاسيما وأنه يخبر عن أمر غيبي عظيم، فاستلزم أن يتخذ من أسلوب التنبيه سبيلًا قبل إلقاء هذا الخبر إليهم؛ ليكون ذلك زجرًا للذين يخالفون سنته ويبدلونها ويبتدعون في الدين من بعده.

ثم أعقب أسلوب التنبيه بأسلوب النداء بـ(يا) في قوله: (يا رب أصحابي)؛ استشعارًا في نفسه بقربه في المنزلة من الله تعالى، وتبدو ضراعة التوسل والشفاعة والرجاء من الله سبحانه وتعالى بأن يرحم أصحابه في الدنيا[٣].

تلكم هي بلاغة أسلوب التنبيه، وتلك هي غاياته، وحين يضاف إليه أساليب أخرى، فإن بلاغته تزداد وتزدان؛ لأن كل أسلوب له دلالة خاصة وإيحاء خاص، فتتضافر الأساليب معًا؛ لتحقيق المعنى المراد تمكينه في نفوس المتلقين.

٤١-عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»[٤].

يحذّر النبي ﷺ أمته في هذا الحديث من أمر عظيم فيه نجاتها في الدنيا والآخرة، ولم يرد أن يعرض هذا الأمر إلا بصورة تليق بخطورته وعظمته، فافتتح حديثه بأداة التنبيه (ألا) لتحفيز عقول المخاطبين، وإيقاظ مشاعرهم؛ لأن ما سيلقى إليهم معنى عظيم، يعنى بشأنه، وهو تحذيرهم من المسيح الدجال وذكر بعض أوصافه،

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٢) سورة المائدة: ١١٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ثناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه.

ومما لا شك فيه أن هذا الأمر الذي دلهم عليه أمر عظيم، وهو من الدين بمكان؛ لخوفه ﷺ على أمته من الاغترار بما مع المسيح الدجال، فنار الدجال جنة وجنته نار، وفتنته أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، وذلك لما معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول.

ومن هنا كان حرصه ﷺ أن يسلك هذا المسلك في ذكره، آثر ألا يلقي إليهم هذا الأمر العظيم غفلًا عن التمهيد والتهيئة إليه، وكان سبيله في تحقيق ذلك أسلوب التنبيه (ألا) الذي سبق الخبر، وفي تصدير هذا الخبر بـ (إن) في قوله ﷺ: (إنه أعور)، (إنه يجيء معه)، (إني أنذرتكم) مزيد تأكيد وتحقيق، وأنه واقع لا محالة.

٤٢-عن عثمان الشحام قال: «انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكرة وهو في أرضه ، فدخلنا عليه ، فقلنا: هل سمعت أباك يحدث في الفتن حديثًا؟ قال: نعم، سمعت أبا بكرة يحدث، قال: قال رسول الله ﷺ:إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة ، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض، قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني، قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار»[(١)].

في هذا الحديث دعوة إلى عدم المشاركة في الفتن، وقد سلك النبي ﷺ إلى ذلك سبيل التصوير بالموازنة، فذكر أن الجالس في هذه الفتنة خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، أي كلما استطاع المرء أن يبعد عن المشاركة في الفتنة كان ذلك أسلم وأفضل، وقد عبر عن التارك للفتنة بالجالس، وعن المشارك بها بالقائم أو الماشي، وعن الداعي لها بالساعي إليها[(٢)].

وسلك الرسول ﷺ من أسلوب التنبيه وسيلة لتحذيرهم من هذه الفتن من خلال افتتاح كلامه بأداة التنبيه (ألا) وتكرارها مرتين في قوله: (ألا ثم تكون فتنة، ألا فإذا نزلت)، لما تضمنه هذا الأسلوب من دلالات وإشارات، فلم يكتفِ ﷺ بذكرها مرة واحدة، وإنما كررها على مسمعهم مرتين؛ مزيدًا في التنبيه والتحذير؛ ليدركوا خطورة هذه الفتن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.
(٢) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ٢٦٥، ٢٦٦.

ويتجنبوها، أيضًا أعاد البناء الأسلوبي نفسه وكرره في قوله: (فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)، وكان بإمكانه أن يقول: (من كانت له إبل أو غنم أو أرض فليلحق بها)، ولكنه آثر إعادة هذا البناء وتكراره لغرض بلاغي، وهو تمكين معنى الفرار بالنفس من الفتن في النفوس بهذا التكرار، وترسيخه في الضمائر، وغرض آخر وهو سهولة حفظه حتى يحقق الهدف السابق .

ثم كرر الدعاء في قوله: (اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟) ثلاث مرات؛ ليهيئ ذهن المخاطب إلى ما يلقيه إليه، ويوقظ انتباهه، والتأكيد على تفهمه.

وفي هذا دلالة على أن التكرار وسيلة مهمة لما يتضمنه من قوة وتأثير، فهو ذو فاعلية مؤثرة في الأداء على المستويين الصوتي والدلالي، فهو بمثابة منبه فني يندفع منه المعنى أو يتوقف عنده[(١)].

وقد تم له ﷺ من خلال أسلوب التنبيه وتكراره، وإعادة البناء وتكراره ما أراد، فقد حقق مقصوده، وأدرك مبتغاه، بدلالة سؤال أحد المخاطبين للنبي ﷺ واستعماله للفعل: (أرأيت) الذي يجيء في الحوارات النبوية على ألسنة المتحاورين حين يريد المتكلم السائل من سامعه أن ينصت لمسألته، وأن يعطيها كل اهتمامه؛ لأن المسألة عند السائل من المسائل ذوات الشأن والخطر، مما جعل الحوار تفاعليًا بسيطًا؛ إذ كان للمخاطبين نصيب في خلق الحوار[(٢)].

٤٣- عن عبدالله بن عمرو: «جاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما، لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشأم فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة

---

(١) ينظر: التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، محمد عبد المطلب، ٥١.
(٢) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي الشريف، خليل محمد أيوب، ٢١٨-٢٢٥.

الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس، هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق»[١].

هذا الحديث كالذي قبله في أخبار الدجال، فهو فتنة عظيمة، والله جل وعلا قدرها لابتلاء الناس وامتحانهم، وأراد ﷺ في هذا الحديث أن يذكر للمخاطبين أمرًا مهمًا، وأن يلفت نظرهم إلى أمر غيبي، وهو خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، فكان سبيله في تحقيق ذلك عدة أساليب، منها: أسلوب القصر في قوله: (فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته... فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا)؛ لتوكيد المعنى في هذا المقام الذي له شأن، وجاء بأسلوب الشرط في قوله: (لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه)؛ لزيادة الترسيخ في الذهن وتعميق استجابة الذهن، وعمد إلى أسلوب التنبيه بـ(ألا) الدال على الطلب والأمر بلسان الشيطان الذي تمثّل لهم على هيئة شخص فقال لهم: (ألا تستجيبون؟) فكان ذلك أشد وقعًا على النفس مما لو جاء بصيغة أخرى، وأعقبه بأسلوب الاستفهام بقولهم للشيطان واستجابتهم لأمر الشيطان: (فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان) وفي قوله: (من كم ؟... من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين..)، ثم جاء أسلوب النداء للتنبيه في قوله: (يا أيها الناس، هلم إلى ربكم...)، وكذلك بناء الحديث على أسلوب الحوار، وغير ذلك من الأساليب؛ لزيادة التحذير والإنذار من المسيح الدجال؛ لتنجو أمته من هذه الفتنة العظيمة التي نسأل الله تعالى أن يعافينا ويعيذنا منها.

بعد هذا التطواف في رحاب الأحاديث الخاصة بأسلوب التنبيه بـ(ألا) خلص هذا الفصل إلى نتائج، على النحو الآتي:

١- من أهم سمات البيان النبوي النص على وظيفة البلاغ، وهو ما عبر عنه ﷺ في أحاديثه بالإبلاغ :(ألا هل بلغت ؟).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض.

٢- تقوية أسلوب التنبيه باستعمال الحركة والإشارة المناسبة للمعنى، ليستلفت النظر، وينبه الغافل، ويعين على الحفظ والتذكر، كما في قوله ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ... وكان متكئاً فجلس)، وحديث أبي مسعود : (أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: ألا إن الإيمان ههنا...)، :(ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين...ولكن يعذب بهذا، وأشار إلى لسانه).

٣- اختصت أحاديث أسلوب التنبيه بأغراضها الموضوعية، خاصة ما يتعلق بالمرأة؛ فيقرر لها حقوقها وواجباتها أسوة بالرجل، مثل قوله ﷺ: (ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته... والرجل راع على أهل بيته...والمرأة راعية على بيت بعلها).

٤- كان النبي ﷺ يحض أصحابه على الحوار والسؤال بأسلوب التنبيه (ألا)؛ ليتعلموا أمور دينهم، مثل قوله ﷺ:(أنا سيد الناس يوم القيامة ... ألا تقولون كيفه؟) وهذا منهج قرآني، وهو امتداد لما في القرآن من حض، إذ نجد أمر الله تعالى بالسؤال في كثير من آياته.

٥- كان النبي ﷺ كثيراً ما يمهد لأسلوب التنبيه بـ(ألا) بأساليب بلاغية أخرى مثل أسلوب الاستفهام، وغير ذلك من أساليب بلاغية؛ مما يجعل السامع مشدوداً إلى الحديث حتى يبلغ غايته.

٦- لم يرد الخطاب بأسلوب التنبيه بـ(ألا) لغير المسلمين إلا في موضع واحد في خطاب اليهود والنصارى، وذلك في قوله ﷺ:(فيشار إليهم ألا تردون ...).

٧-كثيراً ما تعانق أسلوب التنبيه بـ(ألا) مع أسلوب النداء في السياق الواحد، فقد يتقدم النداء على أسلوب التنبيه، فيأتي وكأنه تمهيد وتهيئة للمخاطب، مثل قولهﷺ:(يا عمر ألا تكفيك آية الصيف)، (أيها الناس... ألا وإني نهيت أن أقرأ...)، وأحياناً قد يتأخر عنه للحض على الطلب، كما في قوله ﷺ:(ألا تشرع يا جابر)، (ألا تبايعني يا سلمة).

٨- من أبرز الظواهر في أسلوب التنبيه بـ(ألا) استخدامه مع النكرة في لفظة (رجل)، مثل قوله ﷺ:(ألا رجل يمنح أهل بيت..)، (ألا رجل يأتينا بخبر القوم...)، (ألا رجل يضيف هذا رحمه الله)؛ لغرس الرجولة في نفوس المخاطبين، وتحفيز الفطرة الرجولية لديهم، فالدين الإسلامي دين فطرة.

٩- كان النبي ﷺ لا يدع موقفاً أو فرصة سنحت للتوعية والإرشاد تذهب دون أن ينتهزها لتؤتي الثمرة، من ذلك قوله ﷺ:(ألا خمرته ولو تعرض عليه عوداً)، لما جاءه الصحابي بقدح لبن لم يغطِه، وقوله:(ألا أخبركم بأشد

حراً منه يوم القيامة..)، لما عاد وأصحابه رجلاً موعوكاً، وغير ذلك من المواقف والفرص، فهو حين يستثمر هذه المواقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة، تستعصي على النسيان.

١٠- اعتمد أسلوب التنبيه بـ(ألا) غالباً على أسلوب التوكيد مثل قولهﷺ:(ألا إن القوة الرمي...)، (ألا إن الله ينهاكم...)، (ألا إن المدينة كالكير...)؛ من أجل توكيد المضمون في نفس المخاطب.

١١- نلمس حضور التكرار في البناء الواحد بنفس التركيب في الحديث الشريف؛ ليحفظ في الأذهان، ويرسخ في الذاكرة :(يا آدم أنت أبو البشر... اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟...)، (ألا ثم تكون فتنة القاعد... فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرض).

١٢- يلجأ الرسولﷺ إلى أسلوب القصة والخطبة في كثير من أحاديثه مع أسلوب التنبيه، من ذلك قصة موسى عليه السلام مع الخضر:(ألا ألحق نبي الله فأخبره...)، وخطبته يوم حجة الوداع: (خطب الناس وقال إن دماءكم ...ألا كل شيء من أمر الجاهلية؛ لما لها شأن في إبراز خبيئات المعاني، وتترك أثرها في النفوس، ولهذا فقد سلك النبي ﷺ هذا المنهج واستخدم هذا الأسلوب.

١٣- تكرار أسلوب التنبيه بـ(ألا) في السياق الواحد؛ مثل قوله ﷺ لسلمة بن عمرو الأكوع (ألا تبايعني يا سلمة) ثلاث مرات، وفي قوله ﷺ عن أكبر الكبائر:(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...) ثلاثاً، وفي قوله ﷺ عن أهمية الرمي:(ألا إن القوة الرمي...) ثلاثاً، وفي قولهﷺ في غزوة الأحزاب:(ألا رجل يأتيني بخبر القوم...) ثلاثاً، وغير ذلك من أمثلة، ولا شك أن هذا التكرار أوقع أثراً في نفس المخاطب، وأعمق تأثيراً وفاعلية.

١٤- وجدت أن النبي ﷺ في مقامات الإنكار والتأديب بأسلوب التنبيه بـ(ألا) ما كان يخصصه لمن يستحقه؛ حتى لا يحصل له الخجل على الملأ، فكانت عادته أن يستخدم صيغة العموم (ما بال).

١٥- تكفل أسلوب التنبيه بـ(ألا) ببيان أفضل العبادات وأعظم الذنوب، فكان ﷺ حين يتحدث عن عبادة عظيمة نجده يرفعها فوق كل عبادة؛ ليرغب المخاطبين فيها أشد ترغيب، مثل قوله ﷺ (ألا أخبركم بخير الشهداء)، وحين يتحدث عن الخطايا الكبيرة نجده يصنع الصنيع نفسه؛ ليرهب منها أشد ترهيب، (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر).

١٦- أكثر ما يصحب أسلوب التنبيه بـ(ألا) أسلوب القصر، مثل قوله ﷺ:(ألا إن آل أبي... إنما وليي الله)، (لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير)، (ألا إنما الربا في النسيئة).

١٧- كثر ورود أسلوب القسم مع أسلوب التنبيه بـ(ألا)؛ لتوكيد المعنى وإثباته، وإبراز الجد فيه، وتنوعت صيغ المقسم به، مثل قوله ﷺ :(والذي نفس محمد بيده! لآنيته أكثر... ألا في الليلة المظلمة)، (والذي نفسي بيده! ...ألا إن المدينة كالكير)، (ألا وإني تارك فيكم ثقلين ...لا وايم الله إن المرأة...)، (ألا ينظر المصلى ...إني والله لأبصر).

١٨- تواشجت عدة أساليب بلاغية مع أسلوب التنبيه في السياق الواحد؛ لتحقيق الإقناع والتأثير، وفقاً لمقتضى المقام مثل قوله ﷺ في مقام المسيء لصلاته : (يا فلان! ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي).

١٩- وكان لأسلوب الشرط حظ كبير مع أسلوب التنبيه (ألا)، فهو من الأساليب الأثيرة في بلاغة الرسول ﷺ؛ لأنه يستوعب الكثير من المعاني التي تتطلب الإطالة، والمتلقي عند سماعه لفعل الشرط يكون متشوقاً لانتظار جوابه الذي لا يتم المعنى بدونه، مثل قولهﷺ :(ألا إنها حرام من يومكم هذا ...ومن كان أعطى شيئاً فلا يأخذه)، (لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم...).

٢٠- أن معاني أسلوب التنبيه بـ(ألا) متعددة تستنبط من المقام الواردة فيه، ويستهدى إليها بإمعان النظر فيها، لندرك معاني بلاغية أخرى لم ينص عليها العلماء، من ذلك الحث على الاعتناء بالاستنباط في قولهﷺ: (ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء...)، (ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه...).

الفصل الثاني

أسلوب (أما) في صحيح مسلم

المبحث الأول: تأصيل (أما) وأثرها في النظم

اللغات الواردة في (أما):

جاء في مصنَّفات بعض العلماء أن همزتها تُبدَل هاء وعينًا: «وقد تبدل همزة (أما) هاء، أو عينًا، فيقال: هما والله ، وعما والله، وقد تحذف ألفها في الأحوال الثلاثة، فيقال: أم والله، وهم والله، وعم والله»[١].

« حكى محمد بن الحسن عن العرب: "أم والله لأفعلن"، يريدون: أما والله، فحذفوا الألف تخفيفًا، وذلك شاذ قياسًا واستعمالًا، أما شذوذه في الاستعمال فما أقله! وأما القياس فمن جهتين:

إحداهما: أن الألف خفيفة غير مستثقلة، ألا ترى أن من قال: ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾[٢]، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾[٣]، فحذف الياء تخفيفًا في الوقف، ولم يحذف الألف ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[٤] لخفتها.

والجهة الثانية: أن الحذف في الحروف بعيد جدًا؛ لأنه نوع من التصرف، والحروف لا تصرف لها لعدم اشتقاقها»[٥].

فائدة حرف التنبيه (أما):

فائدته مثل حرف التنبيه (ألا):

١. التنبيه أيضًا، وتحقيق الكلام بعدها[٦].

٢. استفتاح الكلام[٧].

فهي تأتي بمنزلة (ألا) في التنبيه والاستفتاح وتحقيق اللام، نحو قول المتنبي:

وأمَـــا وحَقِّـــكَ وهـــوَ غايَـــةُ مُقسِـــم لَلحَـــقُّ أنـــتَ ومـــا سِـــواكَ الباطِـــلُ

---

(١) الجنى الداني، المرادي، ٣٩٠/١؛ شرح كافية ابن الحاجب، ١٣٥٧.
(٢) سورة الكهف:٦٤.
(٣) سورة الفجر:٤.
(٤) سورة الليل:١-٢.
(٥) شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٤٦.
(٦) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٤٤/٥.
(٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٢/١.

الطِّيـــــبُ أنـــــتَ إذا أصـــــابَكَ طِيبُـــــهُ والمـــــاءُ أنـــتَ إذا اغتَسَـــلتَ الغاسِـــلُ[١]

إذ جاءت (أما) في هذا البيت داخلة على القسم؛ لتنبيه المخاطب إلى استماع قسمه وتحقيق المقسم عليه.

دلالتها وموقعها في الكلام:

هي للتنبيه والاستفتاح في الكلام، مثل (ألا)، وذلك مثل: أما زيد قائم، أما قام زيد[٢].

ولم يرد حرف التنبيه (أما) في القرآن الكريم، وقد اطلعت على بحث حول أحرف التنبيه في القرآن ، لكن الباحث لم يشر إلى السبب في عدم ورودها في القرآن[٣].

معاني (أما):

قد تأتي بمعنى العرض:

كأحد معاني (ألا) السابق ذكرها، كأن تقول: (أما تقوم)، (أما تقعد)، أن تعرض عليه فعل القيام والقعود[٤].

وقد تأتي بمعنى حقًا:

أن تكون بمعنى حقًا مثل(أما أنك مجتهد)، ويفتح ما بعدها كما يفتح بعد حقًا؛ لأنها مؤولة بمصدر مبتدأ، وحقًا مصدر وقع ظرفًا مخبرًا به وعنه[٥].

خصائصها:

تمتاز هذه الأداة بعدة خصائص كأختها (ألا)، وهي:

١. الصدارة في الكلام، يقول ابن الحاجب: «لا تدخل (ألا) و(أما) إلا على أول الكلام على الجمل»[٦].

---

(١) شرح ديوان المتنبي، العكبري، ٣/٢٦١.
(٢) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ١٨١.
(٣) ينظر: أحرف التنبيه في القرآن، حبيب الله صالح، ١١٣.
(٤) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ١٨٢.
(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ١/٣٩١.
(٦) الإيضاح في شرح المفصل، ٢/٢٢٠.

٢. تكسر بعدها همزة إن[١] كقوله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»[٢].

٣. تكثر بعد القسم[٣] كقوله ﷺ لعمه عند احتضاره: «أَما والله، لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عَنكَ»[٤].

مدخولاتها:

يقول ابن الحاجب: « تدخل على الجمل كلها؛ لتنبيه المخاطب على ما يذكر بعدها؛ خشية أن يفوته لفظة شيء منها»[٥]، وتدخل (أما) على الجملتين الاسمية والفعلية:

الجملة الاسمية:

مثل قول الشاعر:

أَمـــا وَالَّـــذي أَبلـــى بِلَيلـــى بَلِيَّتـــي وَأَصـفى لِلَيلـى مِـن مَـوَدَّتِيَ المَحضـا[٦]

الجملة الفعلية:

مثل قوله ﷺ: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»[٧].

الفرق بين (ألا) و(أما):

أن (أما) للحال و(ألا) للاستقبال، فتقول: (أما إن زيدًا عاقلٌ)، تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز[٨]، وتقول:

ألا أبلـــغ أبـــا مخـــزومَ عنـــي وبعـض القـول لـيس بـذي حويـل[١]

---

(١) ينظر: رصف المباني في كشف حروف المعاني، المالقي، ١٨١؛ مغني اللبيب، ابن هشام، ٥٢/١؛ الجنى الداني، المرادي، ٣٩٠/١؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٣/١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٣) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ٥٢/١؛ الجنى الداني، المرادي، ٣٩٠/١؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٦٣/١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل، ٢٢٠/٢.

(٦) البيت لامرئ القيس في ديوانه، ١١٢.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٨) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، ٤٤/٥.

وأن (ألا) كثيرًا ما تدخل على النداء[٢]، مثل قوله:

أَلا أَيُّهــا الشَــيخُ الَّــذي مــا بِنــا يَرضــى شَــقيتَ وَلا أَدرَكــتَ مِــن عَيشِــكَ الخَفضــا[٣]

بينما (أما) تقع كثيرًا قبل القسم[٤]، كقوله:

أمــا وَالَّــذي لا يَعلَــمُ الغَيــبَ غيــرُهُ ويُحيــي العِظــام وهــي رَمــيمُ[٥]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه، ١٨٨.

(٢) ينظر: الجنى الداني، المرادي، ٣٩٠/١.

(٣) البيت لقيس بن الملوح في ديوانه، ١٠٤.

(٤) ينظر: الجنى الداني، المرادي، ٣٩٠/١؛ الكشاف عن حقائق لتنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، ٦٢/١.

(٥) البيت لحاتم الطائي في ديوانه، ٨٦.

المبحث الثاني: مدخولات (أمَا) في صحيح مسلم
وأسرارها البلاغية

وكما هو الحال في (ألا) أن مدخولاتها لم تتعدى الجملة الفعلية، والاسمية، كذلك (أما) لكن تعدد عطاءاتها بحسب تعدد أنماطها التركيبية وما تقترن به من أساليب من خلال المقامات التي تتطلب هذا النمط أو تستدعي ذلك التركيب، وهذا ما سنراه في تحليل أحاديث هذا المبحث.

أولًا: الجملة الاسمية:

١- عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: "يا عم، قُل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله"، فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله: "أَما والله! لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عَنكَ"، فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[1]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2] »[3].

إن الهداية فضل من الله تعالى يتفضّل بها على من يشاء من عباده، وهو أعلم بالمهتدين، فيهدي برحمته من هو أهل للهداية، ولا يملكها إلا الله وحده، ولم يجعلها حتى لنبيه محمد ﷺ، فأبو طالب لم يدخل الجنة مع أنه عم النبي ﷺ، وكان شقيقًا لوالده "عبدالله"، وهو الذي كفل النبي ﷺ بعد وفاة

---

(١) سورة التوبة:١١٣.
(٢) سورة القصص:٥٦.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت.

جده عبد المطلب، ومع ذلك لم يستطع النبي ﷺ هداية عمه مع كمال إخلاصه ونصحه وفصاحته، فمات مشركًا وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، رغم اجتهاده ﷺ وحرصه على دعوته إلى الله تعالى في آخر لحظة من لحظات حياته ورحيله من الدنيا، وذلك عندما زاره في مرضه واحتضاره، وكان أبو جهل عنده وبعض رجالات قريش، فعرض عليه كلمة التوحيد فهاب رجالات قريش وصدَّوه عن قول كلمة "لا إله إلا الله" حتى كلفه ذلك أن خسر آخرته.

فوعده الرسول ﷺ قائلًا: (أما والله ! لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك). أقسم ﷻ بلفظ الجلالة، وهو من أعلى أنماط القسم وأصدق ألفاظه وتراكيبه[١]، مسبوقًا بأشهر حروف القسم وأكثرهن استعمالًا وهي "الواو"[٢]؛ لتأكيد هذا الأمر وهو (العزم على الاستغفار لعمه)، وإثباته في أذهان السامعين وإظهار الجد فيه، ولبيان أهمية المقسم عليه[٣].

فإن سبق الكلام بقسم صريح كان آكد؛ لأنه بدأ بذكر ما يعظمه ، قاطعًا على نفسه أنه سيفعل، وقد ذكر هذا المعظم تقوية للعهد والميثاق، ففي القسم الصريح توكيد وزيادة بخلاف ما لم يذكر فيه القسم الصريح[٤].

افتتح قسمه ﷺ بأداة التنبيه (أما) التي لا يستفتح بها إلا في معانٍ لها شأن؛ لأن الاستفتاح معناه التنبيه والإيقاظ، وكأن هذه الأداة طرقة تطرق باب القلب والعقل؛ حتى يتنبّه؛ ليعي ما يلقى إليه[٥].

فالنبي ﷺ لم ييأس من هداية عمه، وكان يعيد ويكرر بتلطُّف في الدعوة، واختيار الألفاظ والألقاب الراقية: (يا عم! قُل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله)، وفي رواية البخاري عن أبي اليمان: (أَي عَمِّ، قُل: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)، ونداؤه بصفة العمومة في هذا المقام، فيه تأكيد للتلطف والإيناس والتقريب والترقيق، وإشعار له بالاعتراف بحقه عليه، والاهتمام به، والحرص عليه، ومحاولة تقريبه إلى ما يريده المتكلم ﷺ.

واختياره ﷻ للمفردات: (قل) و(كلمة) مع تنكيرها؛ للتقليل؛ لتسهيل النطق بها، وهو في حال الموت، فيكفيه النطق بهذه الكلمة اليسيرة للنجاة من النار.

---

(١) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، عودة خليل أبو عودة، ٤٩٤.
(٢) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ١٦١/٤.
(٣) ينظر: بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، ٤٧-٥٧.
(٤) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ١٨٥/٤.
(٥) ينظر: شرح أحاديث من صحيح بخاري، محمد محمد أبو موسى، ٧٠٨.

وأكّد له الرسول ﷺ أنه إذا تلفّظ بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، فإنه (سيشهد) له بها عند الله؛ تشجيعًا له على التلفُّظ بها، وفي رواية البخاري: (أحاج) «كأنه ﷺ فهم من امتناع أبي طالب من الشهادة في تلك الحالة أنه ظن أن ذلك لا ينفعه؛ لوقوعه عند الموت أو لكونه لم يتمكن من سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، فلذلك ذكر له المحاججة ، وأما لفظ الشهادة فيحتمل أن يكون ظن أن ذلك لا ينفعه؛ إذ لم يحضره حينئذ أحد من المؤمنين مع النبي ﷺ فيطيب قلبه بأن يشهد له بها فينفعه»[١].

٢- عن سهل بن سعد الساعدي «أن رسول ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: "أما إنه من أهل النار"، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال ﷺ عند ذلك: "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة"»[٢].

هذه القصة من الشواهد على صدق نبوته ﷺ، وإخباره لأصحابه ببعض أمور الغيب التي أطلعه الله عليها، وقد جاء هذا الحديث في قالب الحوار بين الصحابة ورسولهم الكريم، وكان ﷺ يتخذ الحوار وسيلة تعليمية يلجأ إليها؛ ليحرك أذهان الصحابة، ويشد انتباههم، ويجعل إقبالهم على متابعته أشد وأكثر تجاوبًا[٣]، ولذا من العسير جدًا أن نجد حديثًا شريفًا لا يتوافر فيه الحوار وهذا بدهي، فهو حديث من نبي إلى قومه، يعلمهم ويصحِّح

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٩٥/٧.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.
(٣) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، محمد لطفي الصباغ، ٩٧.

أخطاءهم، ويلبي دعواتهم، ويجيب عن تساؤلاتهم[١]، وفي هذا الحديث حوارٌ لم يتعمده الرسول ﷺ ولكن الوقائع أملته، فوصل إلينا بهذا الشكل[٢].

والذي أثار الحوار أن رجلًا من بين أصحاب الرسول كان يقاتل المشركين بقوة حتى أعمل فيهم القتل، فقد كان: (لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه) أي: «لا يسلم منه أحد إلا قتله»[٣]، فأعجبوا لشجاعته وأثنوا عليه وقالوا: (ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان) أي: «ما ناب أحد منابه، ولا قام أحد مقامه، ولا قضى ما قضاه، من قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[٤] أي: لا تقضي ولا تنوب»[٥]، ذلك الرجل لم يكن مخلصًا في جهاده كما ظن الصحابة، وقد صرح الرجل بذلك فيما روي عنه، فحكم النبي ﷺ على هذا الرجل بأنه من أهل النار (أما إنه من أهل النار)، فعظم الصحابة ذلك وكبر عليهم؛ وذلك لأنهم نظروا إلى صورة الحال الظاهرة ولم يعرفوا الباطن الخفي، فأوحى الله تعالى لنبيه بمغيب الأمر وعاقبته؛ لينبههم على ترك الاعتماد على الأعمال، والتعويل على فضل الله ﷻ[٦].

ففي هذا الحديث لم يعاقب النبي ﷺ هذا الرجل على ما ظهر له منه على عدم صدقه وإخلاصه، وهذا دلالة على أن النبي ﷺ يأخذ بظواهر الناس ويكل سرائرهم إلى الله تعالى[٧]، وقد نهانا الله تعالى عن أن يزكّي الواحد منا نفسه مع كون الواحد منا أعلم بنفسه من غيره قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾[٨] .

فكيف نستطيع أن نحكم على غيرنا بتقواه، وبصدق ظاهره وباطنه وسره وعلانيته مع الله؟!

وقد أصدر الرسول ﷺ حكمه على الرجل بعد أن أكده وقرره بـ(إنَّ) المؤكدة مع الجملة الاسمية، وبعد أن مهّد لإلقائه بأداة الاستفتاح (أما)، هذا التركيب أدى دوره في التحذير والترهيب والتخويف من الاغترار بالأعمال ، وعدم الاعتماد والاتكال عليها؛ مخافة انقلاب الحال إلى المصير السابق من سوء الخاتمة، وإتيانه بهذه الجملة أثار

---

(١) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عودة خليل أبو عودة، ٦٤١، ٦٤٢.
(٢) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، محمد لطفي الصباغ، ١٠٣.
(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى، حرف الشين مع الذال، مادة: (شذذ)، ٢٤٦/٢.
(٤) سورة البقرة:١٢٣.
(٥) تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي، ١٣٥.
(٦) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ٣١٨/١.
(٧) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام بخاري، سعيد القحطاني، ٧٩٩/١.
(٨) سورة النجم:٣٢.

حوارًا وحرك السامعين وجعلهم أكثر تجاوبًا معه؛ لأنه جعل رجلا ظاهره الصلاح والشجاعة في الجهاد من أهل النار! وتقريره ﷺ أنه في النار يثير الاستغراب ، ويحملهم على السؤال والاستيضاح: (فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدًا...)، وهنا يأتي التوضيح والبيان؛ ليستقر في وجدان السامعين أقر استقرار[١].

(إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة).

ومما لا شك فيه أن ذلك حرَّك مكامن الخوف في قلوب الصحابة، فلا بد من أن يكون الخوف من سوء الخاتمة ماثلًا أمام عين كل مؤمن في لحظة من لحظات حياته؛ لأن الخوف يبعث على العمل ، وعلى إخلاص النية لله تعالى وإصلاحها.

٣- عن أبي هريرة قال: «قال النبي ﷺ: حين أسري بي لقيت موسىعليه السلام (فنعته النبي ﷺ)، فإذا رجل (حسبته قال) مضطرب، رجلُ الرأسِ، كأنهُ من رجالِ شنوءةَ. قال: ولقيت عيسى (فنعته النبي ﷺ) فإذا رَبعةٌ أَحمرُ كأنما خَرجَ من دِيماسٍ (يعني حمامًا). قال: ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه، وأنا أشبه ولده به، قال: فأُتيتُ بإناءينِ في أَحدهما لبنٌ وفي الآخرِ خمرٌ، فقيل لي: خُذ أيهما شئت، فأَخَذتُ الَّلبنَ فشربتُهُ، فقال: هُديتَ الفطرةَ، أو أصبتَ الفطرةَ. أمَا إنَّك لو أَخذتَ الخمرَ لغوت أمتك»[٢].

من نعم الله التي لا تُعَد ولا تُحصَى أن جعل أمة الإسلام أمة مهدية للحق، لا تجتمع على الباطل أبدًا، ونبيها عليه السلام مهدي، قد هداه الله عز وجل وهدى به، وظهرت هداية الله لهذه الأمة ونبيها ﷺ في تلك الليلة العظيمة التي أكرمه الله فيها وأكرم أمته ليلة الإسراء والمعراج؛ وذلك باختياره حين خير لما فيه هدايته وهداية أمته، عندما عرض جبريل عليه السلام الإناءين على النبي ﷺ فاختار اللبن وأعرض عن الخمر، «ويؤخذ من عرض الآنية عليه إرادة إظهار التيسير عليه، وإشارة إلى تفويض الأمور إليه»[٣]، فقال له جبريل عليه السلام: (هديت الفطرة أو أصبت الفطرة) أي:

---

(١) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، حمد لطفي الصباغ، ٩٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ.
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٧٣/١٠.

اخترت الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولعل السر في إيثاره اللبن وعدوله عن الخمر كون اللبن أنفع، وبه يشتد العظم وينبت اللحم، وهو بمجرده قوت متكامل[١]، وشاء المولى جلّ شأنه أن يتغذى الرضع الصغار باللبن قبل إعطائهم أي غذاء آخر، فهو ذو قيمة غذائية مرتفعة، وأقرب إلى الكمال من أي غذاء آخر.

وقوله ﷺ: (أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك) جملة شرطية تؤدي معنى مهمًا في الحديث، ولذلك افتتحت الجملة بأداة التنبيه (أما)، فما أن يسمع المتلقي هذه الأداة حتى يفتح أذنيه، ويوجه انتباهه إلى ما بعدها من أمر مهم وضروري، فهي وسيلة من وسائل الإيقاظ وشحذ الهمم؛ للاستماع إلى ما يليها، وجاءت (إنَّ) بعدها لتوكيد مضمون الجملة، فوجود حرف (إن) في الكلام علاوة على مزية الربط بين الجمل يدل على توكيد المعنى وتعليله[٢]، وكلمة (لو) بعدها تفيد معنى امتناع شيء لوجود شيء[٣]، أعني امتناع غواية أمة محمد وضلالتها لتوفيق الله لنبيه؛ بهدايته لاختيار ما ينفع أمته وبعده عما يضرها، وكأنه قضى سبحانه بسلامة الأمة وسلوكها طريق الهداية، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ولا يمكن أن ينحرف مجموع أفرادها عن الإسلام، واللام الواقعة في جواب لو (لغوت أمتك)؛ «لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى»[٤].

وهذا التركيب الذي يتصدره أسلوب التنبيه (أما) وأسلوب الشرط (لو) ساهم في بيان أن الله تعالى يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر، فقوله: (هديت الفطرة أو أصبت الفطرة) يشير إلى أنه سبحانه حين وفق نبينا لحسن الاختيار، هو توفيق يعود علينا وعلى كل أفراد الأمة الإسلامية بالخير العظيم، فقد اختار لنا الأحسن من أهم شيء في حياة الفرد وهو الدين.

---

(١) المرجع نفسه، ٧٣/١٠.

(٢) ينظر: البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب الشاويش، ١٠٢.

(٣) وتسمى حرف امتناع لامتناع، ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط. معاني النحو، فاضل السامرائي، ٩٢/٤؛ هي حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى، فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ٢٧٤/١؛ هي حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه، واستلزامه لتاليه. التسهيل، ابن مالك، ٩٣/٤.

(٤) معاني النحو، فاضل السامرائي، ٩٢/٤.

٤- عن ابن عباس ﷺ قال: «مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله. قال: فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا، ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»[١].

ولَّد النبي ﷺ بعض حواراته من خبر الجزاء بالنار، فقد كان إذا أراد الترهيب من فعل سيئ نص على ما يلحق صاحبه من عذاب عظيم يوم الحساب[٢].

أول ما يطالعنا في هذا البيان النبوي هو أسلوب التنبيه (أما)، فقد افتتح رسول الله ﷺ حديثه بقوله: (أما إنهما) قبل أسلوب التوكيد، وهذه الصيغة توحي بأهمية ما يأتي بعدها؛ وذلك حتى يتنبه السامع إلى هذا الأمر العظيم، وهو الوعيد والتهديد، والعذاب الشديد، لمن تعدى حدود الله في الطهارة والصلاة، أو تعدى على عباد الله بالنميمة والأذى.

ثم أتبع أسلوب التنبيه أسلوب التوكيد بـ (إن) الداخلة على الضمير الغائب "هما"؛ لتعود على صاحبي هذين القبرين، واللام في الفعل المضارع الواقع في موضع الخبر؛ هي للمبالغة في التوكيد[٣].

وواضح أن الحوار في هذا الحديث قد بُنِي على أسلوب الإيضاح بعد الإبهام، حيث بدأ الحديث بأمر مجمل ينبههم معناه على السامع، فيتطلع إلى الإيضاح وكشف هذا الانبهام[٤]، وهو من الأساليب التي تدفع نفس السامع إلى الانفعال والرغبة في البيان، ويدفعه إلى السؤال والكلام؛ لأن «المعنى إذا أُلقِي على سبيل الإجمال والإبهام

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.
(٢) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ٩٣.
(٣) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ٢٣٢-٢٣٤.
(٤) ينظر: التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، ٥٦.

تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجَّه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكّن فيها فضل تمكّن، وكان شعورها به أتم... فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم...»[١].

ثم يفصّل الرسول ﷺ بعد ذلك ما أجمله ويسهب؛ كي يستبين السامع أتم البيان، فقد اتضح أنهما ما يعذّبان في الكبائر[٢]، ولكن دلَّ هذا الوعيد على أنهما يلحقان بالكبائر.

ثم دخول حرف الجر" في" الذي يفيد «معنى الوعاء حقيقة أو مجازًا»[٣] على الصفة (كبير)، وهي صفة لموصوف محذوف تقديره ذنب كبير، وجاءت في السياق نكرة؛ لتفيد التعظيم والتشويق على ما ارتكبه صاحبا القبر.

وبعد هذا التشويق الذي ازداد بأسلوب التنبيه والتوكيد فتطلعت النفوس إلى معرفته، يأتي البيان بأداة الشرط غير جازمة (أما): (أمَّا أحدهما فكان يمشي بالنميمة)، وهي تفيد التفصيل والتوكيد وتقوم مقام "مهما" وجملة شرطها[٤].

وتجيء الاستعارة في قوله: (يمشي بالنميمة)؛ لتشويه حال النمّام بأنه يتجشَّم المشقة لأجل النميمة، فذكر أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعًا في تصور السامع من أسماء المعقولات[٥]، والاستعارات الفعلية لها جمالها التصويري، وهي الأكثر ورودًا في الحديث النبوي؛ لأن الفعل أكثر تصويرًا للزمان والحركة[٦].

ثم دخول "لا" النافية الدالة على طول النفي ودوامه[٧] على قوله: (لا يستتر من بوله)، أي: فإنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة، وفي رواية: (لا يستنزه) من التنزه وهو الابتعاد، وفي رواية: (لا يستبرئ)، وفي رواية: (لا يتوقى).

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ١٩٦/٣، ١٩٧.
(٢) تعريف الكبائر: هي ما أوجب الحد وقيل ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة. ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٤١٠/١٠.
(٣) رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ٣٨٨.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ٩٧.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٧٣، سورة القلم، قوله تعالى: {مشاء بنميم}.
(٦) ينظر: البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب الشاويش، ٣٣.
(٧) ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ٩٦/١، ٩٧.

والدليل على أنه يعاقب على فعل داوم عليه، وأصبح سجية فيه، أنه استخدم الفعل المضارع: (يستتر)، (يمشي)، فصار كبيرًا بالمواظبة عليه.

لقد جاء هذا الإيضاح والنفس مهيأة له، متطلعة للعلم والإحاطة به، مترقبة لمعرفته، ولتمكين هذا المعنى وتعظيم شأنه[١].

٥- عن جرير بن عبدالله قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ؛ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها). يعني العصر والفجر. ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٢][٣].

صورة غيبية يعرضها لنا الرسول الكريم، استطاع أن يحملنا على تصورها صورة كأننا نراها بأعيننا.. فرُؤيَة المُؤمِنِينَ لرَبهم ﷻ فِي القِيَامَة تكون مشابهة لرؤيتهم القمر، تتم دون عناء، ودون أن يضايق أحد أحدًا[٤].

مستهلًا حديثه بالأداة (أما)، ويعقبها بـ (إن) الحرف الدال على تأكيد الحكم، والسين: (أما إنكم سترون ربكم)؛ جذبًا لانتباههم ومضاعفة ليقظتهم؛ حتى يهيئهم لتلقي المعنى المهم، ويتمكّن في قلوبهم، ويرسخ في أذهانهم، فهو من أهم المعاني التي تحتاج إلى هذا التمكين، فأي شيء أهم وأعظم من الصلاة ليحرص ويحافظ عليها المؤمن؟!

ولعله ﷺ أكَّد الخبر هذا التأكيد؛ لما كانت رؤية الله سبحانه وتصويرها في الجنة أمرًا غيبيًا بعيدًا عن أذهان الصحابة، لا يدرك إلا بالخبر، ثم قال: (كما ترون هذا القمر)، فجاء بهذا التشبيه لتحقيقها بالقمر الطالع في أفق

---

(١) ينظر: التشويق في الحديث النبوي، بسيوني، ٥٧.
(٢) سورة طه:١٣٠.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر.
(٤) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، الصباغ، ١٠٥.

السماء المشار إليه، وقد غمرتهم أضواؤه[١]، صورة منتزعة من حياة القوم، تجسِّد للسامع الغيبيات في هيئة يراها ويتحسّسها بكل جوارحه، وفي رواية أخرى لمسلم: (أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر)، والتعبير بـ: (سترون...كما ترون)، (ستعرضون...فترونه) فيه تجسيد لحركة الموقف، وأن الرؤية تأتيهم طواعية دون عناء أو مشقة أو خفاء، ثم مثَّل سهولة الرؤية بما يمارسه القوم في حياتهم المألوفة من رؤية القمر، واختيار نوعية المشبَّه تتناسب مع طبيعة الموقف وجو المشهد، فعلا بهم إلى السماء، واختار القمر الذي يعرف ببياضه وإضاءته ورفعته عن باقي النجوم[٢].

والسر في اختيار القمر دون الشمس مثلًا، مع أنه رواية أخرى اختارها كما في حديث أبي هريرة أن أناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟) قالوا: لا، يا رسول الله. قال: (هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟) قالوا: لا، يا رسول الله. قال: (فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك)، وإنما جاء التشبيه برؤية القمر؛ لمناسبة جلوس النبي ﷺ مع أصحابه في ليلة مقمرة، بدا فيها القمر بدرًا جليًا واضحًا[٣].

وتؤكد هذه السهولة في الرؤية أنه نفى عنها المضامة في قوله ﷺ: (لا تضامون في رؤيته) أي: لا يلحقكم ضيم في الرؤية[٤]، أو لا تحتاجون إلى أن ينضم بعضكم إلى بعض طلبًا للرؤية، مأخوذ من الانضمام، وهو الاجتماع للتقوّي على نظر الشيء البعيد، وكذلك نفى عنها المضارة في رواية للبخاري وغيره: (لا تضارون في رؤيته) وهي المفاعلة بين الاثنين، فكأن الضرار وقع بينهما لأجل اختلافهما وتنازعهما[٥].

---

(١) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دارز، ٣١٣.

(٢) ينظر: التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، محمد السيد موسى، ٢٤.

(٣) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٥٥١، ٦٢٩.

(٤) ينظر: صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر.

(٥) وعامة المحدثين يقولون: تضارون وتضامون بالتخفيف وضم التاء كأنه من الضير والضيم، أي: لا تختلفون في مطلعه، ولا تتمارون في رؤيته، فيضير بعضكم بعضًا، أو يضيم بعضكم بعضًا في دفعه عن ذلك، أو الاستئثار به عليه والإدراك له دونه. ينظر: المجازات النبوية، الشريف الرضي، ٤٧، ٤٨.

زخرت الصورة في هذا الحديث من خلال التشبيه التمثيلي بالحيوية والحركة حتى كأنها ماثلة أمام عين المخاطب، وهذه فائدة التشبيه في الكلام؛ ذلك «أنك إذا مثّلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها»[١].

وهكذا بيان النبوة جاءت الصورة فيه مما يشرف البيان العربي في كافة عصوره، وتتخذ نمطًا عليًا يُحتَذى به؛ لأنها صورة حية وإبداع ملهم دون تكلف، فالتكلف يفسد الصورة البلاغية[٢].

ولا شك أن لهذه الصورة الأثر في التحفيز على طاعة الرسول وامتثال أوامره بكل حماسة وحرارة، فليس هناك ترغيب للمحافظة على الصلاة أكثر من هذا؛ وذلك أن رؤية الله هي غاية وقمة سعادة أهل الجنة ، وأسمى وسيلة لإكرامهم .

٦- جاء في الحديث الطويل عن أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ كان مع بعض أصحابه في سفر، فنزل آخر الليل فوضع رأسه، ثم قال لأصحابه: (احفظوا علينا صلاتنا)، غير أن التعب والإرهاق الذي أصابهم بسبب السفر حال دون أن يستيقظوا في وقت الفجر، فما راعهم إلا والشمس قد طلعت، وكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره، فجعل بعضهم يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ فقال لهم الرسولﷺ: «أما لكم فيّ أسوة ؟ ثم قال: أما إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يُصَلّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها»[٣].

هذا من الأحاديث التي بنيت على الحوار أيضا على عادة الرسول ﷺ، والذي ولد الحوار موقف خاص من الصحابة[٤]، وهو نومهم عن الصلاة لما كانوا في سفر، فانطلقوا يسألون النبي ﷺ عن حكم تفريطهم، فأجابهم ﷺ بقوله: (أما لكم فيّ أسوة)، مستخدمًا لفظ التنبيه (أما)؛ لتهيئة الصحابة إلى ما سيلقيه عليهم فيتأكد المعنى لديهم، وتقديم الجار والمجرور زيادة في الاهتمام: (لكم)، وكذلك تكرار الأداة (أما) للدلالة على عظم شأن هذا المدلول، في

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ٣٧٨/١ . وينظر: التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، محمد السيد موسى، ٩.
(٢) ينظر: البيان النبوي، محمد رجب بيومي، ١٥٢، ٢٣١؛ التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، محمد السيد موسى، ٨، ٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: قضاء الصلاة الفائتة.
(٤) أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ١٨٤.

قوله: (أما إنه ليس في النوم تفريط)، جاء هذا الإيضاح والنفس مهيأة له مترقبة لمعرفته، ليتمكن هذا المعنى في أذهانهم وهو نفي التفريط عنهم .

فأتى بحرف التنبيه (أما) سابقًا حرف التأكيد (إن) المكسورة الهمزة، جاعلًا اسمه ضمير الشأن ليصعد الاهتمام بمضمون ما يلي[١]، وضمير الشأن أو القصة لا يأتي إلا في الأخبار المهمة والمعاني التي لها شأن، وقد ورد كثيرًا في الخطاب النبوي في مواقع جليلة مراعاة لحال المخاطب، و« الأساليب التي تصاغ على هذه الطريقة حين تصيب مواقعها تجد لها مذاقًا حسنًا ووقعًا جليلًا؛ لأن الضمير حين يطرق النفس من غير أن يكون له عائد يعود إليه يصيِّرها إلى حالة من الغموض والإبهام لا قرار لها معها، فتستشرف إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير، فإذا جاءت الجملة المفسرة تمكَّن معناها ووقع في القلب موقع القبول، وتراهم لا يبنون الكلام على هذا الأسلوب إلا في المعاني المهمة التي يهيئون النفوس لتلقيها»[٢].

ثم يصدرﷺ حكمه بنفي التفريط عنهم، تسكينًا لأنفس الصحابة الذين راعهم فوت الصلاة عن وقتها أثناء نومهم المستغرق[٣].

وفي قوله: (إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط...) لون غريب من القصر، قامت فيه إنما مقام بل، وجملة: (إنه ليس في النوم تفريط) تثير التساؤل عند السامعين وتحثُّهم على التفكير.. فمتى وأين يكون التفريط؟ فجاء الجواب من النبي ﷺ مفصولًا مصدرًا بـ"إنما" قوة في التأكيد، ففي إنما قصر مستقل، وفي مقابلة المثبت بالمنفي قصر آخر؛ لأنه مقام الإدلاء بحكم شرعي، وكفى به مقامًا تتزاحم فيه التأكيدات[٤].

و«الذي ذكره البلاغيون في "إنما" يكاد يرجع في جوهره إلى محور واحد وهو أن النفي فيها نفي متضمن مخبوء وخافت... فهي أداة أليفة تقع على ما دنا من القلوب، وخالط الأفهام، ولتمكن هذا المعنى فيها تجد الكلام السابق عليها في أكثر الأساليب كأنه تهيئة للفكرة التي دخلت عليها، وتمهيد لها، وتجد هذا التمهيد يقوى حتى لتكاد النفس اليقظى والفهم المتسارع يدرك الفكرة التي دخلت عليها قبل قراءتها أو سماعها»[٥].

---

(١) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ١٢٧.
(٢) خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ٢٧٧، ٢٧٨.
(٣) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ١٢٧.
(٤) ينظر: السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دارز، ٢٤٥.
(٥) دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ١٧٠- ١٧٣.

وتكرار أسلوب التنبيه في الحديث له خطر عظيم في هذا السياق، ليقرر ﷺ في أذهان الصحابة من خلال هذا السيل من المؤكدات بعد ما أهمهم ﷺ فوات الصلاة في السّفر، نفي التفريط عنهم وقت النوم، وخصه بمن جاء وقت الصلاة التالية ولم يصل.

٧- عن عمر بن أبي سلمة أنه سأل رسول الله ﷺ أيقبل الصائم ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « سل هذه لأم سلمة، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال له رسول الله ﷺ: أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له »[١].

تتعدد طرائق الحوار المتبادل بين الرسول ﷺ والصحابة، ومن طرائقه المشهورة أن يطرح الصحابة السؤال على الرسول ﷺ، ثم يستمعون إلى إجابته؛ لفهم بعض الأمور التي تشتبه عليهم ولا يعرفون الموقف منها[٢]، ومن ذلك ما نراه في هذا الحديث الذي بدأه الصحابي بسؤال النبي عن حكم القبلة في الصوم، لكن الرسول ﷺ لم يعطه إجابة، بل أحاله إلى أم سلمة ليأخذ الإجابة منها، مستخدمًا اسم الإشارة (هذه)، فراح الصحابي يسألها عن ذلك، لكنه تفاجأ بجوابها خلاف ما توهم من التشدد والغلو واعتزال النساء في الصيام، وفسَّر فعل الرسول ﷺ مع نسائه بفهمه الخاطئ وقال له: (قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر)، ثم بادر النبي ﷺ لتصحيح خطأه مبعدًا هذه الصورة من ذهنه، فقال له: إني في خشية الله وتقواه أعظم منكم جميعًا: (أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له).

وفي هذا المقطع تتعانق أدوات التنبيه والاستفتاح والقسم والتوكيد، مما يدل على أهمية ما يقول وخطورة الموقف، وهي أدوات تتفاعل مع العقل والقلب ليضع القضية في المكان المهم، ثم أتبع هذا بصيغتين على وزن واحد: (أخشاكم، أتقاكم) حيث صيغة التفضيل على وزن أفعل، وتعني الأفضل في القمة، وليس هناك مجال للمقارنة بينه وبين أحد، تردان على سبيل الترادف، فكلاهما في حقل معنوي واحد، وقدم ﷺ الخشية؛ لأنها سبب للتقوى التي هي نتيجة من حيث السلوك اليومي[٣].

وضمير المتكلم في (إني) يعود إلى ذات منشئ النص وهو الرسول ﷺ، ثم مجيء الرابط : (الواو) الذي جمع بين الجملتين في قوله: (وأخشاكم له)، وكذلك من العناصر الرابطة في النص الضمير الغائب المتصل في:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

(٢) ينظر: البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، عزة جدوع، ٣٩١.

(٣) ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ٢٠٦.

(لـه)، ولا يخفى أهمية دور الضمير مع الوسائل الأخرى في تحقيق التماسك والترابط النصي؛ لكونه يحيل إلى عناصر سابقه ولاحقه في النص، ويحقق الغياب عن الدائرة الخطابية، والقدرة على إسناد أشياء معينة[١].

تعددت في هذا البيان النبوي الألوان البلاغية والوسائل التأثيرية التي تضافرت مع أسلوب التنبيه لتحقيق غايته التوضيحية، وكان منها القسم، ووسيلة التوكيد (إن)، والأسلوب الخبري، إضافة إلى الضمائر والواو العاطفة، لتسهم في الإبانة عن مضمون الحديث وأهدافه، فيستجيب المتلقي بشكل أسرع.

٨- عن جابر بن عبد الله قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأبطأ بي جملي، فأتى عليَّ رسول الله ﷺ فقال لي: يا جابر! قلت: نعم، قال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ بي جملي وأعيا، فتخلّفت، فنزل فحجنه بمحجنه، ثم قال: اركب فركبت، فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ فقال: أتزوجت؟ فقلت: نعم، فقال: أبكرًا أم ثيبًا، فقلت: بل ثيب، قال: فهلّا جارية تلاعبها وتلاعبك، قلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن، قال: أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس، ثم قال: أتبيع جملك؟ قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله ﷺ وقدمت بالغداة، فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: الآن حين قدمت، قلت: نعم، قال: فدع جملك وادخل فصل ركعتين، قال: فدخلت فصليت ثم رجعت، فأمر بلالًا أن يزن لي أوقية، فوزن لي بلال فأرجح في الميزان، قال: فانطلقت، فلما وليت قال: ادع لي جابرًا فدعيت، فقلت: الآن يرد عليَّ الجمل ولم يكن شيء أبغض إليَّ منه، فقال: خذ جملك ولك ثمنه»[٢].

افتتح ﷺ حواره بالاستفهام في قوله: (أتزوجت)، ثم جاء بأسلوب التضاد في سؤاله الآخر: (أبكرًا أم ثيب) تضادًا تامًا لفظيًا يقوم على المجاورة بين المتضادات لإنشاء أثره الفني وقيمته التعبيرية[٣]، وحذف المسند والمسند إليه في قوله: (أبكرًا أم ثيب)، (فهلا جارية)، والتقدير: أتزوجت بكرًا....، و: فهلا تزوجت جارية...[٤]، فالحذف هنا لدلالة حال المخاطب عليه، يقول الدكتور بسيوني فيود : «إن هناك ثلاث مزايا تراها كامنة وراء كل حذف يقع في اللغة، وهي: الإيجاز، والإثارة وتحريك خيال المخاطب وأحاسيسه؛ ليدرك من العبارة ما طوي ذكره وسكت عنه،

---

(١) ينظر: البلاغة في السنة النبوية، عزة جدوع، ٧٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح البكر.
(٣) ينظر: بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف، أسماء السعود، ٢٢٣، ٢٣٤.
(٤) ينظر: عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، السيوطي، ٢٧٤/١.

والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر؛ لأن ذكر الكلمة التي أقيم عليها الدليل وأشار إليها السياق، وأرشدت إليها قرائن الأحوال يعد عبثًا بمقتضى البلاغة»[١].

ويظهر في الحديث الحض على الزواج من البكر في قوله: (فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك)؛ وعلل ﷺ ذلك بأنها أنسب للملاعبة والاستمتاع[٢]، وعبر عن هذا التحفيز باستخدام أداة التحضيض (هلا)، وعبر بلفظ (الجارية) بدلًا من لفظ (البكر)؛ لما في لفظ الجارية من معنى الصبا والصغر، فتذكر المخاطب بفواته فيه مزيد تنديم له[٣]، بخلاف (البكر) فهي التي لم تمسس قط[٤]، حيث لم يسبق لها الارتباط برجل آخر سواء كانت صغيرة أم كبيرة.

ثم جاء التشويق بأداة التنبيه (أما) تهيئة لحواسه؛ لكي يصغي وينتبه إلى المعنى الواقع بعدها، فيوصيه ﷺ ويحثه على ابتغاء الولد[٥] بعد أن هيأه لذلك بتلك الأداة، فتشتد رغبته في العمل بمقتضاها.

ثم جاءت جملة الإغراء (فإذا قدمت فالكيس الكيس) وهي وجه من وجوه الأمر، وقعت جوابًا للشرط، وهذا التركيب اللغوي نادر، ولعله الموضع الوحيد الذي ورد فيه[٦].

وورد التوكيد بتكرار كلمة (الكيس)؛ إذ إن جابر بن عبد الله حديث عهد بعرس، فأراد الرسول أن يحثّه على ابتغاء الولد[٧]، والتكرار «من مبادئ التعلم الهامة؛ فهو يعمل على الاحتفاظ بما يكتسبه الفرد من معلومات أو مهارات... وبينت الدراسات التجريبية الحديثة العلاقة بين مستوى التذكر وعدد مرات التكرار، فالتكرار يثبت المعلومات والمهارات، ويساعد على جودة التذكر... وكان الرسول ﷺ يكرر ما يقوله ثلاث مرات؛ حتى يفهموا ما يقول ويستوعبوه»[٨].

---

(١) علم المعاني، بسيوني فيود، ٩٨.
(٢) ينظر: تحليل الخطاب النبوي للمرأة، محمود قدوم، ٥٩.
(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب، يوسف العليوي، ٤٦٣.
(٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٨٩/١.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣١٢/٥.
(٦) ينظر: بناء الجملة في الصحيحين، خليل أبو عودة، ٥٢٠.
(٧) ينظر: تحليل الخطاب النبوي للمرأة، محمود قدوم، ١٦٨.
(٨) الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ١٨٦.

٩- عن جابر بن عبد الله قال: «قال لي رسول الله ﷺ لما تزوجت أتخذت أنماطًا[١]؟ قلت: وأنى لنا أنماط! قال: أما إنها ستكون، في رواية قال جابر: وعند امرأتي نمط، فأنا أقول: نحِّيه عني، وتقول: قد قال رسول الله ﷺ إنها ستكون»[٢].

استهل الحديث الشريف بالاستفهام الموحي بحرص الرسول ﷺ على تعهُّد أصحابه في الأمور البسيطة التي تخص حياتهم، فما بالنا بالأمور العظيمة.

ونجد هنا القصد إلى المغرى به مباشرة؛ ترغيبًا فيه وحثًّا عليه، وكأن المقام لا يحتمل بسطًا، فأرشده إلى ما عمَّت فائدته، وما دعت الحاجة إليه بإيجاز؛ ترسيبًا في وجدانه وتثبيتًا في ذهنه.

فتعاظم من ذلك الخبر إحساس المخاطب بالعجز وصعوبته، فكان رده استبعاد وقوعه، بقوله : (وأنى لنا أنماط)، استبعد بالأداة (أنى)؛ لضعف حالته وفقره وضيق ذات يده، فخرج باستفهامه إلى معنى النفي، لأن اتخاذه الأنماط أمر يفوق قدرته ولا يقوى عليه.

فأخبره النبي ﷺ مبشرًا له ومنبهًا على عدم فقد الأمل بقوله: (أما إنها ستكون)، فانتقل به من جو الإحساس بثقل الخبر وعدم إمكانه إلى جو الإحساس بإمكانه وسهولته، مستعملًا أداة التنبيه (أما)، وفي ذلك ضرب من الإثارة التي تسترعي انتباه المخاطب، ثم أكّد له بـ(إن) وضمير الشأن والسين[٣]، حتى ترتاح نفسه ويطمئن وجدانه، اطمئنانًا لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك بأن ما أخبره به سيكون، ولذلك بنى ﷺ الحديث على الحوار؛ كي يتلقى المعنى وهو مقبل عليه وراغب فيه، فقد كان الرسول لا يتخير من الأساليب إلا ما كان أحسنها وأوقعها في نفس المخاطب، وأكثرها قربًا إلى فهمه، وهذه تعد من المعجزات الحسية للرسول ﷺ بإخباره بها وقد كانت كما أخبر.

١٠- ومن ذلك ما ورد في قصة إسلام أبي ذر، وفيها أنه دعا قومه غفار إلى الإسلام، فأسلم نصفهم، وقال نصفهم: إذا قدم الرسول ﷺ إلى المدينة أسلمنا، فقدم الرسول ﷺ إلى المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم

---

(١) الأنماط: قال ابن الأثير: هي ضرب من البُسُط له خَمْل رقيق، واحدها نمَط. لسان العرب، مادة: (نمط).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: جواز اتخاذ الأنماط.

(٣) هي الداخلة على المضارع تخلصه للاستقبال، وتسمى حرف تنفيس؛ لأنها تنفس في الزمان، فيصير الفعل المضارع مستقبلًا بعد احتماله للحال والاستقبال. ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ٣٩٦.

فقالوا: يا رسول الله، إخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا، فدعا الرسول ﷺ لأسلم وغفار مكافأة وشكرًا لهم، فقال: «"أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، أما إني لم أقلها، ولكن قالها الله ﷻ"»[١].

جاء الجناس[٢] متمكنًا تستدعيه الدلالة وتفرضه، فهو يحسن في الكلام إذا صدر عن طبع، وجاء عفوًا، وقاد إليه المعنى، ولم يكن مقصودًا في نفسه، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر في قوله: «أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدًا... فقد تبيَّن لنا أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنصرة المعنى؛ إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مُستحسَنٌ، ولما وُجِد فيه إلا مَعيبٌ مُستهجنٌ»[٣]

وقد أراد النبي ﷺ أن يلفت الأذهان إلى الاتفاق اللطيف بين اسم كل قبيلة وبين قدرها، فليس غريبًا أن يسالم الله قبيلة (أسلم)، فـ (أسلم) و(المسالمة) فهما قد خرجا من جذر اشتقاقي واحد، ويؤكد النبي ﷺ أن هذا الاتفاق ليس مصادفة بدليل تكراره مع قبيلة (غفار) التي غفر الله لها، و(غفار) و(المغفرة) من جذر اشتقاقي واحد، وهذا الجناس ساهم مع الإيجاز الشديد والوضوح في حفظ الحديث الشريف من النسيان، وربط النص، وسهل الاستدعاء، فكلمة (أسلم) تستدعي (سالمها الله)، وكلمة (غفار) تستدعي (غفر الله لها)[٤].

قال ابن حجر: « وقع في هذا الحديث من استعمال جناس الاشتقاق ما يلذ على السمع؛ لسهولته وانسجامه، وهو من الاتفاقات اللطيفة»[٥].

ومثَّل أبن أبي الأصبع بهذا الحديث الشريف في كتابه (التحرير والتنوير) وقال: «من فروع التجنيس تجنيس التغاير، وهو أن تكون إحدى الكلمتين اسمًا، والأخرى فعلًا، وهذا سماه التبريزي التجنيس المطلق... كقول الرسول ﷺ : "غفار غفر الله لها..."»[٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم.

(٢) وهو من فنون البديع اللفظية، وقد عرفه العلوي بأنه: "أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما". ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي، ٣٥٦/٢.

(٣) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ١٥، ١٦.

(٤) ينظر: بلاغة الحديث الشريف، عبدالفتاح لاشين، ٩٨؛ البديع في الحديث الشريف، خالد داود، ١٩٨، ١٩٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٥٤٤/٦.

(٦) تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع العدواني، ١٠٤/١.

وجاء الدعاء بصيغة الخبر إدخالًا للسرور على المدعو له، وإظهارًا للرغبة في تحققه، ولإشعار المخاطب بالتحقق جاءت الصيغة بالفعل الماضي[١] في قوله: (أسلم سالمها الله)، و« هو من المسالمة وترك الحرب، ويحتم أن يكون دعاءً وإخبارًا: إما دعاءً لها أن سالمها الله ولا يأمر بحربها، أو أخبر أن الله قد سالمها ومنع من حربها»[٢]، وقوله: (غفار غفر الله لها) «يحتمل أن يكون دعاء لها بالمغفرة، أو إخبارًا بأن الله قد غفر لها»[٣].

وتجد دقة البلاغة النبوية في استئناف القول وكأنه بداية جديدة، يتضح ذلك باستخدام (أما) التنبيهية؛ لجذب انتباه المتلقين، ويستوقف قلوبهم وعقولهم لما يسمعوا، ثم يستخدم النبي ﷺ بعدها أسلوب التوكيد في الأسلوب الخبري، ليضفي مزيدًا من المسرة والتفاؤل لديهم بحصول المدعو به، وهو تحقق دعوة النبي لأسلم وغفار.

١١- عن أبي سعيد الخدري، قال: « خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني؛ أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة»[٤].

نلاحظ أن راوي الحوار معاوية كرر صنيع النبي ﷺ مع صحابته حين كانوا يذكرون الله في حلقة في المسجد؛ لأنه أراد أن تكون بشارته للذاكرين بشارة مؤثرة كما كانت في أصحاب الرسول، فإذا ما بلغتهم بشرى الرسول ﷺ وقعت في نفوسهم موقعًا حسنًا[٥].

فالنبي ﷺ عندما أراد أن يخبر أصحابه ويبشِّرهم بأن الله يباهي الملائكة بأصحاب له جلسوا يذكرون الله، ابتدأهم باستفهام خرج عن معناه الحقيقي لغرض المباهاة أو الفخر بما يفعلون: (ما أجلسكم)؛ إذ هو يعلم سبب

---

(١) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٥٥٦.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣٩٤/٢.
(٣) المرجع نفسه، ٣٧٤/٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.
(٥) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل أيوب، ٢٧٤.

جلوسهم، فقد أخبره جبريل ﷺ بهذا مسبقًا، فأجابوه وعددوا سبب الجلوس، امتنانًا منهم، واستئناسًا بالحديث مع الرسول ﷺ، فقالوا: (نذكر الله ونحمده)، وكان يكفي في غير هذا المقام أن يكون هذا الجواب كافيًا، ولكنهم فصلوا استئناسًا بالحديث مع رسول الله ﷺ فأطنبوا: (على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا).

فاستحلفهم بإعادة السؤال بهمزة الاستفهام: (آلله ما أجلسكم إلا هذا؟) وبناه على أسلوب القصر، مما أثار في نفوسهم الحيرة والخوف من هذا الاستحلاف، فأجابوه بصدقهم وأقسموا ليؤكدوا صدق قولهم: (والله ما أجلسنا إلا ذاك) بصيغة القصر أيضًا كما فعل النبي ﷺ.

وعندما تطلّعت نفوس الصحابة لمعرفة ما دعاه لاستحلافهم، استفتح كلامه ﷺ بأداة التنبيه (أما) لتزداد رغبتهم في المعرفة، حيث إنه لا يؤتي بهذه الكلمة إلا في المعاني التي لها خطر وشأن – كما رأينا –، ثم نفى ﷺ أن يكون استحلفهم لظن فيهم، وأكد نفيهم بحرف التوكيد (إن)، ثم اشتد شوقهم إلى التفسير أكثر بعد حرف الاستدراك (لكن)، وذكر اسم (جبريل)، فإذا ما ألقي إليهم من بعد كل ذلك التشويق والنفوس مترقبة لمعرفته، متطلعة للإحاطة به، فتمكّن واستقر.

وزاد هذا التشويق إيثار التعبير بالفعل المضارع: (يباهي) الذي يفيد تجدد الفعل، فمباهاة الله مستمرة لهؤلاء، فيزيد تعلقهم ورغبتهم بمجالس ذكر الله.

١٢- عن البراء بن عازب قال: « قال رسول الله ﷺ: كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته، تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب، فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجذل شجرة

فتعلق زمامها، فوجدها متعلقة به؟ قلنا: شديدًا. يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: أما والله! لله أشد فرحًا بتوبة عبده، من الرجل براحلته»[١].

صورة بيانية اتخذت شكلًا قصصيًا، تعرض عفو الله العظيم، ورحمته الواسعة التي تغمر عباده المقصرين، وفرحه الشديد بتوبتهم، استهلها النبي بأداة الاستفهام (كيف)، فشوّق السامعين إلى الإجابة؛ نظرًا لغرابتها، ولك أن تتأمل هذه القصة السريعة، وتتخيل نفسك صاحبها:

رجل مسافر على راحلته في الصحراء، فأدركه التعب وهدّ خطاه المسير وكاد يقتله الظمأ، فقعد تحت ظل شجرة يستريح، ثم غلبه الجهد وغفا عن راحلته، ثم تفاجأ بفقدها وكل ما عليها من متاع، فركض هنا وهناك بحثًا عنها، حتى يئس منها، فماذا تراه يفعل في هذه الصحراء بلا زاد ولا متاع؟! فلم يجد بدًا من الرجوع إلى تلك الشجرة، منتظرًا لحظة الهلاك، محفوفًا باليأس، ثم يفاجأ مرة أخرى عندما يرفع رأسه ويجد راحلته أمامه، وعليها زاده ومتاعه.

حل مفاجئ غير متوقع لهذه العقدة الفنية، أتى به البيان النبوي، ليضطرب معه خيال المخاطب، وتتزلزل نفسه، بعبارات متتابعة، وأحداث سريعة، لتشد النفوس إليها، في شوق ولهفة، مع تصعيد المعاني.

هذه الصورة القصصية المنتزعة من واقع بيئتهم الصحراوية المحفوفة بالمخاطر والأسفار، لتكون أكثر تأثيرًا عليهم، وأكثر واقعية، فتصغي لها الآذان، وينتشي لها الوجدان، فهي: «الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة، والأسلوب الرائع المخدر للوجدان، تجوس معه حكمة الطبيب الرؤوف في القلب تقطع وتصل، ليصحو من صورة حلم ورحلة، على حقيقة قلب وصحة اعتقاد»[٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها. للاستزادة في الخصائص الفنية، ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، الصباغ، ٩٠؛ البيان النبوي، رجب بيومي، ١٨٦؛ السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، ٢٩٢، ٢٩٣؛ من بلاغة الرسول التصوير البياني في الحديث النبوي، أحمد علي عبد العزيز، ٤١٤-٤٢٢؛ القصص في الحديث النبوي، محمد حسن الزير، ٣٤٤.

(٢) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٤٤٢.

والمخاطبون يعرفون تلك الصورة، ويرونها في حياتهم، وربما تعرضوا لمثل هذا الموقف، فالرسول –عليه الصلاة والسلام– نجح في نقل مدى حاجه الرجل إلى راحلته، ولهفته عليها، وفرحته بوجودها، في ترتيب يتصاعد بخيال السامع، وأتى من الأفعال ما يناسب كل مرحلة، (انفلتت، تجر، فطلبها، مرت، فوجدها)، وشأن هذه الكلمات «إذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين، سرت فيها الحياة، وعبَّرت عن مكنون الفكر، وما يدور في الأذهان»[١].

ولا شك أن المخاطبين بعد هذه القصة الفنية يتأهّبون منتظرين في همة ونشاط، تاركين السآمة والممل، فقالوا: (شديدًا، يا رسول الله)، ثم قال ﷺ مجيبًا إياهم، مغيثًا للهفتهم، ليتأثروا وتتعمق الفكرة عندهم، بأسلوب التنبيه (أما): (أما، والله! لله أشد فرحًا بتوبة عبده، من الرجل براحلته) للترغيب في التوبة والإنابة إلى الله، ولتبشير المذنب بفرح الله له إن تاب إليه، ومن هنا كان حريًا أن يسبق إجابته ﷺ بأسلوب التنبيه، فقد أراد من هذا التنبيه، لفت أنظارهم، والاستيلاء على مشاعرهم، ومواطن الحس والانتباه فيهم، فجعلهم يترقّبون لمعرفة الأمر، وكلهم آذان صاغية، ولا شك أن عرض السياق على هذا الترتيب: من عرض القصة مفتتحًا بالاستفهام، ثم تعقيبه الجواب بأداة التنبيه (أما) ليسوقه لأعماق النفس، ثم أعقب هذا التنبيه ليزداد قوة على قوة، بالقسم وتكراره: (والله! لله)، وآزره التأكيد بأسلوب التفضيل (أشد)، ثم الانتقال إلى التشبيه التمثيلي، حيث شبَّه حالة الفرح الشديد لله تعالى بتوبة عبده حين يتوب إليه، بحالة فرحة الرجل بعودة راحلته ونجاته من الهلاك، ولكن هذه الفرحة الشديدة أقل بكثير من فرح الله بعبده إذا أتى تائبًا إليه، وأي شرف يكون للعبد التائب؟ بأن يقابل الله توبته وإنابته هذه المقابلة، إن تصور ذلك يجعل النفوس تقبل على التوبة إلى الله، ونيل عفوه ورضوانه، وتقهر وسوسة الشيطان، الذي يملأ قلوبهم بالقنوط من رحمة الله، ويستدرجهم بالذنوب تلو الأخرى.

١٣– عن أبي هريرة أنه قال:« جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك»[٢]

يوجه ﷺ أصحابه في هذا الحديث الشريف ويعلّمهم ما ينفعهم من أذكار تحصنهم في يومهم وليلتهم، فورد الحديث بأسلوب الحوار بينه ﷺ وبين رجل لدغته عقرب، فنبه عليه الصلاة والسلام الصحابي إلى قيمة الاستعاذة بالله وبكلماته، التي تحفظه من كل ضرر، فأتى بالأداة (أما) للتنبيه على ما يذكر بعدها لتقريره ولتوكيده،

---

(١) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ٢٩٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب:الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب :في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

ليلتفت الصحابي إلى هذا الأمر العظيم وهو الاستعاذة بالله ولا يستهين بأثرها، وهو معنى مهم يستوجب التوكيد والتوثيق[١]، ثم أعقبها بـ (لو) الشرطية، وقد أتى الشرط في البيان النبوي كثيرًا، فالجملة الشرطية تكاد توازي الجملة الفعلية أو الاسمية في حجمها؛ لأن الحديث الشريف في الأصل تشريع للناس، وعمل المسلم في جميع أحواله مرتبط بجزاء، سواء كان ثوابًا أو عقابًا، فجاء الحديث موضحًا لهذا الجزاء[٢].

١٤-عن عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان؛ أنه سأل فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأول، فقال: حدثيني حديثًا سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال: لها أجل، حدثيني، فقالت: سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله، ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم؛ لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال...» من حديث طويل الذي جاء فيه أن المسيح الدجال سألهم فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: له نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرّمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتًا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ، -وطعن بمخصرته

---

(١) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، ١٢٤، ١٢٥.

(٢) ينظر: بناء الجملة في الحديث، خليل أبو عودة، ٦٥٩، ٦٦٠.

في المنبر-: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة، يعني المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[١].

أطال الرسول ﷺ في تحديث أصحابه عن كثير من البلايا والفتن التي ستبتلى بها الأمة في مقبل الزمان، وبين طريقة النجاة والخلاص منها، من ذلك فتنة المسيح الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشر، تقع في آخر الزمان، وهي إحدى أشراط الساعة الكبرى، جميع الأنبياء حذّروا أقوامهم منه، ولكن رسولنا ﷺ كان أكثر تحذيرًا لأمته منه[٢].

ولكن هذا الحديث مختلف عما سبق؛ لأنه قصة رواها النبي ﷺ عن صحابي من أصحابه، وهنا الغريب، فعادة الصحابي هو الذي يروي عن الرسول، لكن الآن قال رسول الله ﷺ قال تميم الداري، لأول مرة يروى النبي الحديث عن صحابي، وتميم الداري في الطبقة العالية أي: بيانه عالٍ، فأداة التنبيه هنا وردت على لسان تميم الداري وهو يخبر عن المسيح، وقد كان عربيًا نصرانيًا خرج مع رهط له في قبيلته وضربت بهم أمواج البحر، حتى أخذتهم إلى جزيرة، ثم وجدوا مخلوقًا عجيبًا كثير الشعر، لا يعرف قبله من دبره، ولا يدرى أذكر أم أنثى، فتعجّبوا منها، فقالت: إن هنا في الجزيرة من هو إلى خبركم بالأشواق، فدخلوا، فإذا شاب، رجل مقيد، سألهم أسئلة، من جملة ما سألهم أبعث نبي العرب؟ هل اتبعوه، فأجابوه: بنعم، فسألهم عن مواطن ثلاثة: عن نخل بيسان، وعن عين زغرب، وعن بحيرة طبرية، ثم أخبرهم أنه سيؤذن له أنه هو المسيح، وأنه سيخرج، فلما خرج الركب من ذلك الدير وعادوا إلى ديارهم وعاد تميم معهم، أخبر النبي ﷺ، وقبلها بأيام كان النبي ﷺ قد أخبر الأنصار والمهاجرين عن الدجال، فأعجبه حديث تميم الداري؛ لأنه مصدق لحديثه ﷺ، لذلك قال ﷺ : أما والله، إني ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميمًا الداري...، وقص القصة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة.

(٢) القيامة الصغرى، عمر الأشقر، ١٦٤، ٢٢٤.

واستهلَّ كلامه ﷺ في هذا البيان بأسلوب الأمر: (ليلزم كل إنسان مصلاه)، ولا يخفى ما تمتاز به الأساليب الإنشائية من الحث وإثارة الذهن وتنشيط العقل وتحريك المخاطب[١]، وقد زاد من ذلك البدء بهمزة الطلب فقال: (أتدرون لم جمعتكم؟) وما في ذلك من تهيئة للمخاطب «ليجمع شتات ذهنه، ويخلص سمعه وعقله لكل ما يلي ذلك، فهمزة الاستفهام هنا لها وظيفتان: إحداهما مادية حددها البلاغيون بأنها طلب الفهم من السامع، والثانية معنوية يجدها المتأمل في البيان المتذوق له، وهي تنبيه المتلقي وتهيئته لتلبية المطلوب له»[٢]، فلصدر الحديث الشريف في البيان النبوي صفة غالبة من صفات الإثارة والتشويق، وهي أفانين لا ينتهي العجب منها... كبدء الحديث بأداة الاستفتاح، أو العرض أو الاستفهام، أو المفاجأة بإبهام يعقبه بيان، أو غير ذلك[٣].

ثم التأكيد بـ (إن) والقسم: (إني، والله!) ثم أتى بأسلوب القصر (إني ما جمعتكم رغبة ولا رهبة) وطريقته العطف بلكن.

ثم سلك النبي ﷺ طريق القصة؛ لما لها من أثر مشوق في نفوس المخاطبين، وقد جاءت حافلة بالأحداث والحوار، في إطار من التشويق والإثارة، لتحقيق حاجاتهم إلى الإقناع والإمتاع.

ولاسيما أن الحديث عن قصة الجساسة، لشد الانتباه لعلامة من علامات الساعة، لذلك اعتمد في عرضه على التأثير والإيحاء، وعناصر التشويق؛ ليهيِّئ أذهانهم، ويستثير عقولهم.

من ذلك الحوار بين الشخصيات في القصة (تميم الداري، والجساسة) و(تميم الداري والمسيح الدجال) ، ومن أهم وسائل الإقناع والتأثير التي اعتمدها الرسول ﷺ أدوات التنبيه والاستفتاح (أما) و(ألا)، ولا يخفى ما في تكرارها ووردها معًا في السياق الواحد من دلالة على اهتمامه ﷺ بالأمر، وتعظيمه لشأنه.

---

(١) علم المعاني، بسيوني فيود، ٣٤٩.
(٢) تأملات في البيان النبوي، إبراهيم عوضين، ٢١. وينظر: دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ٢٢٤.
(٣) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٣٦٨.

تأملها في قوله: (أما إنه يوشك أن لا تثمر) (أما إن ماءها يوشك أن يذهب) (أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه) تمهيدًا وتهيئة للخبر؛ لأنه جاء على غير المعهود، وما فيه من حكم غريب، فهو إنباء عن غيب (من أشراط الساعة)، وتأمل ما أدّته أداة العرض والاستفتاح (ألا) من تشويق وقسر للانتباه في قوله: (ألا هل كنت حدثتكم ذلك)، استدراجًا لتثبيت ما سيلقى إليهم، كما في قوله: (ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن).

اتضح مما سبق كيف أن مثل هذه الأساليب النبوية التنبيهية في بنائها التركيبي العالي، أدّت دورها تبليغًا وتأكيدًا، وأكسبت المعنى قوة وجلالًا.

ثانيًا: الجملة الفعلية:

١- عن الضحاك أبي العاصم قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلًا وحوّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه! أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا، قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إني كنت على أطباق ثلاثة، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: «ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»، وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنّوا عليَّ التراب شنًا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها؛ حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»[(١)].

مقام الحديث مقام تبشير وترغيب في الإنابة والإقلاع عن المخالفات، حيث يُشير إلى تبشير الصحابي "عمرو بن العاص" بأن الإسلام والهجرة والحج تهدم ما كان قبلها من الكفر وأعمال الجاهلية المنافية لحقيقة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

الإسلام، وهذا من فضل الله ورحمته أن جعل الإسلام هادمًا لما كان قبله من الذنوب والمعاصي، فإذا أسلم الكافر غفر الله له كل ما فعله أيام كفره، وصار نقيًا من الذنوب، يقول الله تعالى في كتابه العزيز:﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.[١]

لعبت الأداة (أما) دورًا محوريًا مهمًا في هذا الحديث، حيث جاءت نتيجة للحوار الذي دار بين عمرو بن العاص وبين الرسول ﷺ، وقد جاء رده ﷺ وسلم مصدّرًا بأداة التنبيه (أما)؛ تنبيهاً لما ينبغي أن يعلم على وجه التأكيد، وهو «أما علمت أن الإسلام يَهدم مَا كانَ قَبله»، أي: «يُسقطهُ ويَمحو أثره»[٢]، حتى تُسكن نفس الصحابيّ الذي راعه إسرافه على نفسه بالخطايا قبل إسلامه ويبشره بأنّ الإسلام واعتناقه يهدم ما كان قبله .

وينكر ﷺ على عمر بن العاص جهله حين ظنَّ أن الله لن يغفر له؛ لما له من سوابق في محاربة الإسلام، و« إنكار العلم بالشيء، وصف للجهل بما ينبغي أن يعلم، وهو عقوبة أدبية عند ذوي الحس المرهف، وتؤكد في نفوسهم قيمة هذا الشيء الذي أنكر عليهم الجهل بقيمته، فيرون العلم به لازمًا ولازم العلم به محتومًا، فكون الإسلام يهدم ما سبقه من الكفر ينبغي أن يعلم ويتقرر، والعلم به يلزمه إغفال ما كان من النقائص في الذي أسلم بعد إسلامه، فلا يهتم به ولا يعير ولا ينبغي منه هو لنفسه أن يقتل قلبه همًا به وتفكيرًا»[٣].

ويؤكد الرسول ﷺ ويكرر باستخدام الأداة (إن) حقيقة أنَّ الإسلام يهدم ما سبقه من الكفر «الإسلام يهدم ما كان قبله»: «يهدم» أي: يسقط عن صاحبه، وفي رواية أخرى: (يجبُّ) أي: يقطع، الهدم هو إسقاط البناء وإزالته، والمراد أن الإسلام يسقط المؤاخذة على الذنوب السابقة، «ما كان قبله» أي: قبل الإسلام، أي: يُسقط عنه جميع ما كان عليه من الحقوق مطلقًا، وجميع ما ارتكبه من الذنوب صِغائرها وكبائرها، و«أن الهجرة» إلى الله تعالى وإلى رسوله من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين «تهدم» أي: تذهب وتُزيل وتمحو وتُسقط «ما كان قبلها» من الذنوب

---

(١) سورة الأنفال:٣٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣٧٨/١.

(٣) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، ١٢٩.

والمعاصي مطلقًا، «وأن الحج» المبرور « يهدم » أي: يمحو ويزيل ويسقط «ما كان قبله» أي: قبل الحج من الذنوب مطلقًا[١].

وذكر الرسول ﷺ الهجرة والحج مع الإسلام؛ لعظم مكانتهم جميعًا، وإن كل واحد منهم بمفرده يكفّر عمّا سبقه، وتأكيدًا في بشارته وترغيبًا في متابعته، فحكم الهجرة والحج حكم الإسلام، فكأنه يقول له: لا تهتم بشأن الإسلام وحده، وأنه يهدم ما قبله، فإن الحج والهجرة كذلك، وقوله: «الحج يهدم ما قبله» فيه ترقٍّ، فهو أبلغ في إرادة المبالغة من الهجرة؛ لأن الحج دونها، فإذا هدم الحج الذنوب، فمن باب أولى أن تهدمها الهجرة؛ لما فيها من مشقة وفراق الوطن والأحباب[٢].

ووردت (أما) في هذا السياق بمعنى التقرير والتثبيت، فالهمزة في (أما) حملت معنى النفي والتقرير، فالرسول في هذا المقام لا يريد جوابًا من عمرو بن العاص بل يريد أن يخبره بقبول التوبة عند الإنابة إلى الله، وهدم جميع ما تقدَّم من ذنوب ومعاصٍ قبل إيمانه وإنابته، فكانت لهذه الكلمات البليغة أعظم الأثر في نفس الصحابي، وتغلُّبه على وساوس إبليس من أن الله يؤاخذه على ما ارتكب من مآثم ومعاصٍ، واطمأنت إليه نفسه بقبول التوبة ونيل المغفرة من الله، فقد كان الرسول ﷺ عليمًا بمداخل النفوس والتأثير عليها.

والاستفهام في هذا الحديث استفهام تقريري، يفيد التحقيق والتثبيت، وأيضًا يحمل المخاطب على الإقرار بذلك[٣]، فهو إنشاء من حيث اللفظ؛ لأن صيغة الاستفهام من أقسام الإنشاء، وخبر من حيث المعنى؛ لأن معناه تثبيت الخبر وتحقيقه[٤].

وقد لحظ عبد القاهر أن الاستفهام الذي نفسِّره بهذه المعاني لا يراد به عند التحقيق إلا محض التنبيه أعني الإيقاظ، وإثارة حركة الفكر، وانبعاث الحس، حتى يكون مستوفزًا؛ ليلتفت بهذا الحضور الواعي إلى السياق،

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الشّافعيّ، ٢٢١/٣.
(٢) ينظر: فيض القدير، محمد عبدالرؤوف المناوي، ٢١١/٢.
(٣) ينظر: دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ٢٤٢.
(٤) ينظر: أسلوب الاستفهام في الأحاديث القدسية في رياض الصالحين، ناغش عيده، ٤١.

فيستوعبه بخفاياه ودقائق همسه وكل حواشيه فيلتقط المراد، الاستفهام هنا يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور[١].

وأتبع الرسول ﷺ الاستفهام بقوله: «علمت» يقصد به: «قد علمت» إيذانًا بأن ذلك أمر لا نزاع فيه ولا ينبغي أن يرتاب بعده، ثم ذكر كلمة: «يهدم» وما فيها من دلالة المضارع على التجدد والحدوث، وتشبيه الأركان الثلاث في إزالتها ومحوها للذنوب بما يهدم البناء، فالهدم في الأصل إسقاط البناء وإزالته، وأثبت للإسلام ما يلائم المشبه به من الهدم على طريقة الاستعارة المكنية، والمعنى: يسقط المؤاخذة على ما قبله من الذنوب، ثم كرر كلمة «يهدم» مع الأركان الثلاث؛ لينبه ويبين استقلال كل منهم بالهدم.

٢- عن علقمة بن وائل عن أبيه قال: « جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ، فقال الحضرمي: يا رسول الله! إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها، ليس له فيها حق، فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: ألك بينة؟ قال: لا، قال فلك يمينه، قال: يا رسول الله! إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه، وليس يتورع من شيء فقال: ليس لك منه إلا ذلك، فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ لما أدبر: أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلمًا ليلقين الله وهو عنه معرض»[٢].

حذَّر النبي ﷺ من خطورة الظلم وعاقبته في الآخرة، فالظلم وأكل حقوق الناس ولو كانت يسيرة عاقبته وخيمة في الأولى والآخرة مهما كان قدره، وفي هذا الحديث موقف عملي ينبِّه فيه الرسول ﷺ المؤمنين إلى عظم التهاون باليمين، ومن صور ذلك الحلف الكاذب والتي تسمى باليمين الغموس، وهي من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب عند الله؛ لأنها تصيبنا نحن بأكبر الضرر وأعظمه، فالله ﷻ ما غضب من عبد كان منه شيء إلا شيء يضرنا، فهو أقدس من أن تنفعه طاعة أو تضره معصية[٣].

---

(١) دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ٢٦١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة.
(٣) ينظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم، محمد أبو موسى، ١٣٧/١.

وكعادة الرسول ﷺ في الاستعانة بالمواقف والأحداث اليومية في توجيهه وتعليمه للصحابة واتخاذ من هذه المواقف والأحداث أمثلة واقعية، يستمد منها العبرة أو الموعظة أو الحكمة التي يريد إيصالها إليهم، ومما لا شك فيه أن ذلك أشد وقعًا وأعمق تأثيرًا في النفس من مجرد النصيحة أو الموعظة، دون موقف أو حدث يصاحبها يلفت النظر، ويشد الانتباه، ويجعل الإقبال على متابعة النص أشد[١]، من ذلك الموقف السابق الذي يختلف فيه رجلان على ملكية أرض فيتدرج بهم النبيﷺ في الحوار حتى يصل إلى الحقيقة التي بني عليها حكمه.

وفي قوله: (ألك بينة؟) التنكير هنا للشيوع أي: ألك بينة ما؟[٢]، فكان جوابه: (لا، قال: فلك يمينه)، دلت هذه العبارة أن البينة مقدّمة على اليمين إذا أثبتها المدعي وبها يكتفى، وإذا لم يقمها حلف المدعي عليه.

وجاء الخبر: (أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلمًا) مسبوقًا بالأداة (أما)، و"القسم بلام القسم" وهو من باب القسم المضمر الذي لا يُذكَر معه القسم صريحًا، وتدل عليه اللام المقترنة بأداة الشرط[٣]، ليحمل دلالة التخويف والتحذير من مغبة الحلف الكاذب، وليضع حدًا للمعتدي على حقوق الناس، وينبّهه لعواقب اعتدائه، ويعلن للأمة أنه لا تسامح في هذا الأمر ليحذروا ويلتزموا بأوامر ربهم حماية لهم من غضبه عليهم.

واستعمل الفعل الماضي (حلف) مع (إن)، والأصل استعمالها مع الفعل المضارع، فيقال: (إن حلف)، فدخول الفعل الماضي في حيز حرف الشرط (إن) فيه عدول عن الاستعمال الأصلي، وهو المضي إلى ما تقتضيه (إن) من الدلالة على الاستقبال، الذي هو الأصل في الشرط وفيه مخالفة أيضًا عن أصل استعمالها[٤]، لعلمه ﷺ بتحقق وقوعه، ولأنها جاءت في مقام الجزم بوقوع الشرط[٥]، فكلام البلاغيين في مجيء الماضي شرطًا لـ(إن) يدور على قاعدة أساسية هي تأكيد الوقوع، وأن ما هو للوقوع كالواقع وتحليلهم للأفعال على هذا الأصل[٦]؛ وذلك لإرادة التوبيخ والتقريع، وتصوير أن الحلف الكاذب لا ينبغي منه ما دامت عقوبته غضب الله تعالى وإعراضه .

---

(١) ينظر: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، محمد لطفي الصباغ، ٩٦؛ الحديث النبوي وعلم النفس، ١٩٠.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ١/٤٠٠.
(٣) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، عودة خليل أبو عودة، ٤٩١.
(٤) ينظر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ظافر العمري، ٣٤٧.
(٥) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ٢٤١.
(٦) ينظر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ظافر العمري، ٣٥٧.

وفي سياق هذه الجملة عدل النبي ﷺ عن الفعل الماضي "حلف" إلى الفعل المضارع "ليأكله"، وهذا التفات، وهو «كل تحول أسلوبي أو انحراف غير متوقع على نمط من أنماط اللغة»[١]، أو هو «الرجوع بالكلام عن صيغة والاتجاه به إلى صيغة أخرى»[٢]؛ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتًا بعد وقت، لأن أكل المال الحرام أمر فظيع، فأراد النبي ﷺ استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وهذا التحول في سياق الحديث يفاجئ السامع ويثير دهشته وتساؤله؛ لأنه خرج عن اطراد السياق على نمط واحد من المطابقة الزمنية بين الأفعال المتوقعة لديه، ومن فوائد هذه المخالفة «تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام»[٣]، و« أن الحديث بلغ مقطعًا من المعنى يجب على السامع أن يلتفت إليه، وهذه قاعدة عامة في كل مخالفة»[٤].

وفي جملة (ليأكله ظلمًا) استعارة تصريحية تبعية، شبَّه أخذ المال بالأكل بجامع الانتفاع في كل بدون إرجاع، وفي مفردة (ماله) استعارة مكنية، شبَّه المال بالطعام الذي يؤكل، ثم حذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو(يأكله)، فكانَ وقعُها في النفسِ أشدَّ، ومنزلتُها في البلاغةِ أعلَى، « فهي تبعث صورًا مستحسنه في التعبير، وتعطي التركيب عمقًا وخصوبة في مدلوله»[٥].

وقد حدد النبي ﷺ نوعية الأكل بأنه سيكون ظلمًا لنفسه؛ لأنه أُخذ باليمين الفاجرة، وقد أوثر التعبير بـ (الأكل) تفظيعًا وتنفيرًا، والمراد النهي عن الاعتداء على أموال الغير بأي وجه من الوجوه[٦]، وجاءت لفظة المال معرفة إلى لفظ الرجل؛ للدلالة على تخصيص المال المحلوف عليه للرجل.

ونصَّ النبي على جواب القسم مع إمكان حذفه، نظرًا لطبيعة مهمته ﷺ، وهي التبليغ الذي يحتاج إلى الشرح والتفصيل والبيان ليفهم السامع[٧]، وجاء الجواب مقترنًا باللام والنون المشددة للتأكيد (ليلقين الله وهو عنه معرض)، وهذا دلالة على شدة غضب الله بدلالة رواية البخاري: (لقي الله وهو عليه غضبان)، وهذا وعد شديد؛ لأن غضب الله سبب لانتقامه، فالغضب منه ﷻ يستلزم دخول المغضوب عليه النار، ولهذا وقع عليه في رواية

---

(١) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ١١.
(٢) بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ظافر العمري، ١١.
(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣/٣٢٥، ٣٢٦.
(٤) خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ٢٩٩.
(٥) التصوير البياني، محمد أبو موسى، ٢٤٥.
(٦) ينظر: علم المعاني، بسيوني فيود، ٣٧٨.
(٧) ينظر: بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، ٤٧.

لمسلم: « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار»[١]، وهذا يدل على خطورة هذا الأمر، وأن فيه الوعيد الشديد.

٣- حديث عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ :«أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، قال: فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة، قال: فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»، وفي رواية: عن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فأسند ظهره إلى قبة أدم، فقال: ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، اللهم هل بلغت، اللهم اشهد، أتحبون أنكم ربع أهل الجنة؟ فقلنا: نعم يا رسول الله، فقال: أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود[٢].

يشوّق النبي ﷺ أصحابه إلى الجنة، ويبشِّرهم برحمة الله بهم وكرمه لهم بأن جعلهم أكثر أهل الجنة، من خلال أسلوب الحوار، متكئًا على الأداة (أما) بقوله: (أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة)، فانطلقت ألسنتهم بالشكر والحمد لله، وتدرج معهم بالسؤال من الأقل إلى الأكثر من الربع إلى الثلث: (أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة)، وفائدة هذا التدرج زيادة في تشويقهم وحتى تتطلع نفوسهم إلى المزيد وتبتهج، وفيه تكرير البشارة، فالبشارة تلو البشارة أبهج للنفس، « ولم يخبرهم أنهم النصف ابتداءً؛ لأن التدريج أوقع في النفس وأبلغ في الإكرام، ولأن الإعطاء مرة بعد أخرى دليل الاعتناء بالمعطى أو لتتكرر منهم عبادة الشكر، ولا يبعد أن يكون قد أوحي إليه ﷺ بالزيادة، يدل عليه قوله ﷺ بعدها: (وسأخبركم عن ذلك)، وهي عبارة توجيهية لكونهم الشطر»[٣].

وفي رواية يقسم ﷺ بأنه يرجو بأن يكونوا نصف أهل الجنة: (والذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة)، والشطر: «النصف، ومنه يقال: شاطرته مشاطرةً إذا قاسمته، فأخذت نصف ما في يده»[٤]، والدقة في استخدام فعل الرجاء هو تأدب مع الله ووقوف مع أحكام العبودية[٥]، ثم ضرب لهم مثلًا من واقعهم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ٤٠٠/١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض، ٦٠٨/١.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ٤٧١/١.
(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ٤٧٢/١.

وبيئتهم المحيطة بهم، مما كان له الأثر في تصوير المعنى في نفوس المتلقين، فهو دائماً يؤثر التعبير بالصورة ويربطها بأمور مرئية ومستوحاة من البيئة والمجتمع: (وما المسلمون في الكفار إلا كالشعرة البيضاء..)؛ للدلالة عن قلة المسلمين في العدد بالنسبة للأمم الأخرى يوم القيامة وظهورهم وتميزهم عن غيرهم.

والتشبيه وضّح حالهم بالنسبة للأم الأخرى يوم القيامة، فالمشبَّه حال المسلمين بين الأمم والمشبّه به حال الشعرة البيضاء في الثور الأسود أو العكس، ووجه الشبه هو القلة أو الندرة[١].

واستفتاح ﷺ بالأداة (أما) منحت الكلام لونًا مختلفًا من التنبيه والإيقاظ وبيان فضل هذه الأمة ومكانتها بين الأمم الأخرى، فحين تطرق هذه الأداة الأسماع تستيقظ نفوس من يستمعون إليها وتتطلع إلى معرفة ما شوقهم إليه، وإضافة الأداة (أما) للفعل (ترضون) لتقرير المضمون، كما أن كلمة (ترضون) كلمة مؤنسة في هذا المقام، كذلك تعضدها كلمة تحبون في رواية: (أتحبون)، وفي رواية بهمزة الاستفهام: (أترضون)، ثم تكرار الجملة: (أما ترضون) فيه لفت ظاهر على حرص الرسول وعنايته بهم .

والاستفهام هنا تقريريٌّ لتقرير ما يريد الرسول ﷺ تقريره، وهو أن المؤمنين أكثر أهل الجنة ليُسرُّون بهذه البشارة العظيمة ويحذرون من الشرك ويتجنّبونه، فسبب كونهم نصف أهل الجنة، ورجاؤه ﷺ أن يكونوا كذلك؛ أنهم بمعزل عن الشرك، فما هم في المشركين إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض[٢]، ليشتد حرصهم على تجنُّب الشرك والابتعاد عنه، فيكونوا دائمًا عنه بمعزل.

٤- حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «أما يخشى[٣] الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار»[٤].

من كمال شفقته ﷺ بأمته تحذيرهم من بعض الذنوب التي يقعون فيها، وما يترتب عليها من العقاب، ومن أكثر ما كان يوصي به النبي ﷺ الصلاة؛ لأنها أول ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة، وهي العمل التي يكفر

---

(١) التشبيه في صحيح مسلم، أحمد عيضة، ٢٧٧.
(٢) التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، ٢٥.
(٣) الخَشْيَة: الخَوْف، خَشِيَ الرجل يخْشى خَشْية أَي: خاف. لسان العرب مادة (خشي)
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تحريم سبق الإمام.

بتركه، وروح الصلاة وسرها وثمرتها هو الخشوع، إذا انتفى فقد ضاعت الصلاة، وينكر حال أولئك الذين يسابقون الإمام في الصلاة، إنكارًا يصحبه التهديد والتوبيخ، مستفتحًا الإنكار بكلمة (أما) التي يطلقها الرسول وكأنها صيحة ،أو صرخة ترسل الصوت في امتداد متسع في هذا الموقف المفعم؛ للحاجة الملحة إلى لفت من يسمع وإيقاظه[١]، ودخلت على فعل يثير إحساس المؤمن تجاه الله ﷻ، وهو الفعل (يخشى)؛ لتقرير المضمون بإنكار مسابقة الإمام في الصلاة.

صور لنا الرسول ﷺ خطر مخالفة المأموم للإمام في الصلاة، في أبشع صورة : (يحوّل الله رأسه رأس حمار)، وفي رواية: (أن يحوّل الله صورته صورة حمار)، وفي أخرى : (أن يجعل الله وجهه وجه حمار)، مستخدمًا طريق التشبيه بأيسر طريق وأوضح صورة؛ فالصورة في الحديث الشريف واضحة غير معقدة ولا متكلفة، فيها سهولة وعفوية، ومتمكنة في تصوير المعاني، وتظهر في النص على أنها هي المعنى ذاته[٢].

التشبيه مفرد مؤكّد، والطرفان حسّيان (رأسه رأس حمار) إذا كان تغييرًا حسيًا، أو يكون المشبه به عقليًا إذا كان التعبير على صورة حمار معنويًا[٣]، ليتحسس بذهنه وخياله شدة هول الصورة؛ لأنه اختار الحمار دون غيره، والكل يعلم أن الحمار موصوف بالبلادة، فاستعير هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من متابعة الإمام، وبين العلماء خلاف في كونه وعيدًا حسيًا أو معنويًا[٤].

ولما كان الرأس هو أهم ما يميز الإنسان، والذي تكون به الحياة والذي يعرف به بين الناس؛ فإن تحويله إلى رأس حمار يوم القيامة فضيحة عظيمة، تجلب لصاحبها العذاب النفسي والعار بين الخلائق في ذلك اليوم العصيب[٥].

---

(١) ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ٢٧٨.
(٢) ينظر: البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب الشاويش، ٣١.
(٣) ينظر: التشبيه في صحيح مسلم، أحمد عيضة الثقفي، ١٣.
(٤) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٨٣/٢.
(٥) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، الصباغ، ٣١٩، ٥١٩.

ولا يخفى ما في هذا التصوير من تنفير السامع من هذا الفعل المنكر: (مسابقة الإمام في الصلاة)، ورغبةً في تأكيد ملازمته للمرغوب: (الخشوع والكف عن مسابقة الإمام في الصلاة)، فخوف المصلي «أن يجعل رأسه رأس حمار أو صورته صورة حمار تؤكِّد في نفسه لزوم متابعة إمامه وعدم سبقه»[١]، «فربط الفعل بالجزاء وقرنه به الطريق الأمثل للترهيب والسبيل الأفضل للترغيب»[٢].

تهديد مخيف جاء على طريقة الموازنة، وأكثر صور النبي تعتمد على الموازنة؛ إذ تجمع بين الإمتاع والإقناع، لأن السامع يكون أمام صورة تربط بين شيء معروف، وتجعل الإنسان يأخذ بالرأي حيث يدل عليه الدليل[٣].

٥- عن أبي هريرة قال: «بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عمَّ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : "ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا، قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي عليَّ ومثلها معها"، ثم قال: "يا عمر! أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه؟"»[٤].

بعث الرسول ﷺ عمر لجمع الصدقة، فقال عمر: امتنع العباس بن عبد المطلب، وخالد بن الوليد، وابن جميل عن دفع الصدقة، فلما أخبر النبي ﷺ بذلك، عذر خالدًا والعباس، وقال: إنكم تظلمون خالدًا، فكيف يمنع الفرض وقد تطوع بسلاحه وخيله، فله العذر في ترك الصدقة، وأما العباس فقد قدم زكاة مالِه لِعامَين، لتكون أرفع لقدره وأنفى للذم عنه، أو أنه ﷺ التزم بإخراج ذلك عنه، دلَّ على ذلك قوله: (وأما العباس فهي عليَّ).

وأما ابن جميل فقد ألمح ﷺ أنه غير معذور، فقد كان فقيرًا فأبدل الله حاله من الفقر إلى الغنى، بأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، وذلك في قوله: (ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله)[٥]؛ لأنه إذا لم يكن له عذر إلا ما ذكر من أن الله أغناه، فلا عذر له، وهذا الأسلوب فيه نوع من الخلابة تفاجئ السامع بغير ما يتوقع[١].

---

(١) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ١٢٨، ١٢٩.
(٢) أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ٩٣.
(٣) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، الصباغ، ٥١٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها.
(٥) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٣٣، ٣٣٤.

وجاء النداء في قوله: (يا عمر) طلبًا لإقبال المخاطب، فالغاية منه أن يصغي من تناديه إلى أمر ذي بال[٢]، وفي الخطاب النبوي غالبًا ما يتقدَّم النداء بمقام الإنكار، وكان النبي ﷺ ينادي بـ(يا) ولا ينادي بغيرها في هذا المقام، ولعل في ذلك قوة في تنبيه المخاطب إلى خطئه، وإشعارًا له بأهمية الأمر وعظمه[٣].

ثم جاء التنبيه في قوله: (أما شعرت)، لاستثارة نفس المخاطب وشد انتباهه، وفيه إنكار وعتب بلطف لوقوعه بصورة الاستفهام ، ثم تشبيه العم بالصنو في قوله: (عَم الرجل صِنو أبيه)، و« الصنو معروف عند أصحاب النخيل، تكون نخلتان أصلهما في الأرض واحد، فالأصل واحد، وتتشعب كل نخلة منهما إلى جهة مقابل الأخرى، فيتفرع الأصل إلى فرعين، وهكذا العم بالنسبة إلى الأب، فإن أصلهما واحد وهو الجد »[٤]، فهو مثل أبيه في التوقير والاحترام، وهو منهج قرآني، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾[٥]، فإسماعيل عم وليس أبًا، والفائدة البلاغية من هذا التشبيه ذكرها النووي وهي: « تعظيم حق العم »[٦].

ولذلك حشد النبي ﷺ أكثر من وسيلة لتوضيح وترسيخ المعنى في ذهن المخاطب، وهي: النداء، وأسلوب التنبيه، والتشبيه، وهي جميعًا تؤكِّد أن العم صنو الأب تفضيلًا له وتشريفًا.

٦- عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ « فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجرًا؟ فقال: "أما وأبيك لتنبأنه، أن تصدّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان. وفي رواية: عن أبي هريرة، قال: أتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم؟ فقال: أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان»[٧].

فهذا حوار تشكَّل من سؤال الرجل عن أفضل الصدقة وأعظمها أجرًا، وأجاب النبي ﷺ بأمرين: وصف حال المتصدق وضرورة الإسراع بإعطاء الحقوق لأصحابها قبل فوات الأوان، وهذا ليس من الصدقة، لقد ترك النبي ﷺ

---

(١) ينظر: البديع في الحديث النبوي، خالد داود، ٢٥٦.
(٢) ينظر: علم المعاني، بسيوني فيود، ٤١٠.
(٣) ينظر: البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية، يوسف العليوي، ٨١.
(٤) شرح بلوغ المرام، عطية سالم، ٢٢٤/٢٠.
(٥) سورة البقرة:١٣٣.
(٦) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها.
(٧) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: بيان أفضل الصدقة.

الجواب عما سئل عنه، وهذا من الأسلوب الحكيم في الحديث الشريف، وكأنه يقول للسائل: كل الصدقة خير، وما كان ينبغي أن تسأل عنه هو كذا وكذا[١].

وهذا نموذج على الحوار البسيط الذي يتشكَّل من سؤال واحد أو أكثر، أو من عدة جمل وجوابها، ولا يتولد فيه سؤال من سؤال، وإنما يلقي السائل كلامه أو سؤاله، فيأتيه الجواب، وعندها ينتهي الحوار[٢].

وقد صدر جواب النبي ﷺ بأداة التنبيه (أما)؛ لتنبيه محاوره وتشويقه إلى المراد، ونحن نعرف أن هذه الأداة تطرق العقل والقلب ، ثم جاء القسم المضمر الذي تدل عليه اللام المقترنة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد[٣]، لأن هذه اللام غالبًا ما تقع في جواب قسم محذوف[٤]، والتقدير والله لتنبأنه.

والقسم من المؤكدات اللفظية القوية، التي كان يؤكد به ﷺ ما يستحق المقام تأكيده من المعاني[٥]، والتوكيد « يفيد تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه »[٦]، وهو بهذا القسم قد اختصر عبارات كثيرة، فهو أسلوب موجز « للاستدلال، فإن اللفظ إذا قلَّ يتراءى المعنى متجردًا عن حجبه فيزيده تنويرًا وتأثيرًا، وكأنه أرهف حدّه، وقرب بعده، وهذا ما يجعل الاستعارة أبلغ من التشبيه»[٧].

وتأتي الدقة في اختيار فعل الإخبار(تنبأ)، وهذا الفعل قد يخبر به عن الأعمال الصالحة، ويخبر به كذلك عن الأعمال السيئة[٨].

ومن غير شك فإن الرجل من خلال هذا التركيب وما فيه من توكيد (من الأداة (أما) ومدخولاتها : القسم المضمر واللام، والنون، والفعل تنبأن والدقة في اختياره) قد اشتدت رغبته إلى معرفة المراد، وعند هذا الحال

---

(١) ينظر: البديع في الحديث النبوي الشريف، خالد داود، ٢٥٢، ٢٥٣.
(٢) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ٢١٨.
(٣) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، خليل أبو عودة، ٤٩١.
(٤) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ١٨٠/٤.
(٥) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ص١٠٤.
(٦) معاني النحو، فاضل السامرائي، ١٣١/٤.
(٧) الإمعان في أقسام القرآن، الفراهي، ٥٤.
(٨) ينظر: أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣.

يستهل النبي ﷺ توجيهه بهذين التركيبين لإفادة ثبوت الأمر: (أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح)، ويتضح الخطاب الحواري في الضمائر: (تصدّق، أنت)، وجاء الجناس بين (صحيح–شحيح) متمكنًا يستدعيه المعنى؛ لما في علاقة الشح بالصحة، فالجناس هنا ليس علاقة شكلية فقط، بل إن علاقة الشكل دلت على علاقة المعنى ومثلتها[١].

ويبرز التوازن بين الكلمتين: (صحيح)، (حريص)، وهما على وزن واحد؛ مما يفيد العطاء الأسمى في الصدقة، وحريص امتداد لصحيح؛ لأن الحرص حركة، والصحة حالة ثابتة، وكذلك الأمر في الجملتين المتقابلتين: (تأمل الغنى وتخشى الفقر)، فالعبارة مكوّنة من جملتين من غير أساليب عطف؛ لوضع المتلقي في الصورة الحركية[٢].

ومن الدقة في الحديث اختيار لفظة الشح دون البخل؛ لأن الشح بخل مع حرص[٣]، فهو أشد من البخل، وهو أبلغ في المنع، وذلك «لما كان الشح غالبًا في الصحة، فالسماح فيه بالصدقة أصدق في النية وأعظم للأجر، بخلاف من يئس من الحياة ورأى مصير المال لغيره»[٤].

ثم جاء النهي الصريح بالفعل المسبوق بـ"لا" الناهية: (لا تمهل)، واختيار الحرف " حتى" الذي يفيد انتهاء الغاية[٥] في قوله: (حتى إذا بلغت) أي الروح بإيجاز الحذف، واستعمل اسم الشرط: (إذا) الدال على تحقق الوقوع في المستقبل، ولما كانت تفيد الجزم بالوقوع، غلب معها الفعل الماضي: (بلغت)؛ لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه[٦] أي: إذا بلغت الروح أو قاربت البلوغ .

لقد أدت هذه الأداة (أما) مع كل هذه الصياغة عن المعنى الذي أراده الرسول، ومما لا شك فيه أن التعليم المستخلص من الحوار أثبت للمتعلم من التوجيه المباشر؛ لأن المتعلم مشارك في العملية التعليمية[٧].

---

(١) ينظر: البديع في الحديث النبوي الشريف، خالد داود، ٢٠٦، ٢٠٧.
(٢) ينظر: في ظلال الحديث النبوي، نور الدين عتر، ١٧١، ٣٦٩، ٣٧٠.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٢٥٩.
(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٢٨٥/٣.
(٥) ينظر: الجنى الداني، المالكي، ٥٤٢/١.
(٦) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ٧١/٤–٧٧.
(٧) ينظر: مقدمة في البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، ٣١٧.

٧- حديث الأنصار لما عتبوا على رسول الله عقب غزوة حنين بسبب توزيع الغنائم؛ إذ نال المهاجرون من سبي المعركة أكثر مما نالوه، فجمع رسول الله ﷺ الأنصار في قبة كبيرة ولم يدع معهم أحدًا، ثم قال لهم: « ما حديث بلغني عنكم؟! فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله، فلم يقولوا شيئًا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسوله، يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: فإني أعطي رجالًا حديثي عهد بكفر أتألفهم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، فقالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا، قال: فإنكم ستجدون أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الحوض، قالوا: سنصبر»، وفي رواية قال: « أفيكم أحد من غيركم؟ فقالوا: لا، إلا ابن أخت لنا، فقال الرسول ﷺ: إن ابن أخت القوم منهم، فقال: إن قريشًا حديث عهد بجاهلية ومصيبةٍ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس واديًا، وسلك الأنصار شعبًا، لسلكت شعب الأنصار»، وفي رواية: «ما الذي بلغني عنكم؟ قالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون، قال: أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس واديًا أو شعبًا وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار»، وفي رواية « يا معشر الأنصار! ما حديث بلغني عنكم، فسكتوا، فقال: يا معشر الأنصار! أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله رضينا، قال: فقال: لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار شعبًا لأخذت شعب الأنصار»، وفي رواية: « ألا تجيبوني، فقالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، فقال: أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا لأشياء عددها، زعم عمرو أن لا يحفظها، فقال: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، الأنصار شعار والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[(١)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام.

إنه خطاب يفيض رقة ولينًا في العتاب والاعتذار، خطابٌ يتناسب وحالهم وطبيعتهم؛ إذ كانوا يمتازون بنفوس لينة، وقلوب رقيقة، ويتأثّرون بلهيب المشاعر، ويستجيبون لنداء العواطف، واختار النبي ﷺ الخطبة؛ لأنها الوسيلة الأمثل في هذا الموقف؛ إذ إن الخطاب ليس لواحد منهم، بل هو أمر عام فيهم[١]، وهي من الوسائل المهمة في تحريك المخاطبين وتوجيههم نحو غاية معينة، وخاصة في القضايا الكبرى[٢].

ونلاحظ أن النبي أطال في خطبته على غير المعتاد في كلامه، ولكن لأن المقام هنا يقتضي الإطناب ليطيّب قلوبهم، وفيه مزيد إيناس لهم، وقد استخدم النبي ﷺ في خطبته من الأساليب ما أعطاها هذا العمق والتأثير، من ذلك: أنه تدرَّج بهم في الحوار في مقام العتاب حتى يصل إلى الحقيقة التي يريد، وهي تقريرهم على الخطأ، فعاتبهم على ما صدر منهم تجاهه، وبيَّن فضله ﷺ عليهم قبل أن يطيب نفوسهم، وابتدرهم بالسؤال عما قالوه، وناداهم بالنداء المعبِّر عن التودد والعناية بالمخاطب (يا معشر الأنصار)؛ ليذكرهم بتاريخ مناصرتهم له وتضحيتهم لنصرة الدين.

وبراعته في دقة الاختيار، وذلك في وصفهم بصيغة الجمع: (ضلالًا، عالة)، لما كان المقام للعتاب وإظهار الفضل حَسُن الإتيان بالصيغة التي تدل على الكثرة وهي جمع التكسير، ودقته أيضًا في اختياره لصيغة الفعل الماضي في قوله: (هداكم، ألفكم، أغناكم) تذكيرًا لهم بتحقُّق هذه الفضائل فيهم، منذ زمن ماض، واختياره الفعل المضارع الدال على تجدد الفعل واستمراره في قوله: (يذهب، تذهبون، تحوزون) لما أراد أن يطيب نفوسهم ويزيل ما فيها من تعلُّق بالدنيا، فاختيار الفعل المضارع: (يذهب) في قوله: (يذهب الناس بالدنيا) يصوّر مدى حرص الناس على الدنيا ويسعون على بقائها، وجاء الفعل المضارع: (تذهبون) و(تحوزون) مصورًا حرص الأنصار على رسول الله ﷺ، فكأنهم يحيطون به ويسيرون به إلى بيوتهم، وما في لفظة (تحوزونه) من دلالة الضم والملكية[٣].

---

(١) ينظر: رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف العليوي، ٧٤.
(٢) ينظر: مدخل إلى البلاغة النبوية، حلمي القاعود، ١٩٢.
(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف العليوي، ٢١٣، ٣٠٦، ٣٢١.

واختياره ﷺ للمعاني والترقي والتدرج في ترتيبها لطيفة من لطائف بيانه، قال ابن حجر:« رتب ﷺ المعاني بما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنَّى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها...، فزال ذلك كله بالإسلام »[١].

وإيثاره التعبير بالكناية في قولة: (ولو سلك الناس واديًا وشعبًا...)؛ لما فيها من تصوير ملازمته لهم وعدم مفارقتهم، وفي ذلك تأكيد للمعنى وتقريره في نفوسهم ليطمئنوا.

وكذلك التشبيه البليغ في قوله: (الأنصار شعار، والناس دثار)، شبَّه الأنصار بأقرب شيء له وهو (الشعار) الذي يلصق على اللابس، والناس يأتون من ورائهم ومن بعدهم فشبّههم بـ(الدثار) وهو الثوب فوق الشعار[٢]، قال ابن حجر: «هي استعارة لطيفة؛ لفرط قربهم منه، وأراد أيضًا أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم»[٣].

ولا أروع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاة والبعير، ورجوع الأنصار برسول الله ﷺ إشعارًا لهم بفضلهم[٤]، والخطبة كلها قائمة على التقابل؛ لأن المخاطب مبني احتجاجه على التقابل بين إعطاء غيرهم الغنائم وتركهم، ومن ذلك التقابل في الخطبة: الطباق بين الضلال والهدى، والتفرق والائتلاف، والفقر والغنى، وجاءت صياغة الأضداد صياغة بلاغية عالية، تسهم في تأكيد المعاني وتقريرها، فعبَّر بالتضاد بين الاسماء والأفعال في قوله: (ضلالًا، متفرقين، عالة)، والأفعال : (هداكم، ألفكم، أغناكم)، ولما كان الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد، فالتعبير عن المعاني الأول بالاسمية وأضدادها بالفعلية للدلالة على أن النعم حصلت لهم بعد أن كانت أضدادها متحققة فيهم، لغرض كمال التقرير والتمييز للنعم[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٥٠/٨.
(٢) ينظر: في ظلال الحديث النبوي، نور الدين عتر، ٣١٥.
(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٥٢/٨.
(٤) ينظر: البيان النبوي، رجب بيومي، ٨٩.
(٥) ينظر: رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف العليوي، ٦٨٠.

وتأمل كيف استخدم ﷺ السجع الذي يحدث في النفس تأثيرًا، فيعمّق فيها المعنى، ومن ذلك قوله: (الأنصار شعار والناس دثار) ، وجاء أسلوب التنبيه للتحضيض على الرضا وإثارة العاطفة، وتذكيرهم بما غفلوا عنه من عظيم نعمة الله عليهم برسولهم والفوز به، في قوله: (أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال...)، (أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا...)، (أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا...)، (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل)، فأي شيء يلتفت إليه بعد هذا الربح والفوز العظيم...؟

وجاء أسلوب التنبيه في قوله: (ألا تجيبوني) للطلب، وللتأكيد في قوله: (أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا) ، فكان لهذا الأسلوب الأثر العظيم في تأثُّر الأنصار واستجابتهم ورضاهم، فبكوا واخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا.

٨- عن أبي هريرة يقول: «أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: كخ كخ.، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟»[١].

كان الرسول ﷺ حريصًا على أن يخاطب كل فرد على قدر حاله، وأن تكون ألفاظه ملائمة لأغراضه؛ ليبلغ كلامه مكانه في قلوب المتلقين، وقد يستعمل الكلام الموجع الذي يحمل التوبيخ، والإنكار الشديد المؤلم، بكل أدب ولطف في الخطاب دون أن يؤلم النفس أو يجرح الشعور[٢].

ولم يكن خطابه مخصصًا للرجال فقط، بل خاطب النساء والأطفال أيضًا وخص بعضهم بالحديث، وكان في خطابهم معهم ما يدل على رعايته لطبيعتهم، سواء ما يتعلق بالجنس أو بالعمر[٣]، وفي هذا الحديث ما يؤكد هذه الرعاية؛ فقد خاطب الحسن ولاءم في خطابه طبيعته البسيطة، فاختار الألفاظ والمفردات البسيطة الواضحة، والتي تؤدي الغرض بدقة، فخطابه لم يتعد الألفاظ التي يفهمها الطفل، لأن الطفل في هذا العمر لا يستوعب كل ما يقال له، ومن ذلك لفظة: (كخ)، وهي كلمة تقال للصبي لزجره إذا نهي عن تناول شيء قذر[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ.
(٢) ينظر: بلاغة الحديث الشريف، عبدالفتاح لاشين، ٢٠.
(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٩٥.
(٤) ينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٢٢٠/٣.

وآثر الإيجاز في التركيب ﷺ، وإن كرر عبارة الزجر: (كخ كخ) لفائدة بلاغية، وهي أن يتقرر المعنى ويثبت في ذهنه ، ثم جاء بأسلوب التنبيه والتشويق (أما) في قوله عليه السلام:(أما علمت ؟) صيغة استفهامية مشعرة بالتلطف، يستخدمها النبي ﷺ في الإنكار على من يقع في الأمر الواضح الذي لا ينبغي أن يخفى على المخاطب، ولذا يصحبها تعجُّب، متبوعة بفعل يدل على العلم: (علمت)[١]، وقد نص النووي على أنها لفظة:« تقال للشيء الواضح التحريم ونحوه، وإن لم يكن المخاطب عالمًا به، وتقديره: عجب كيف خفي عليك هذا مع ظهور تحريم الزكاة على النبي ﷺ وعلى آله .

وفي رواية للبخاري في هذا الباب: (أما شعرت)، وفي باب في الجهاد: (أما تعرف)، يقول ابن حجر: وهذا «أبلغ في الزجر من قوله: لا تفعل»[٢]، فوقعت هذه العبارة الاستفهامية تعليلًا لصيغة الزجر، فيرتبط ما بينهما ويتقرر في ذهن المخاطب رضي الله عنه[٣].

٩- عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان، فجئت فقمت إلى جنبه، وجاء رجل آخر فقام أيضًا، حتى كنا رهطًا[٤]، فلما حسّ النبي ﷺ أنَّا خلفه، جعل يتجوز في الصلاة، ثم دخل رحله فصلى صلاة لا يصليها عندنا، قال: قلنا له حين أصبحنا: أفطنت لنا الليلة؟ قال: فقال: نعم، ذاك الذي حملني على الذي صنعت، قال: فأخذ يواصل رسول الله ﷺ وذاك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال النبي ﷺ: ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي، أما والله لو تمادَّ لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم»[٥].

هذا الحديث من النماذج التي تبرز فيها ملامح من الحوار النبوي كعادته في توجيهاته التربوية، وذلك لما فيه من إعمال الفكر، وإيقاظ الهمم، وإثارة الانتباه، وتشويق النفس، فقد كان عليه السلام يختار في دعوته أفضل الأساليب، وأوقعها في نفس الصحابة، وأشدها تثبيتًا للمعاني في أذهانهم، ولم يكن الحوار هنا متعمدًا من الرسول ﷺ، وإنما أملته واقعة معينة[٦]، وهي إلحاح الصحابة على المواصلة في الصوم؛ لحبهم العظيم للنبي ﷺ، والرغبة في التأسّي

---

(١) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ١١٧، ٣٨٥.
(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٥٥.
(٣) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٣٧٤.
(٤) الرَّهْطُ عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة. لسان العرب، مادة: (رهط).
(٥) صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم.
(٦) ينظر: البلاغة في السنة النبوية، عزة جدوع، ٢٠٤، ٢٠٥.

به في كل كبيرة وصغيرة، ولم يعلموا خصوصيته ﷺ في ذلك؛ مما اضطره ﷺ إلى إيضاح ذلك بعبارات لا لبس فيها.

فبدأ خطابه ﷺ بـ (ما) النافية الداخلة على الفعل الماضي[١] في قوله: (ما بال رجال) خطاب فيه لطف في الإنكار والنهي، وكان المقتضى أن يخصّهم بالخطاب، لكنه عدل عن ذلك وقال: (ما بال رجال يواصلون) إلى خطاب للجميع، يقول العيني: « وكانت هذه عادته حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب بمن يستحق حتى لا يحصل له الخجل، ونحوه على رؤوس الأشهاد»[٢].

فالرسول البليغ ﷺ «يشرع لأمته أرقى أنواع الأدب في الخطاب حتى حال الإنكار، فيبهم في أحوال كثيرة المنكر عليه ضمن العموم سترًا وتنبيهًا إلى عدم الاختصاص بالحكم»[٣]، فنجد في كثير من الأحاديث كلمة: (رجال أو أقوام أو قوم)؛ لتدل على أشخاص من غير ذكر أسمائهم سترًا لهم، وهذا يصور سمة الموضوعية في صياغة كلامه وتوجيهه، وتجريده عن الأشخاص، فضلًا عما ينبئ عنه هذا الأسلوب من خلقه العظيم الذي هو قدوة للمعلمين المربين، في حين يرد الحديث خطابًا موجهًا لشخص بعينه في مسألة ما تخصه، وذلك لغرض تربوي لا يتم إلا بمخاطبة الشخص بنفسه، وهو الإبلاغ[٤].

ثم يأتي حسن التعليل الموضح للحكم الفقهي وهو النهي عن الوصال في الصوم، في قوله: (إنكم لستم مثلي)، وهو «أن الوصال من خصائصه ﷺ، وعلى أن غيره ممنوع منه»[٥]، وفي رواية للبخاري، عندما نهي النبي عن الوصال في الصوم، قيل: (إنك يا رسول الله تواصل، فقال رسول اللهﷺ: (أيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني)، فيزيل بالتعليل الحيرة، ويشبع رغبة المتلقي في معرفة الحكمة والأسباب، ويجد لذة لوقوفه على ما لم يكن قد أحاط به ابتداءً، والتعليل سمة أسلوبية في الحديث النبوي الشريف، ولها أهمية خاصة؛ لما يحمله الحديث من أحكام فقهية تدور مع العلة وجودًا وعدمًا، والجهل بالعلة باب لإعمال الوسوسة، فالأمر عندما يذكر غير معلل

---

(١) ويشترط في دخولها على الماضي أن يكون قريبًا من الحال. ينظر: معاني النحو، السامرائي، ١٩٢/٤.
(٢) عمدة القاري، ١٠٦/٢.
(٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ٣٧٦.
(٤) ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ٣٥٣، ٣٨٦، ٣٨٧.
(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٢٠٣/٤.

يحتمل أوجه عدة، مما يستدعي التعليل ويوجبه، لينقل الحكم من الدلالة الظنية المحتملة إلى الدلالة القطعية المرادة[١].

ثم جاء أسلوب التنبيه (أما) الناطق في هذا الموضع بالإنكار والتوبيخ، و«الإنكار التوبيخي يكون عن أمر وقع فعلًا أو يقع حالًا، كأن يكون المخاطب بصدد عمله، ولا يوبخ على أمر سيحدث بالمستقبل إلا إذا كان المخاطب مصممًا عليه بدلالة القرائن»[٢]، مما يستحوذ على ذهن المتلقي، فيتقبَّل المعنى مزيد قبول، ويرسخ فيه مزيد رسوخ.

ثم أقسم ﷺ ليؤكد لأصحابه، وهو لا يقسم ليجتذب قلوبهم لتصديقه ولا لأن قلوبهم منكرة؛ فالصحابة ﷺ يجزمون بصدقه ﷺ في كل أقواله، ولكن لأن المحلوف عليه من الأمور المهمة ذات البال التي ينبغي أن يستشرف لها السامع، ويتلقاها تلقي الاهتمام؛ لما فيها من مدلول ديني خطير في حياة الفرد والجماعة[٣].

ثم عبَّر بأسلوب الشرط « الذي يقوم على إحكام النص ودقته؛ لما يختص به من تعلق المقدمة بالنتيجة، وما يمثله من عناصر الحبك الدلالي »[٤]، في قوله: (لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم)، واختار (تماد)، (واصلت) الذي يوحي بحرصه الشديد وهمته العالية، واختيار لفظ التعمق الدال على « التشدد في الأمر، والمبالغة فيه، طلبًا للحصول إلى أقصى غايته، وأفضل أحواله»[٥]، ليدل على غاية إشفاقه ورفقه بهم، فالنبي ﷺ أراد بهذا النهي الرحمة والتخفيف عنهم ، وبذلك تآزرت الأساليب في الحديث الشريف، بالحوار، والتشويق بالتنبيه، والقسم، والشرط، والصياغة الخاصة للتراكيب؛ لاستجلاب العقول والقلوب، فكان لذلك أثره في تحقيق الغرض المنشود.

١٠- عن عبد الله بن عمرو « أن رسول الله ﷺ ذُكِر له صومي، فدخل عليَّ، فألقيتُ له وسادة من أدم حشوها ليف، فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه، فقال لي: أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟، قلت: يا رسول الله، قال ﷺ: خمسًا، قلت: يا رسول الله، قال: سبعًا، قلت: يا رسول الله، قال: تسعًا، قلت: يا رسول الله،

---

(١) ينظر: البديع في الحديث النبوي الشريف، خالد داود، ٣١٤، ٣١٥.
(٢) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح دراز، ١٨٠.
(٣) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين سيد، ١٠٦.
(٤) البلاغة في السنة النبوية، عزة جدوع، ٥٤.
(٥) منة المنعم في شرح صحيح مسلم، صفي الرحمن المباركفوري، ١٥٩/٢.

قال: أحد عشر، قلت: يا رسول الله، فقال النبي :ﷺلا صوم فوق صوم داود، شطر الدهر، صيام يوم وإفطار يوم»[١].

هذا الحديث يوضِّح لكل مؤمن يريد التدين، ويرشده إلى ما ينفعه، ويحثّه على ما يطيق الدوام عليه في العبادة، فلا يُلزِم نفسه أشياء لا يستطيع السير عليها؛ لأن ذلك يفضي إلى الملل المفضي للترك، ويبيّن لنا هذا الحديث أيضًا ما كان عليه الصحابة من الضيق في غالب أحوالهم في عهدهﷺ: (فألقيت له وسادة من أدم حشوها ليف)؛ إذ لو كان عنده أشرف منها لأكرم بها نبيه، ويبيّن ما كان عليه الرسول من التواضع وترك الاستئثار على جليسه: (فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه)[٢]، وقد استعان الرسول ﷺ بأسلوبه البليغ لتوضيح الفكرة وتأكيدها بالحوار؛ لتبلغ توجيهاته مكامن نفوس المخاطبين وأذهانهم؛ فتغدو في حالة تيقُّظ وانتباه لا ينتهي، فجاء حواره واضحًا ومركزًا، والإجابات مباشرة ومحققة الهدف.

وافتتح حواره مع الصحابي بأسلوب التنبيه والاستفتاح (أما) الداخلة على الفعل المضارع (يكفيك)؛ للفت انتباه المخاطب وتنشيط ذهنه وزيادة وعيه وحثّه على الامتثال.

وجاء التشبيه في مقام الترغيب في قوله: (صوم داود)، فيزيد المخاطب ترغيبًا وتشويقًا، ويبعث في نفسه الهمة إلى تحصيله، فتشبيه النبي الصوم الذي أراده بصوم داود عليه السلام؛ ترغيبًا لعبد الله ليترك التشدد في العبادة، وجاء الترغيب بصيام داود عليه السلام دون غيره؛ وذلك لكونه أعبد الناس، وحذفت أداة التشبيه؛ ليشعر المخاطب بتحقق وصف المشبه به في المشبه مما يزيد في الترغيب، ومما زاد في الترغيب مجيء المشبه به اسمًا (صوم)؛ وذلك لما في الاسم من دلالة الثبوت والدوام، فيشعر المخاطب أن اتباع منهج داود عليه السلام في الصيام يضمن له دوام العبادة وعدم الانقطاع عنها[٣].

وجاءت المقابلة في قوله: (صيام يوم وإفطار يوم) تقابل تام لفظي (مباشر)[٤]، يعمل على مباغته المتلقي وإثارة دهشته، « فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكًا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.
(٢) ينظر: عمدة القارئ، العيني، ٩٤/١١.
(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٦١١- ٦١٣.
(٤) ينظر: بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف، أسماء الخطاب، ٢٣٣.

وإيلاعًا بالانفعال إلى مقتضى الكلام... فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبًا»[١]، وهذا التكرار للتركيب النحوي المتوازن للمعنى المتقابل يمثل وسيلة من وسائل السبك في النص النبوي الشريف، وتسهّل على الذاكرة حفظه واستدعاءه، وكلما روعيت الموازنة وجاءت في كلمات قصيرة متساوية المقادير؛ زادت فعاليتها في تحقيق ذلك[٢].

وهكذا يبدو جليًا حرص الرسول ﷺ على توصيه كل شخص بما يناسب حاله، وما هو إليه أحوج، من ذلك توصية الصحابي عبدالله بن عمرو بما يناسب حاله من الصيام[٣]؛ لكي لا تضعف صحته ويمل من العبادة، فصاغ معانيه وتوجيهاته صياغة بلاغية مختارة من حيث بناء النص على الحوار وأسلوب التنبيه، واختياره لأسلوب التشبيه وصياغته والتراكيب المعبرة الدالة؛ بغية ترسيخ غاياته التربوية والتعليمية في نفوس المتلقين.

١١- عن عبد الله بن عباس قال: « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله؛ هيبة له حتى خرج حاجًا، فخرجت معه، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك؛ لحاجة له، فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين! من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت له: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع؛ هيبة لك، قال: فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فسلني عنه، فإن كنت أعلمه أخبرتك، قال: وقال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، قال: فبينما أنا في أمر أأتمره؛ إذ قالت لي امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، فقلت لها: وما لك أنت ولما هاهنا؟ وما تكلُّفك في أمر أريده؟ فقالت لي: عجبًا لك يا بن الخطاب! ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، قال عمر: فآخذ ردائي ثم أخرج مكاني حتى أدخل على حفصة، فقلت لها: يا بنية! إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنّا لنراجعه، فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية! لا يغرنّك هذه التي قد أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها، ثم خرجت حتى أدخل على أم سلمة؛ لقرابتي منها، فكلّمتها، فقالت لي أم سلمة: عجبًا لك يا بن الخطاب! قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، قال: فأخذتني أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجد... فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما

---

(١) منهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ٤٤، ٤٥.

(٢) ينظر: البديع في الحديث النبوي الشريف، خالد داود، ٢١٤، ٢١٥.

(٣) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٣٨.

بلغت حديث أم سلمة تبسَّم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظًا مضبورًا[١]، وعند رأسه أهبا معلقة[٢]، فرأيت أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ، فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله! إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة؟ وفي رواية أن الرسول ﷺ قال له: (يا بن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى...»[٣].

وقد جاء التحضيض على الرضا بأسلوب (أما)[٤] لحث المخاطب على علو الهمة، وسمو المطلب، والاستخفاف بملاهي الدنيا وزخارفها، ومتاعها الفاني، وترغيبه على اختيار الآخرة على الدنيا، وهذا حض عظيم.

وأسهمت المقابلة التامة اللفظية في قوله: (لهم الدنيا ولك الآخرة) في تقوية الرغبة بالرضا؛ وذلك لقدرتها على إيضاح المعنى مباشرة بالقيمة المعجمية لألفاظها، بحيث تستدعي المفردة ضديدتها فيها بلا عناء من المتلقي، وبهذا تصبح حركة المعنى قادرة على الإثارة وشيكة بلا إبطاء[٥] ، وكان لأسلوبه ﷺ غاية التأثير على عمر، فقد أعلن الرضا في رواية أخرى للبخاري بقوله: (بلى يا رسول الله، قال ﷺ: فإنه كذلك).

١٢- عن أبي مسعود الأنصاري قال: «كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: اعلم أبا مسعود! لله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! هو حر لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار»[٦].

يظهر في الحديث الشريف أسلوب الحوار الهادئ الهادف، ابتدأه ﷺ بمناداة الصحابي بكنيته (اعلم أبا مسعود)؛ دلالة على تعاطف الرسول في تنبيه المخطئ على خطئه، وكان ﷺ شديد الحرص على تحقيق المقاصد من خلال نداءاته، كأن يمهِّد للطلب أو الأمر الذي يعد مقصده من الخطاب، ولا يخفى أن القصد الأول من النداء هو التنبيه، فناداه بكنيته المحببة له، ثم ذكره بضعفه أمام الله، وصوره له بطريقة الموازنة (لله أقدر عليك منك عليه).

---

(١) القَرَظُ : شجر يُدْبَغُ به ، وقيل : هو ورَقُ السِّلَم يُدْبَغُ به الأَدَمُ، ينظر: لسان العرب، مادة(قرظ).
(٢) الإهاب : الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ، ينظر: لسان العرب، مادة(أهب).
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء.
(٤) ينظر: رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف العليوي، ٣٨٠.
(٥) ينظر: بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف، أسماء السعود، ٢٣٤، ٢٢٥.
(٦) صحيح مسلم، كتاب: الأيمان، باب: المماليك، وكفارة من لطم عبده.

ومن الملاحظ في الحوارات النبوية تبادل النداءات بين الرسول ومخاطبيه، دلالة على التضامن والقرب والحميمية في التواصل[١]، كما في قول ابن مسعود: (يا رسول الله)، هي شيء كمن هذا، وإشارة إلى تصديقه وإيمانه به، دلت عليه تعريفه بالإضافة إلى الله بوصف الرسول.

إن الرسول ﷺ يراعي الناحية النفسية للمخاطب، لذلك جاءت جملته بصيغة الإخبار؛ لأنها أوقع في نفس المخاطب مما لو جاءت في صيغة أمر، فامتثال الصحابي لتلميح الرسول ﷺ في قوله: (هو حر لوجه الله) فيه دلالة على مسارعة وحرص الصحابي الشديد على فعل ما يحبه ﷺ، فإذا كان المخاطب يستجيب للتلميح بدون أمر، فكيف يكون شأنه لو جاءه التوجيه بأسلوب الأمر؟!

مهَّد أسلوب التنبيه (أما) المتضمن معنى التحذير والترهيب، لأسلوب الشرط (لو)؛ ليبين العاقبة المترتبة على ما ارتكبه الصحابي من ضرب المملوك، وجاء فعل الشرط فيه مضارعًا منفيًا (تفعل) بحرف النفي والقلب (لم)، التي تحول زمن الفعل المضارع إلى الماضي[٢]، واقترن جواب الشرط باللام (للفحتك النار أو لمستك النار) للتأكيد.

لقد جاء النداء، وأسلوب التنبيه، وأسلوب الشرط معبرًا عن المعنى الذي أراده الرسول ﷺ، ليكون ذلك أدعى لاستجابة الصحابي لأمره بالمسارعة والمبادرة بإزالة إثم ظلمه حتى لا يصيبه العذاب والهلاك.

١٣- عن علقمة بن وائل أن أباه حدَّثه قال: « إني لقاعد مع النبي ﷺ إذ جاء رجل يقود آخر بنسعة[٣]، فقال: يا رسول الله، هذا قتل أخي، فقال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ فقال: إنه لو لم يعترف أقمت عليه البينة، قال: نعم قتلته، قال: كيف قتلته؟ قال: كنت أنا وهو نختبط من شجرة، فسبّني فأغضبني، فضربته بالفأس على قرنه فقتلته، فقال له النبي ﷺ: هل لك من شيء تؤديه عن نفسك؟ قال: ما لي مال إلا كسائي وفأسي، قال: فترى قومك يشترونك؟ قال: أنا أهون على قومي من ذاك، فرمى إليه بنسعته وقال: دونك صاحبك، فانطلق به الرجل، فلما ولى قال الرسول ﷺ: إن قتله فهو مثله، فرجع فقال: يا رسول الله! إنه بلغني أنك قلت: إن قتله فهو مثله وأخذته بأمرك،

---

(١) ينظر أسلوب النداء في الحديث الشريف، ضحى حيدر، ٢٦٦، ٢٧١- ٢٧٣.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ٢٦٧/١.

(٣) النسع: سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال، والجمع أنساع ونسوع ونسع، والقطعة منه نسعة، وقيل: النسعة التي تنسج عريضًا للتصدير. ينظر: لسان العرب، مادة: (نسع).

فقال رسول الله ﷺ: أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك، قال: يا نبي الله، (لعله قال): بلى، قال: فإن ذاك كذاك، قال: فرمى بنسعته وخلى سبيله»[١].

حديث مبنيٌّ على الحوار بين الرسول ﷺ وصاحب الدم أولًا، ثم بين الرسول ﷺ والقاتل، ثم عاود الحوار أدراجه بين الرسول ﷺ وصاحب الدم ، وقد أدى الحوار دوره هنا في وضوح الفكرة، وسلامتها، والتخلص من العوائق التي تحول دون الوصول للحقيقة[٢]، لا سيما أنه جاء بأسلوب الاستفهام ، فأدى الاستفهام دورًا جليًا في النص لتكرره، وقد كان ﷺ يعتمد عليه في حواراته، فقلما نجد حوارًا يبدأ بغيره؛ لما فيه من تحفيز واستمالة[٣]، (أقتلته؟ كيف قتلته؟ هل لك من شيء؟ فترى قومك يشترونك؟ أما تريد أن يبوء بإثمك؟) إشارة قوية إلى العناية البالغة بالأمر، ومزيد حرصه ﷺ على الاستبانة، فالمقام مقام إصدار حكم شرعي، يحتاج إلى تأنٍ في الحكم.

ودلت الجملة الشرطية المبتدأة بأداة الشرط (إن) في قوله: (إن قتله فهو مثله) على تساويهما في إطاعة الغضب ومتابعة الهوى، وإن اختلفا في الحكم، فالأول معتد، والثاني مقتص.

ثم حثَّه ﷺ على العفو من خلال أسلوب التنبيه (أما)، فقال: (أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك)؛ تنبيهًا واستثارةً لنفسه للتأمُّل والتفكُّر، وقد ساعد تكرار كلمة (الإثم) في قوله: (إثمك وإثم صاحبك)[٤]على حثّه ترك الثأر، فأكَّد ﷺ أن القاتل يرجع بإثم المقتول؛ لسفكه دمه، وإثم أخي المقتول؛ لكون فجعه في أخيه؛ ليؤثر في نفسه فيتركه ويعفو.

تدرَّج البيان النبوي في الحوار من الأقل (الانتقام) إلى الأعلى (العفو والصفح) في قوله: (لعله قال: بلى) بين حرقة قلب صاحب الدم بسبب سفك دم أخيه، ولما قال ﷺ: (فإن ذاك كذاك). حسم الصراع في نفسه فعفا عنه وخلّى سبيله، والحديث كله يفيض بالوسائل البلاغية التي تضافرت مع التنبيه في تحقيق غاية التأثير والإقناع بالعفو وهو الهدف الإنساني الأسمى.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: القسامة، باب: صحة الإقرار بالقتل.

(٢) ينظر: الحديث النبوي وعلم النفس، ١٥٢.

(٣) ينظر: أسلوب الحوار في صحيح مسلم، محمود السيد أبو شلبي، ٣٤٥.

(٤) يحتمل أن معناه يكون عفوك عنه سببًا لسقوط إثمك وإثم أخيك المقتول، والمراد إثمهما السابق بمعاص لهما متقدمة لا تعلق لها بهذا القاتل، فيكون معنى يبوء: يسقط، وأطلق عليه هذا اللفظ مجازًا. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٨٩/٦، ١٩٠.

١٤- قصة ماعز بن مالك « عن جابر بن سمرة، قال: رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ﷺ، رجل قصير أعضل، ليس عليه رداء، فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى، فقال رسول اللهﷺ: فلعلَّك؟ قال: لا والله! إنه قد زنى الأَخِرُ، قال: فرجمه، ثم خطب فقال: ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله، خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس[١]، يمنح أحدهم الكثبة[٢]، أما والله، إن يمكِّني من أحدهم لأنكلنّه عنه»[٣].

يلاحظ في الحديث السابق تنوّع استخدام أسلوبي (ألا) و(أما) في السياق الواحد؛ لسوء هذه الفاحشة وشناعتها، فمهَّد ﷺ بأسلوب (ألا) في قوله: (ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله) وما فيها من معنى التقريع والتوبيخ الشديد لمن همَّت به نفسه أن يباشر مثل هذه الفاحشة، ثم تدرج وترقى في تصعيد المعنى من الأدنى إلى الأعلى، فأتى بالتشبيه في قوله: (له نبيب كنبيب التيس) حيث شبّه صوته حين وقوع الجريمة بصوت التيس عند السفاد، والتصوير في غاية التنفير؛ تقبحًا لفعله، وتبشيعًا لمنظره؛ لينزجر عنه، ولم يكتفِ بذلك، بل عاد ليؤكِّد حقارة هذا الفعل من خلال الكناية في قوله: (يمنح أحدهم الكثبة)، كناية عن المني الذي يقع عند المباشرة، والمعنى أنه يزني بالمرأة فيعطيها لبنه ويعطيها ماءه[٤].

وظَّف النبي ﷺ الكناية لتقول كل شيء من غير أن يجرح شعورًا أو يخدش إحساسًا، وعدل إليها؛ تنزُّهًا عن التفوُّه بما يفحش ذكره صريحًا ما وجد إلى الكناية سبيلًا، إلا في صورة تدعو إلى التصريح على ما ذكر في حديث ماعز بن مالك لتعلق الحد بذلك[٥].

---

(١) نبيب التيس: صوته عند الهياج. لسان العرب، مادة (كرد).
(٢) الكُثْبة: من الماءِ واللَّبن: القَلِيلُ منه، لسان العرب، مادة (كثب).
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنا.
(٤) ينظر: شرح صحيح مسلم، حسن أبو الأشبال، ١٣/٦٢.
(٥) ينظر: دراسات في البيان النبوي، محمد رفعت زنجير، ٣٥٨.

ثم يؤكِّد التهديد والوعيد لمن يقع في هذه الفاحشة بأسلوب التنبيه (أما) والقسم في قوله: (أما والله، إن يمكِّنِّي من أحدهم لأنكلنّه عنه)؛ لتنبيه السامع إلى ما يترتَّب على فعل هذه الفاحشة من ضرب وإيذاء وتقريع من النبي ﷺ حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، وجاء هذا المعنى في سياق أسلوب الشرط: (إن يمكِّنِّي من أحدهم لأنكلنّه)، ليبرز عقوبة هذه الفاحشة ويؤكِّد تحقق وقوعها منهﷺ، فهل بعد هذا التهديد المنفر يجرؤ أحد على اقتراف مثل هذا الفعل!

١٥- «عن أسماء بنت أبي بكر، قال رسول الله ﷺ: إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ أناس دوني، فأقول: يا رب! مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله، ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم»[١].

تعتمد بلاغة هذا البيان النبوي على حمل المتلقين على تصوُّر مشهد من مشاهد يوم القيامة كأنهم يرونه حقيقة واقعة، تأمَّل قوله: (إني على الحوض) استعارة بحرف الجر(على)[٢]، حيث أعطى معناه، فالرسول لم يكن واقفًا في الحوض، ولكن لما كان متمكنًا وقائمًا على حوضه، وبيده عصا، يدعو من عرف من أمته إليه، أستعير الحرف (على) الدال على الاستعلاء والبيان والظهور.

واستخدم لفظة (أنظر) في قوله: (حتى أنظر من يرد علي منكم) وما تشي به من شدة شغفه بنجاة أمته، كأنه يستشرف وينظر من بعيد إلى أن يصلوا، ولا ينتظر حتى قدومهم إليه، ولم يقل: (من يرد على الحوض منكم)، بل قال: (من يرد عليَّ منكم) وتشريفًا للمؤمنين أي: أنهم يردون على الرسول ﷺ والحوض معًا.

وتأمل كيف اختار التعبير النبوي كلمة (يرد) دون كلمة (يأتي) أو(يجيء)؟ ذلك لما في كلمة الورود من خصوصية في المعنى، يقال: وردت الماء أرده إذا حضرته لتشرب، والوِرد: الماء الذي ترد عليه، فالورود بالإجماع ليس دخولًا، فإذا قلت: ورد ماء كذا إذا أشرف عليه، دخله أو لم يدخله[٣]، وهكذا نجد دقة التعبير النبوي في اختيار

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.
(٢) هذا الحرف من معانيه: الاستعلاء الحسي أو المعنوي. ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ٤٧٦.
(٣) لسان العرب، مادة: (ورد).

كلمة (ورود) المناسبة للسياق، فقد ذكر عليه الصلاة والسلام أن قومًا يردون فيطردون عن الحوض فلا يشربون منه، فهناك ورود مفضٍ إلى الشرب الموصل إليه فعلًا، وهناك ورود مع الطرد مع القرب منه.

وجاء أسلوب النداء بحرف النداء البعيد (يا) في: (يا رب)؛ للدلالة على أن المنادى عظيم الشأن، رفيع المنزلة عند رسول الله ﷺ، ثم هنا حوار يعرف منه النبي ﷺ تبديل المطرودين من الحوض بعده (فأقول: يا رب!... فيقال...)، ثم مجي الفعل (فيقال) بصيغة الفعل المبني للمفعول؛ للمسارعة في بيان سوء صنيعهم.

ويتنوع الأسلوب في الحديث، فهو يبدأ بضمير المتكلم، ثم المخاطب، ثم الغائب، ويؤيد ما سبق ظهور التوكيد في الحديث الشريف المتمثل في: اسمية الجملة واستخدام إن التوكيدية في: (إني على الحوض)، واستخدام ﷺ أسلوب التنبيه (أما) تعظيمًا وإنكارًا وتشنيعًا لأمر الردة عن دين الله، مستعينًا في سبيل توضيح ذلك بالفعل الماضي: (شعرت) الذي جعل الأمر محققًا، والتعبير بالفعل المضارع: (يرجعون)؛ للدلالة على تكرار واستمرار الردة عن الدين حتى يومنا هذا، وفي قوله: (على أعقابهم) الرجوع على العقب كناية عن مخالفة الأمر والردة والرجوع عن الإسلام[١]، كل هذه الأدوات تحمل المتلقي على ضرورة الاعتناء بما جاء في الحديث الشريف من خطورة الردة والتبديل في الدين الحنيف.

١٦- ومن ذلك قوله لعلي بن أبي طالب ﷺ لما خلفه الرسول ﷺ في غزوة تبوك « فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي؟ وفي رواية: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا، فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ، أما ترضى أن تكون مني

---

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٤٧٦/١١.

بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينَّ الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال ادعوا لي عليًا، فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[١] دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي»[٢].

فسلب النبوة ليوجب بقية المنازل التي كانت لهارون من موسى ﷺ، و« من هذا الباب ما يقع في التشبيه والإخبار وغيرهما، بحيث يكون للمشبه أو المخبر عنه صفات، فينفي بعضها ليثبت بعضها، وينفي واحدة ليوجب أختها، أو يسلبها ويوجب غيرها»[٣].

وهل يمكن للمخاطب التفريط بهذا الأجر العظيم، بعد هذا التحضيض من الرسول ﷺ؟ ولا شك أن أداة التنبيه (أما) قد حقّقت غايتها في استثارة المخاطب وحرّكت كوامن شوقه إلى معرفة ما يليها، فكان الإصغاء أشد، والتيقُّظ أقوى؛ للترغيب في نيل هذه المنزلة العظيمة بعد مراجعة النفس.

١٧- ومن ذلك حديث فاطمة -رضي الله عنها- لما أسر النبي ﷺ إليها قرب وفاته، فلما رأى حزنها وبكاءها بشرها وسارها الثانية وقال: « يا فاطمة، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟ وفي رواية: قال ﷺ: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟»[٤].

وفي هذا الحديث إفراد للسيدة فاطمة، لتكون الوحيدة التي اختارها الرسول ﷺ ليخبرها بقرب أجله، وقبل ذلك إجلاسها بجواره، وإخبارها بأسراره وأخباره ﷺ [٥]، فخاطبها مبتدئًا بنداء اسمها (يا فاطمة)؛ لغرض التأنيس والتسلية للمنادى (فاطمة) التي اشتد حزنها وخوفها أيام مرضه[٦]، فهذا النداء يفيض لطفًا ومحبة ورقة، يشعر المنادى بحب

---

(١) سورة آل عمران:٦١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي.
(٣) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين السيد، ٣١٢، ٣١٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة.
(٥) ينظر: تحليل الخطاب النبوي للمرأة، محمود قدوم، ١١٨.
(٦) ينظر: رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف العليوي، ٤١٧.

المنادي له وعطفه عليه ويشعره باهتمام المتكلم له، والتأنيس والملاطفة يسكن نفس المخاطب وخاصة في مقام المواساة، وفيه لون من التنبيه إلى أهمية ما سيلقى حتى تستعد النفس له، وإن الرسول حريص على التقرُّب من سامعه، وطمأنته في مثل هذه المواضع[١].

ثم أخبرها بما يسلِّيها ويخفِّف حزنها على قرب وفاته، على سبيل التحضيض على الرضا بأسلوب التنبيه (أما) (أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين...)، فهو هنا لا يريد جوابًا، إنما يريد بأن يخبرها بأنها سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة ويرى رغبتها في ذلك.

خشي النبي ﷺ على فاطمة من الجزع بموت أبيها ﷺ، فترقى بها من المحزن إلى المفرح في موقف واحد؛ مراعاة لطبيعة الأنثى العاطفية التي عرف ﷺ كيف يتعامل معها[٢].

يظهر من هذا الحديث حرص الوالد ﷺ على معالجة حزن ابنته ومراعاة عاطفتها، وذلك من خلال استعمال النداء المغلف بالتحبيب والتلطف، وأسلوب التنبيه المغلف بالتحضيض، مما يهيئها لتلقي الإخبار فتقع بردًا وسلامًا على نفسها، وتقديم البشارة لها بأنها سيدة نساء المؤمنين، كما أن عملية المسارة نفسها تشي بالحب والقرب، وهذا كله حقق تأثيرًا عاليًا في نفسها رضي الله عنها.

١٨- عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾[٣] »[٤].

قصة سريعة تقوم على حوار مؤكد بـ(إن) واسمية الجملة، دار الحوار بين الرحم والله ﷻ، فصور[٥] الرحم كأنها إنسان يتكلم، ويطلب ويستجاب لطلبه، فهي تستعيذ بالله من القطيعة: (هذا مقام العائذ من القطيعة)، فيعد

---

(١) ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ضحى حيدر علي، ٢١٨، ٢١٩.
(٢) ينظر: رعاية حال المخاطب في الصحيحين، يوسف العليوي، ١٠٩.
(٣) سورة محمد:٢٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم.
(٥) وهذا ما أشار إليه الصباغ. ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، الصباغ، ٤٣٠. والأصل أن مذهب أهل السنة والجماعة منع المجاز في الغيبيات. ينظر: المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، عبد العظيم مطعني، ٦٦٢.

سبحانه من يصلها بالوصل ومن يقطعها بالقطع، فأتى الحوار في هذا القصص النبوي لتصعيد الحدث، ورسم الشخصية بكل حيوية ووضوح، ليصل به إلى تأكيد فضل صلة الرحم.

ولعظم الرحم، جاء البيان النبوي بأسلوب التنبيه (أما)؛ ليحذر المخاطبين من قطعها، ويخوّفهم من عاقبتها: (أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك)، فما أعظمها من عقوبة شديدة استحقها قاطع الرحم! فهو منقطع عن رحمة الله ، واستخدم التعبير النبوي الشريف لفظة قاطع؛ لما توحي به من قساوة قاطع الرحم، وغلظه قلبه ، وأسهمت المقابلة بين: (أصل من وصلك وأقطع من قطعك) في إبراز نموذجين متضادين من المسلمين: نموذج يرفعه الله، والآخر يهوي به الله ، ومثل هذا التعبير بالصورة البيانية والحوار وأسلوب التنبيه والمقابلة يثير المشاعر، ويحرِّك الأحاسيس، ويدفع النفس لاستشعار خطر قطيعة الرحم، فتخاف وتحذر.

١٩- عن أبي هريرة قال: قال الرسول ﷺ: « إن الله ﷻ يقول، يوم القيامة: يا بن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العامين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا بن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[(١)].

في هذا الحديث استهلالٌ بلفظ الجلالة، وهذا الابتداء فيه تنبيه للمخاطب وتشويق له؛ إذ يتطلع عند سماع لفظ الجلالة إلى معرفة الخبر الذي سيخبر به عنه، ولذا عند مجيئه يقر في القلب[(٢)] ، أراد ﷺ أن يدعو إلى عيادة المريض، وإطعام الجائع، وسقاية الظمآن، فلم يستخدم أسلوب الأمر، بل أبرز هذه المطالب النبيلة في صورة رائعة؛ بدأها بهذا النداء: (يا بن آدم)؛ تكريمًا له ناداه باسمه يا بن آدم، ثم عاتب ، والعتاب لا يكون إلا للحبيب: (مرضت فلم تعدني، استطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل عيادة المريض.

(٢) ينظر: التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، ١٠٠، ١٠١.

وآثر الرسول ﷺ التعبير بهذه الصور؛ فجعل العيادة للمريض عيادة لله، وإطعام الجائع إطعامًا لله، وسقي الظمآن سقيًا لله؛ ليدفع المخاطبين ويرغّبهم إلى فعل هذه الطاعات بحماسة، واندفاع، وطيب خاطر[١].

وتخصيص العيادة بقوله: (لوجدتني عنده) فيه إيماء أن الله تعالى أقرب إلى المنكسر المسكين، وإشارة إلى أن العيادة أكثر ثوابًا من الإطعام والإسقاء الآتيين[٢]، وخصَّ المريض بكلمة (عاد) دون (زار)؛ لما تثيره كلمة (عاد) (عاد) في الحس من مشاعر المسرة والتفاؤل، لما يشع منها معنى العودة والرجوع، أما كلمة (زار) فمعناها القصد، أي: أنك تقصد شيئًا ما، بمعنى تزوره وتتحول إليه بزورك، ومنها زيارة الأخ، والأمراء، والبيت...إلخ، فكلمة (زار) عامة تشمل أنواع مختلفة من الزيارات، بينما كلمة (عاد) فليس لها إلا نوع خاص من الزيارة وهو عيادة المريض[٣].

واعتمد البيان النبوي على الحوار الذي زاد من الحيوية والتشويق وأعطى الحديث قوة في التأثير ، ولكي تقر هذه المعاني بالوجدان شوّق ﷺ إليها بأسلوب التنبيه (أما)؛ ليحض وينبِّه المسلمين إلى جلال وعظمة عيادة المريض، وإطعام الجائع، وري الظمآن، وما فيها من أجر وثواب، فقد يغفل المسلمون عنها، ويستهينون بها، وكرر عليه الصلاة والسلام أداة التنبيه (أما) في هذا البيان النبوي خمس مرات (أما علمت...أما علمت... أما علمت...أما علمت... أما إنك)؛ ليدرك السامع عظم شأنها عند الله، ويندفع إلى المحافظة عليها بنفس رضية.

والملاحظ أن الحديث قائم كله على أسلوب الشرط: (إنك لو عدته... إنك لو أطعمته... إنك لو سقيته...)، فجاء الجواب: (لوجدتني عنده... لوجدت ذلك عندي... وجدت ذلك عندي...).

ولعل ذلك لتقريب الفهم، وسبك الجمل، وجعل الحديث كلًا متماسكًا، يعلق في ذهن السامع، وتتجه إليها همته، ويعزم عليها قلبه، وواضح كل الوضوح أن النبي ﷺ أطنب في الحديث، وكان يكفيه أن يقول: (مرضت ولم تزرني، واستطعمتك ولم تطعمني، واستسقيتك ولم تسقني، أما لو فعلت ذلك...)؛ ليقرر في أذهان الصحابة عظم أجر هذه الطاعات عند الله[٤].

---

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، الصباغ، ١٠٥- ١٠٧.

(٢) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن المباركفوري، ٢١٧/٥.

(٣) ينظر: البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب الشاويش، ٣٣٩- ٣٤٢.

(٤) الإطناب: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. فهذا حدة الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة. ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٢٨٠/٢.

فهل يجد السامع دعوة إلى الآداب الإنسانية سيقت له أجمل من هذا المساق؟! ومن الذي يقول له ربه: استزرتك؟ واستطعمتك؟ واستسقيتك؟ ثم لا يخفض رأسه خجلًا إن لم يذعن لأمر ربه[١]، إن العبد إذا أدرك ذلك كله جادت به نفسه بالبذل والعطاء.

٢٠- عن أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم يتيمة وهي أم أنس، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: آنت هيه؟، لقد كبرت لا كبر سنك، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟ قالت الجارية: دعا علي نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني، فالآن لا يكبر سني أبدًا، أو قالت قرني، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها، حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي الله، أدعوت على يتيمتي، قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أم سليم، أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي، فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهورًا وزكاة وقربة يقرّبه بها منه يوم القيامة»[٢].

جاء الحديث على شكل حوار ابتدأه النبي ﷺ بدعائه على يتيمة أم سليم، فذهبت للنبي ﷺ لتسأله عن ذلك، فصدر ردّه بالنداء (يا أم سليم) وما يتبعه من استفهام لغرض الإنكار، ولتحقيق هذا الغرض استعمل في نداءه الأداة (يا)؛ لأنها تسمح بمد الصوت، مما يسهم في إبراز الإنكار صوتيًا، وفي ذلك توافق مع معنى الأداة والغرض[٣].

وتعاضد مع النداء النبوي أسلوب التنبيه (أما) في تحقيق وصول المعنى المقصود بوضح تام إلى أعماق النفس؛ لما لهذا الأسلوب من قدرة عالية على تنبيه النفس وإثارة الذهن، واستمالة المخاطب للنظر والتدبُّر فيما يتلقاه من السياق، وذلك في قوله: (أما تعلمين شرطي على ربي) صيغة مصحوبة بإنكار، تُشعِر بالتلطُّف في مخاطبته ﷺ النساء، فهن أرق طبعًا وأرهف شعورًا، فالخطاب عنده يلين ويشتد وفقًا لطبيعة المخاطب، وخصوصية المسألة، وهي انزعاجها ويتيمتها من دعاء النبي مع أنه لا ضرر فيه، ثم وضّح لها ما بينه وبين ربه من شرط وهو ما طلبه

---

(١) ينظر: البيان النبوي، رجب بيومي، ١٩٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه.
(٣) ينظر: أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ٢٠٧، ٢٠٨.

من ربه أو ما دعا به ربه فأجاب دعائه، وهو أن يكون ما يصدر منه من هذا رحمة وزكاة وقربة من الله يوم القيامة، إذا صدر في حق من ليس أهلًا للدعاء عليه.

ثم جاء أسلوب قصر بـ(إنما) في قوله: (إنما أنا بشر)، وهو الأسلوب المقتضي للسياق، ويعد القصر ضربًا من الإيجاز، والتأكيد؛ فجملة القصر بمثابة جملتين الأولى مثبتة والثانية منفية، والغرض منه تمكين الكلام وتقريره في الذهن، كما هو سبيل التأكيد[١]، واستخدم التشبيه في: (أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر)، ووجه الشبه مطلق الرضا والغضب، للتعبير عما يجيش في نفسه في طرافة بليغة، ونقل الفكرة بوضوح؛ لترسخ في الأذهان وتزداد فهمًا وإيضاحًا.

يظهر من الحديث رحمته ﷺ بمن دعا عليه من المسلمين من خلال إنكاره على أم سليم انزعاجها من دعائه على يتيمتها، فصدر خطابه بالنداء وأسلوب التنبيه، وتدرج من المجمل إلى المفصّل؛ إثارة للأذهان والتشويق، أجمله أولًا بأسلوب القصر (إنما أنا بشر)، ثم جاء التفصيل بطريقة التشبيه (أرضى كما يرضى البشر).

٢١- عن أبي هريرة أنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: أما لو قلت: حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك»[٢].

يوجه عليه الصلاة والسلام أصحابه في هذا الحديث الشريف ويعلمهم ما ينفعهم من أذكار تحصنهم في يومهم وليلتهم، فورد الحديث بأسلوب الحوار بينه ﷺ وبين رجل لدغته عقرب، فنبه عليه الصلاة والسلام الصحابي إلى قيمة الاستعاذة بالله وبكلماته، التي تحفظه من كل ضرر، فأتى بالأداة "أما" للتنبيه على ما يذكر بعدها لتقريره ولتوكيده، ليلتفت الصحابي إلى هذا الأمر العظيم وهو الاستعاذة بالله ولا يستهين بأثرها، وهو معنى هام يستوجب التوكيد والتوثيق[٣]، ثم أعقبها بـ(لو) الشرطية، وقد أتى الشرط في البيان النبوي كثيراً، فالجملة الشرطية تكاد توازي الجملة الفعلية أو الاسمية في حجمها، لأن الحديث الشريف في الأصل تشريع للناس، وعمل المسلم في جميع أحواله مرتبط بجزاء، سواء كان ثواباً أو عقاباً، فجاء الحديث موضحاً لهذا الجزاء[٤].

---

(١) ينظر: البلاغة العالية في علم المعاني، الصعيدي، ٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في التعوذ من سوء القضاء.

(٣) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، ١٢٤ - ١٢٥.

(٤) ينظر: بناء الجملة في الحديث، خليل أبو عودة، ٦٥٩-٦٦٠.

بعد هذا التطواف في رحاب الأحاديث الخاصة بأسلوب التنبيه بـ(أما) خلص هذا الفصل إلى نتائج، على النحو الآتي:

١- يمثل أسلوب التوكيد مع أسلوب التنبيه بـ(أما) غرة أسلوبية تنبه الأذهان، وتدعوها إلى ضرورة إنعام النظر فيها للكشف عن دلالتها، وتأكيدها، مثل قوله ﷺ: (أما إنه من أهل النار)، (أمَا إنَّك لو أَخذتَ الخمرَ لغوت أمتك)، (أما إنهما ليعذّبان).

٢- من السمات الأسلوبية الأكثر حضوراً مع أسلوب التنبيه بـ(أما) في الحديث النبوي ، أسلوب الاستفهام؛ فإنه يثير الاهتمام عند المتلقي، ويحفزه للتفكير، وكلما كان السؤال عميقاً، وملامساً لحاجات المتلقين، كان أكثر تحريكاً لدواخلهم، مثل قوله ﷺ:(أبكرًا أم ثيبًا؟...أما إنك قادم)، وقوله ﷺ:(...أتخذت أنماطًا؟ قلت: وأنى لنا أنماط! قال: أما إنها ستكون)، وقوله ﷺ:(آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟... أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم).

٣- مثَّل الحوار عنصراً تكوينياً أساسياً في أحاديثه ﷺ مع أسلوب التنبيه بـ(أما)؛ فهو من أكثر الوسائل الملائمة لحال المخاطب، والأقدر على تحريكه وامتلاكه، مثل قوله ﷺ:(آلله! ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم)، وقوله ﷺ:(ألك بينة؟ قال: لا، قال فلك يمينه، قال: يا رسول الله! إن الرجل ...فقال...أما لئن حلف على ماله...)، وقوله ﷺ:(أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟"، قلت: يا رسول الله، قال ﷺ: "خمسًا).

٤-كان النبي ﷺ يحرص على استثمار المواقف والأحداث اليومية، في توجيه الصحابة وتعليمهم، من ذلك: (كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ؛ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال:) أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر)، (كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: اعلم أبا مسعود! لله أقدر عليك منك عليه... أما لو لم تفعل، للفحتك النار...)، (رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ﷺ ...فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى...قال: فرجمه، ثم خطب...أما والله، إن يمكِّني...»، كان يمكن أن تذهب هذه المواقف بدون تعليق من النبيﷺ لكن من حكمته أفاد منها أي إفادة! فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة مع عرضها في صورة مجردة جافة.

٥- تكرار أسلوب التنبيه بـ(أما) في السياق الواحد؛ لتزداد فاعليتها في إثارة المتلقي، ويشعره بأهمية الكلام، ويغريه بالاستماع له، وذلك في المقامات التي تستدعي التكرار وتفرضه فرضاً، مثل قوله ﷺ:(أما لكم فيّ أسوة؟ ثم

قال: أما إنه ليس في النوم تفريط)، وقوله ﷺ:(أما إنه يوشك أن لا تثمر... أما إن ماءها يوشك أن يذهب... أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه)، وقولهﷺ:(أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة... أما ترضون ...).

٦- يعد الشرط وسيلة مهمة اقترنت مع أسلوب التنبيه بـ(أما) وكان له دور كبير في الإقناع وربط بين العمل والجزاء، وتتحقق الوحدة العضوية على امتداده في الحديث، لتكون كلا واحدا لا يتجزأ، كما في قوله ﷺ:(أمَا إنَّك لو أَخذتَ الخمرَ لغوت أمتك)، وقوله ﷺ:(أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس)، وقوله ﷺ:(أما وأبيك لتنبأنه، أن تصدّق وأنت صحيح شحيح...ولا تمهل حتى إذا بلغت...).

٧- كان القسم من أكثر الأساليب وروداً مع أسلوب التنبيه بـ(أما)؛ فإنه إذا بدئ به الكلام فإن درجة الاستعداد عند المتلقي ترتفع، وأهمية الموضوع عنده تعلو، وهو نوعان قسم ظاهر: (أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له)، (أما والله! لله أشد فرحًا بتوبة عبده)، وقسم مضمر:(أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلمًا ليلقين الله وهو عنه معرض)، (أما وأبيك لتنبأنه).

٨- يعد القصر: (أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على ...)،(ليس لك منه إلا ذلك... أما لئن حلف على ماله...)، (أما ترضون أن تكونوا ...ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود).

٩- تقدم النداء على أسلوب التنبيه بـ(أما)؛ تمهيداً له، وليثير انتباه السامع، فيحضر سمعه وقلبه لتلقي الكلام، مثل قوله ﷺ:(يا عمر! أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه)،(اعلم أبا مسعود! ...أما لو لم تفعل..)، وقوله ﷺ:(يا رب! مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟)، وقوله ﷺ:(يا فاطمة، أما ترضي أن تكوني سيدة نساء).

١٠- تتآزر العديد من الأساليب البلاغية مع أسلوب التنبيه (أما)؛ لتحقيق أعلى درجات السبك والتوازن في الحديث الواحد، مثل قوله ﷺ : (أما لكم فيّ أسوة؟ ثم قال: أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يُصَلّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها)؛ فساهمت هذه الأساليب جميعاً في إثراء المعنى، وخلق التأثير المطلوب.

١١- ساهم أسلوب الإجمال ثم التفصيل مع أسلوب التنبيه (أما)؛ ليثير النفس منذ بداية الكلام، فتظل معلقة به، ومتشوقة لتمامه وإزالة إبهامه، مما يؤدي لربط أجزاء الكلام بعضها ببعض، وليتصل أول الكلام بآخره، فيصل

إلى أعلى درجة من السبك والربط في النص، لحفظه وسهولة تداوله، مثل قوله ﷺ: (أما إنهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله...)

١٢–لم يرد الخطاب بأسلوب التنبيه بـ(أما) لغير المسلمين إلا في موضع واحد، وهو خطاب عمه الكافر عند احتضاره في قوله ﷺ:(أما والله لأستغفرن لك...).

١٣– تعاضد التوازن الصرفي والنحوي مع أسلوب التنبيه(أما)؛ ليزيد الإيقاع انتظاماً، ويربط النص، ويسهل حفظه، مثل قوله ﷺ:(أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، أما إني لم أقلها...).

١٤– اعتماد الرسول ﷺ على القصة أو الخطبة مع أسلوب التنبيه (أما) في إلقاء الحديث الشريف؛ لما فيها من التأثير ما لا يستطيع المستمع دفعه، وهما وسيلة تنظيم لبنية الحديث، وربط أجزاءه، فتحقق له الاستمرارية، والانتشار، وتحميه من النسيان، مثل قصة الرجل التائهة في الصحراء : (كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته، تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ... أما والله! لله أشد فرحًا) وخطبته ﷺ للأنصار:(أفيكم أحد من غيركم"؟ فقالوا: لا... أما ترضون أن يرجع الناس ...).

١٥– كان النبي ﷺ يوجه العتاب والإنكار بصيغة العموم (ما بال رجال أو أقوام يفعلون كذا أو يقولون كذا)، منه قوله ﷺ:(ما بال رجال يواصلون...أما والله لو تمادَّ لي الشهر)، وكذا كان منهج النبوي في التربية والتعليم، قائم على الرحمة والرفق، حتى في مقامات الردع والتأديب، فما كان يوجه الإنكار لفاعل المنكر، ويسبب له الحرج، بل يعمم الخطاب؛ لأن الذي يهمه هو التنبيه على الفعل المنكر.

١٦– اقترنت بلاغة الإشارة مع أسلوب التنبيه بـ(أما) : (جلس على المنبر وهو يضحك، فقال...أما إن ماءها يوشك أن يذهب...طعن بمخصرته في المنبر... وأومأ بيده إلى المشرق،)

١٧–اجتماع أدوات التنبيه(ألا) و(أما) في السياق الواحد؛ لتنبيه الأذهان وتحفيزها إلى الإصغاء للمضمون الخطير الذي يذكره: مثل قولهﷺ في حديث الجساسة: (أما إنه يوشك أن لا تثمر... أما إن ماءها يوشك أن يذهب... أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه...ألا هل كنت حدثتكم ذلك... ، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن...)، وقوله ﷺ في حديث ترضية الأنصار: (ألا تجيبوني، فقالوا: الله ورسوله... أما إنكم لو شئتم أن

تقولوا كذا...ألا ترضون أن يذهب الناس...)،وقوله ﷺ في حديث رجم ماعز:(ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله...أما والله، إن يمكِّني من أحدهم لأنكلنّه عنه).

١٨- وردت (أما) في خطاب غير العاقل في موضع واحد وهو خطاب الرحم، في قوله ﷺ:(أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟).

الفصل الثالث

مقامات أسلوب (ألا) و(أما) في صحيح مسلم
(دراسة موازنة)

المبحث الأول

مقامات استخدام (أما) و(ألا)

وأنواع المخاطبين بهما في صحيح مسلم

أولًا: استخدام مقامات (ألا) و(أما):

صار جليًا من خلال الفصلين السابقين أن بناء الأحاديث على أسلوب التنبيه بـ(ألا) و(أما) ركيزة في أحاديث الرسول ﷺ، ويأتي هذا الفصل ليقف على الموضوعات التي حرص الرسول ﷺ على تنبيه الصحابة إليها، والمقامات التي استدعتها.

وقد كان التنبيه في بعض خطاباته ﷺ في صحيح مسلم على وجه العموم والشمول خاصًا بالناس جميعًا، كما جاء أيضًا خاصًا لفئات معينة في المجتمع كخطابه الطفل، والمرأة، والعبد، والمهاجرين، والأنصار...إلخ.

ومن المعروف أن الحديث الشريف اشتمل على أوامر ونواهٍ وقصص وأخبار وغيرها، وأدوات التنبيه وردت في الأحاديث التي تشتمل على هذه الأوامر أو النواهي ليتنبه المخاطب لفعل الأمر، أو اجتنابه، أو أخذ العظة من تلك القصص والأخبار.

كما نوع الرسول ﷺ بين الأداتين (ألا) و(أما)، وإن كان استخدامه لـ (ألا) أكثر، ولهذا يأتي هذا الفصل ليقدِّم تصوُّرًا للمقامات التي استدعت الافتتاح بـ(ألا) أو (أما)، ولا يخفى أن كل أمور الدين تحتاج إلى أن يمهّد لها، ويهيّأ لها الأذهان، ويحثّ عليها، لكن وجدتُ أن هناك مقامات معينة كثر فيها استخدامه لهذه الأدوات دون المقامات الأخرى، بل إنه في بعض الأحيان يجمع بين الأداة (ألا) و(أما) في السياق الواحد، أو يكرر استخدام هذه الأدوات في نفس السياق مرات عديدة؛ للدلالة على الأهمية البالغة لتوجيه فهم المخاطب، ولفته للاعتناء والانتباه لما يأتي بعدها من دلالات.

وقد تفاوتت المقامات البلاغية لأسلوب التنبيه بـ(ألا) و(أما) في صحيح مسلم من حيث الكثرة والقلة، على النحو الآتي مرتبًا حسب الأكثر:

التحضيض والحث:

وأهم الموضوعات التي بنيت على التحضيض والحث بـ(ألا) هي: الحيض، المساقاة، صلاة المسافرين وقصرها، الطلاق، الأشربة، القسامة والمحاربين والقصاص، فضائل الصحابة، الزكاة، الجهاد والسير، ومن نماذج ذلك:

حديث طهارة الجلود الميتة بالدباغ: «ألا أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به»، وحديث غزوة الأحزاب: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟...»، وحديث الصلاة في الرحال إذا كانت ليلة باردة أو ممطرة في السفر: «ألا صلوا في الرحال»، وحديث تخمير الإناء: «ألا خمرته ولو تعرض عليه عودًا».

أما الموضوعات التي بنيت على التحضيض والحث بـ(أما) هي: الزكاة، الرضاع، والطلاق، فضائل الصحابة، القسامة والقصاص والمرتدين، البر والصلة والآداب، الفتن وأشراط الساعة، ومن نماذج ذلك: حديث قصة الجساسة: «أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه»، ومن ذلك ما ورد في قصة تزويج جابر بن عبد الله ﷺ: «أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس»، ومن ذلك حديث عمر ﷺ لما رأى النبي ﷺ قد أثر الحصير في جنبه فبكى: «أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة».

التشويق:

ومن الأبواب التي بنيت على التشويق بـ(ألا): الإيمان، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، الطهارة، السلام، الأقضية، الجنة وصفة نعيمها، المساقاة، ومن ذلك:

حديث كلام الرب مع أهل الجنة: «ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟...»، وحديث أكبر الكبائر: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» وحديث فضل قول: لا حول ولا قوة إلا بالله: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة...»، حديث أخذ الحلال وترك الشبهات: «ألا وإن في الجسد مضغة...».

أما الأبواب التي بنيت على التشويق بـ(أما) هي: الإيمان، الزكاة، المساجد ومواضع الصلاة، ومن أمثلة ذلك:

حديث تبشير الرسول ﷺ كون هذه الأمة نصف أهل الجنة: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟...»، حديث بيان أفضل الصدقة: «أما وأبيك لتنبأنه...»، حديث فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر..».

التعليم والإرشاد:

ومما بني على التعليم والإرشاد بـ(ألا) هي: الإيمان، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، الإمارة، البر والصلة والآداب، الحج، ومن الأمثلة على ذلك: حديث فضل الرماية والحث على تعلمها: «ألا إن القوة الرمي...»، وحديث فضل الذكر وأنه أفضل من الخادم: «ألا أدلكما على خير مما سألتما...»، وحديث الحث على الرفق بالرعية: «ألا كلكم راع...»، حديث تحريم مكة وصيدها: «ألا وإنها ساعتي هذه حرام...».

أما ما بني على التعليم والإرشاد بـ(أما) هي: الإيمان، الصيام، البر والصلة والآداب، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ومن ذلك ما يلي: حديث الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات: «أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك»، وحديث النهي عن صوم الدهر: «أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام...»، وحديث فضل عيادة المريض: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده..».

التحذير والتخويف:

من أهم الموضوعات التي بنيت على التحذير والتخويف بـ(ألا) هي: الإيمان، الصلاة، الفتن وأشراط الساعة، ومن ذلك:

حديث التحذير من الحلف بغير الله: «ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا...»، وحديث النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: «ألا وإني نهيت أن أقرأ...»، وأحاديث التحذير من المسيح الدجال: «ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا...»، «ألا إنه أعور...».

أما أهم الموضوعات التي بينت على التحذير والتخويف بـ(أما) هي: الإيمان، الطهارة، البر والصلة والآداب، ومن ذلك: حديث تحريم قتل الإنسان نفسه: «أما إنه من أهل النار...»، وحديث وعيد من اقتطع حق

مسلم بيمين فاجرة: « أما لئن حلف على ماله ليأكله...»، وحديث وجوب الاستبراء من نجاسة البول: «أما إنهما ليعذبان...»، وحديث تحريم ضرب العبد أو المملوك: « أما لو لم تفعل للفحتك النار...».

الإنكار:

تفاوتت درجة الإنكار فيما بين شواهد أسلوب (ألا) وأسلوب (أما) قوة وضعفًا، وظهورًا وخفاءً، بحسب الأمر الذي ينكرهﷺ، ودرجة مخالفته، كذلك غلب على أسلوبه ﷺ الإبهام والتعمية في الإنكار، دون أن يحدد شخصًا بعينه، لحسن أدبه وخلقه، ولئلا يشهر بمن قام بالفعل ويفضحه على رؤوس الأشهاد، ومما بني على الإنكار بـ(ألا): الإيمان، الصلاة، الزكاة، السلام، وذلك في حديث المسيء إلى صلاته: «ألا تحسن صلاتك...»، وحديث «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء...».

أما (أما) جاء الإنكار معها في: الصلاة، الزكاة، الصيام، البر والصلة والآداب، ومن ذلك: حديث النهي عن مسابقة الإمام في الصلاة: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه...»، وحديث تحريم الزكاة على الرسول ﷺ وعلى آله: «...أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟»، حديث إباحة القبلة في الصوم: «أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له»، حديث قصة دعاء النبي ﷺ على يتيمة أم سليم: «يا أم سليم! أما تعلمين شرطي على ربي...».

الإيناس:

وكان موضوع فضائل الصحابة من أهم الموضوعات التي بنيت على الإيناس بـ (ألا)، ومن ذلك: حديث فاطمة –رضي الله عنها– لما أسرَّ النبي ﷺ إليها قرب وفاته: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين...».

أما الموضوعات التي بنيت على الإيناس بـ (أما) هي: الإيمان، فضائل الصحابة، من ذلك: حديثه ﷺ لما حضرت أبا طالب الوفاة: «أَما والله! لأستغفرنّ لك مالم أُنهَ عَنكَ...»، وحديثه لفاطمة رضي الله عنها: «أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟...».

التوبيخ:

ومما بني على التوبيخ بـ (ألا) هي: الإيمان، الزكاة، الحدود، المساجد ومواضع الصلاة، ومن ذلك : وحديث تحريم الزنا: «ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله...»، وحديث الرخصة عن التخلف عن الجماعة بعذر: «ألا تراه قد قال لا إله إلا الله...».

أما الموضوعات التي تصدرتها (أما) في التوبيخ بفهي: الصلاة، الزكاة، وذلك في قوله ﷺ: في حديث النهي عن مسابقة الإمام: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام...»، وفي توبيخه ﷺ للحسن عندما أكل من الصدقة: «أما علمت أنَّا لا نأكل...».

الأمر:

ولم يرد هذا المقام إلا مع أسلوب (ألا) وكأنها تشي بأنها أقوى في الحض المباشر من (أما) وموضوعاته: صلاة المسافرين وقصرها، الزكاة، الأشربة، الطهارة، القسامة والمحاربين والقصاص، الفتن وأشراط الساعة، الجهاد والسير، ومن ذلك حديث صحة الصلاة في ثوب واحد: «ألا تشرع يا جابر...»، وحديث فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين لذلك: «ألا تصلون؟...»، وحديث كراهة المسألة للناس: «ألا تبايعون رسول الله؟...»، وحديث إكرام الضيف وفضل إيثاره : «أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا...».

التعجب:

ومن المجالات التي بنيت على التعجب بـ (ألا) هي: الصلاة،، الطهارة، فضائل الصحابة، الجنة وصفة نعيمها، ومن ذلك حديث المسيء إلى صلاته: «ألا ينظر المصلي إذا صلى...»، وحديث حوض النبي ﷺ: «ألا ليذادنَّ رجال عن حوضي...»، وحديث فضائل عثمان بن عفان ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة...»، وحديث الحشر يوم القيامة: «ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي...».

وكان الصيام والمساجد ومواضع الصلاة من أهم الموضوعات التي تصدرتها (أما) في التعجب ، وذلك في قوله ﷺ: ناهيًا عن الوصال في الصوم: «أما والله لو تمادّ لي الشهر...»، وقوله ﷺ في بيانه لأصحابه أنه لا تفريط في النوم «أما لكم في أسوة ؟...».

الإعلام:

وجاء الإعلام بـ (ألا) في ثلاثة موضوعات، وهي: صفات المنافقين وأحكامهم، وصلاة المسافرين وقصرها، ومن ذلك قوله ﷺ: في صفات المنافقين: «ألا أخبركم بأشد حرًا منه يوم القيامة؟...»، وحديث ثواب سورة الإخلاص: «ألا إنها تعدل ثلث القرآن».

أما الموضوعات التي استفتحت بـ(أما) لغرض الإعلام فهي: الإيمان، كتاب الفتن وأشراط الساعة، وذلك في حديث مبايعة عمرو بن العاص: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله...»، وحديث قصة الجساسة: «أما إنه يوشك أن لا تثمر...».

النهي:

ومما جاء على النهي مع أسلوب (ألا): السلام، والمساجد ومواضع الصلاة، والمساقاة، والزكاة، والجهاد والسير، وذلك في حديث تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية: «ألا لا يبيتن رجل عند امرأة...»، وحديث النهى عن اتخاذ القبور مساجد: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد...»، وحديث تحريم الربا: «ألا إنما الربا في النسيئة...»، حديث أفضل الصدقة: «ألا وقد كان لفلان كذا...»، وحديث تحريم الغدر: «ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة».

التبشير:

ولم يرد التبشير إلا بأسلوب (أما) وموضوعاتها، وهي: الإيمان، المساجد ومواضع الصلاة، اللباس والزينة، التوبة، في قوله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة...»، وحديث فضل المحافظة على صلاة الصبح والعصر: «أما إنكم سترون ربكم...»، وحديث جواز اتخاذ الأنماط: «أما إنها ستكون»، وحديث فرحة الله بتوبة عبده: «أما والله، لله أشد فرحًا بتوبة عبده...».

الإيضاح:

الموضوعات التي بنيت على الإيضاح بـ (ألا) هي: فضائل الصحابة، والمساقاة، وذلك في قوله ﷺ: لعائشة رضي الله عنها حين سألته عن سبب تغيير جلسته لعثمان ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»، وفي حديث الحلال وترك الشبهات: «ألا وهي القلب».

أما أسلوب (أما) فلم يرد إلا في موضوع واحد وهو: المساجد ومواضع الصلاة، في قوله ﷺ: في قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها: «أما إنه ليس في النوم تفريط...».

التعيين:

من أهم موضوعات التعيين بـ (ألا): الإيمان، والجهاد والسير، والفتن وأشراط الساعة، في قوله ﷺ: عن تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه: «ألا إن الإيمان ههنا...»، وقوله ﷺ: في تحريم الغدر: «...ألا هذه غدرة فلان»، «ألا إنه في بحر الشام...».

النفي:

لم يرد هذا المقام مع أسلوب (ألا) إلا في موضوعين، وهما: الإيمان، فضائل الصحابة، ومن ذلك ما يلي: حديث موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم: «ألا إن آل أبي يعني فلانًا ليسوا لي...»، وحديث صفة أهل الجنة وأهلها: «ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة...»، وحديث براءته ﷺ من خلة المخلوقين: «ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله...».

أما (أما) فقد بنيت على النفي في موضوع واحد وهو: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، في قوله ﷺ: في فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم...».

التنبيه على الخطأ:

والموضوعات التي بنيت على التنبيه على الخطأ بـ(ألا) هي: المساجد ومواضع الصلاة، والجهاد والسير، والسلام، ومن ذلك: حديث وقت العشاء: «ألا إنها العشاء...»، وقوله ﷺ يوم فتح مكة: «ألا فما اسمي إذا...»، وقوله ﷺ في منع المخنث من الدخول على نسائه: «ألا أرى هذا يعرف ما هاهنا...».

أما أسلوب (أما) فلم يرد هذا المقام إلا في موضوع واحد وهو: الزكاة، في توبيخه ﷺ للحسن عندما أكل من الصدقة: «أما علمت أنا لا نأكل الصدقة...».

التقرير:

وكانت صلاة المسافرين وقصرها، والطهارة، والقسامة والمحاربين والقصاص والديات، والكسوف، والفتن وأشراط الساعة، من أهم الموضوعات التي بنيت على التقرير بـ(ألا)، وذلك في حديث إسلام عمرو بن عبسة: «ألا ترى حالي وحال الناس...»، وحديث استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: «ألا يعرف خيله...»، وحديث تغليظ الدماء والأموال: «ألا هل بلغت...»، وحديث قصة الجساسة: «ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك...».

التأكيد:

لم يرد هذا المقام إلا مع أسلوب (ألا) وموضوعاته: النكاح، والمساجد ومواضع الصلاة، والمساقاة، والحج، ومن ذلك قوله ﷺ في تحريم المتعة: «ألا إنها حرام من يومكم هذا...»، وفي حديث تحريم اتخاذ القبور مساجد: «ألا وإن من كان قبلكم...»، وحديث أخذ الحلال وترك الشبهات: «ألا وإن لكل ملك حمى...»، وحديث تحريم القتال بمكة: «ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار...».

الحث على الاستنباط:

وجاء هذا المقام مع أسلوب (ألا) في ثلاثة موضوعات، وهي: الإيمان، المساجد ومواضع الصلاة، الزهد والرقاق، حديث بيان أدني أهل الجنة منزلة فيها: «ألا تقولون كيفه...»، وحديث ميراث الكلالة: «ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر...»، وحديث الفار وأنه مسخ: «ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل...».

المدح:

لم تأتِ (ألا) في مقام المدح إلا في موضوع واحد وهو الحج، في حديث بيان أن المدينة تنفي شرارها: «ألا إن المدينة كالكير...».

أما (أما) فقد جاءت للمدح في موضوع واحد وهو: فضائل الصحابة في حديث دعاء الرسول ﷺ لقبيلة أسلم وغفار: «أما إني لم أقلها ولكن قالها الله...».

التعظيم:

ولم يرد هذا المقام مع أسلوب (ألا) وكذلك (أما) إلا في موضوع واحد وهو: فضائل الصحابة في حديث فضائل علي بن أبي طالب: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين...» ، وفي حديث صفات الحوض: «أما شعرت ما عملوا بعدك...». لتعظيم صنيع المرتدين وابتداعهم في الدين بعد وفاة الرسول ﷺ.

الفخر:

لم يبنِ على الفخر بـ(ألا) إلا تحريم مكة وصيدها في الحج، في قوله ﷺ: «ألا وإنها لم تحل لأحد قلبي...».

كذلك (أما) لم ترد مع الفخر إلا في موضوع واحد وهو: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، في قوله ﷺ: في فضل الاجتماع على تلاوة القرآن: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم...».

التخيير:

وجاء التخيير مع أسلوب (أما) فقط في موضوعين: الزكاة، والقسامة والقصاص والمرتدين،

في حديث إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام: «أما لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا...»، وحديث استحباب طلب العفو من ولي القتيل: «أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك...».

التخصيص:

ولم يرد هذا المقام إلا مع أسلوب (ألا) في موضوع واحد، وهو: الجنة وصفة نعيمها، في حديث فناء الدنيا وبيان الحشر: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة...».

التكثير:

ومما بني على هذا المقام بـ(ألا) موضوع: الفضائل، في حديث الحوض وصفته: «ألا في الليلة المظلمة المصحية...».

السخرية:

لم يأتِ هذا المقام إلا مع أسلوب (ألا) في موضوع واحد وهو: الإيمان، في حديث معرفة الرؤية: «ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم...».

الاستعطاف والتوسل:

وكان الإيمان هو الموضوع الوحيد الذي بني على الاستعطاف والترسل مع (ألا)، في حديث أدنى أهل الجنة منزلة فيها: «ألا ترى إلى مانحن فيه؟...ألا ترى إلى ما قد بلغنا...».

التهديد والوعيد:

لم يرد هذا المقام إلا مع أسلوب (ألا) في موضوع واحد وهو: الحدود، في حديث تحريم الزنا: « أما والله إن يمكِّنِّي من أحدهم لأنكلنَّه...».

وثمت معانٍ لم ترد، ومنها: التعريض، الاستبعاد، التيئيس، التهويل، التفجع، التحسر...إلخ.

ثانيًا: نوع المخاطبين بـ(ألا) و(أما):

إن المخاطب هو الجزء المهم والأساس الذي بنيت عليه البلاغة العربية، فقد قيل: (البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال)، ومدارها على رعاية المتكلم لمقتضى الحال، والمخاطب هو المتلقي وهو أهم عنصر من عناصر (مقتضى الحال)؛ فهو المستهدف بالخطاب، وقد أولاه البلاغيون عناية كبيرة بما أسموه مراعاة حال المخاطب، فالاهتمام بالمخاطب هو من صلب النقد العربي والبلاغة العربية[١] كما مر بنا في تمهيد هذا البحث.

والحكمة في دعوة المخاطب إلى الدين أصل دعوي من منهاج القرآن، ومن الحكمة مراعاة الحال، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[٢]، وهو منهاج الرسول ﷺ الذي سلكه في دعوته، وفي تربيته لأصحابه ﷺ، فقد حرص ﷺ « حرصًا شديدًا على أن يخاطب كل إنسان على مقدار عقله، وعلى أن تكون ألفاظه ملائمة كل الملاءمة لمعانيه، وأن تكون معانيه متناسبة كل التناسب مع الغرض الذي سيقت له»[٣].

وهذه الغاية مقصودها أن يكون ذلك أدعى لقبول الدين، وإقبالهم على اتباعه، ولقد كان لهذه العناية آثار بالغة في نجاح الدعوة إلى الله، والتأثير في نفوس الخلق[٤].

ومن العوامل المؤثرة في حال المخاطب: ديانته، وبيئته، ومكانته الاجتماعية، وجنسه (ذكر أو أنثى)، وعمره، وصفاته، والعدد (جماعة، مثنى، مفرد)، وغير ذلك من الأحوال التي كان لها كبير الأثر في اختياره للأساليب والتعابير.

<u>أولًا: نوع المخاطبين بأسلوب (ألا):</u>

ومن الجدير بالذكر أن أحاديث (ألا) وإن كانت قد بلغت خمسة وتسعين حديث بالمكرر، وثلاثة وسبعين حديثًا دون تكرار، أن المواضع التي وردت فيها (ألا) بلغت مئة وواحد وثلاثين موضعًا.

---

(١) للاستزادة يراجع : أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي في البلاغة العربية، وليد القصاب، ٦٥١.
(٢) سورة النحل:١٢٥.
(٣) بلاغة الرسول، علي العماري، ٣٨.
(٤) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ٣٢-٣٥.

وجاءت (ألا) في خطاب (الجماعة، والمفرد، والمثنى) على حد سواء، وتبين أن خطاب الجماعة بلغ مئة وأربعة مواضع، خص منها ستة مواضع في خطاب الأنصار، وموضعًا في خطاب أهل الجنة، وموضعًا في خطاب نساء النبيﷺ،، وموضعًا في خطاب جماعة من قبيلة عكل، وموضعًا في خطاب اليهود والنصارى.

وقد نال المفرد: خمسة وعشرين موضعًا، خص منها مواضع في خطاب المرأة، أما المثنى فكان حظه منها موضعين فقط .

إذن تم خطاب هذه الأنواع جميعًا (الجماعة، المثنى، والمفرد) بأسلوب (ألا)، وإن كان مجيئها في خطاب الجماعة يزيد على المثنى والمفرد بنسبة كبيرة، فقد بلغت نسبة الجماعة تسعة وسبعين بالمئة، بينما بلغت نسبة المفرد تسعة عشرة بالمئة، ونسبة المثنى واحد بالمئة.

وفيما يلي الشواهد الدالة على ذلك، أذكرها حسب كثرتها:

<u>من خطاب الجماعة:</u>

خطاب عموم الناس والصحابة: في حديث التنبيه من أكبر الكبائر: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟...»، وحديث الأمر بالسكون في الصلاة وإتمام الصفوف: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟...»، وحديث تحريم الغدر: «ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة»، ومن خطاب الأنصار: «ألا فما اسمي إذا ثلاث مرات...»، ومن خطاب نساء النبيﷺ: نهيه من دخول المخنث عليهن: «ألا أرى هذا يعرف ما هاهنا...»، وخطاب نفر من عكل: في قصة أهل البوادي عندما أكرمهم النبي ﷺ وأطعمهم وسقاهم ولكن سوّلت لهم نفوسهم الشريرة بالغصب والغدر: «ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها...»، وخطاب أهل الجنة في حديث إحلال رضوان الله عليهم فلا يسخط أبدًا: «ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟...»، وخطاب اليهود والنصارى في حديث معرفة طريق الرؤية: «ألا تردون فيحشرون إلى النار... فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى ربنا...».

<u>ومن خطاب المثنى:</u>

خطاب علي وفاطمة رضي الله عنهما في موضعين، الأول: حينما طلبا خادم: «ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟...»، والثاني: حين طرقهما الرسول ﷺ لحثهما على صلاة الليل: «ألا تصلون؟...» وإن جاء بصيغة الجمع لكن المخاطبين مثنى .

ومن خطاب المفرد المذكر:

خطاب المسيء إلى صلاته: «يا فلان! ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي؟...»، وخطاب أبي موسى الأشعري وإرشاده إلى أفضل الذكر: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة...».

ومن خطاب المفرد المؤنث:

خطاب فاطمة رضي الله عنها حين أرادت خادمًا: «ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟...»، وخطاب عائشة رضي الله عنها عندما سألته عن سر تغيير جلسته ﷺ لعثمان بن عفان ﷺ فقال : «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

ثانيًا: نوع المخاطبين بأسلوب (أما):

ومن الجدير بالذكر أن أحاديث (أما) وإن كانت قد بلغت أربعين حديثًا بالمكرر، وثلاثة وأربعين حديثًا بدون تكرار، إلا أن المواضع التي وردت فيها (أما) بلغت ستة وأربعين موضعًا.

ومن خلال استقراء شواهد هذه الأداة وتأملها يتبين أنه تم اختصاص هذه الأداة في خطاب الجماعة في اثنين وعشرين موضعًا، نال الأنصار منها أربعة مواضع ، بينما وردت لخطاب المفرد في ستة وعشرين موضعًا، خص منها: موضعين لخطاب الرسولﷺ،وموضعين لخطاب المرأة، وموضع لخطاب الرحم، وموضعًا لخطاب الكافر، وموضعًا لخطاب الطفل ، وبذلك غلب خطاب المفرد خطاب الجماعة في (أما) بنسبة ستة وخمسين بالمئة للمفرد، وبنسبة سبعة وأربعين بالمئة للجماعة، في حين لم يخاطب بـ(أما) المثنى على الإطلاق.

فأما شواهد خطاب المفرد:

فخطاب الرسول ﷺ: على لسان جبريل عليه السلام مرة: «أما لو أخذت الخمر لغوت أمتك»، ومرة على لسان ملائكة الحوض كما يشعر السياق : «أما شعرت ما عملوا بعدك؟...»، وخطاب عمر بن الخطاب ﷺ عندما بعثه على الصدقة: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟"»، وخطاب عبدالله بن عمرو ﷺ في النهي عن صوم الدهر: «أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام...»، وخطاب جابرﷺ حين تزوج: «أما إنها ستكون»، وخطاب علي بن أبي طالب ﷺ عندما استخلفه الرسولﷺ على النساء والصبيان: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

موسى؟...»، وخطاب المرأة: من ذلك خطاب فاطمة رضي الله عنها عندما سارها بقرب منيته ﷺ: «أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين...»، وخطاب أم سليم حين دعا ﷺ على يتيمتها: «يا أم سليم! أما تعلمين شرطي على ربي...»، وخطاب آدم ﷺ في حديث فضل عيادة المريض: «أما علمت أن عبدي فلانًا... أما علمت أنك لو عدته... أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه... أما علمت أنك لو أطعمته...أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»، وخطاب الرحم في حديث صلة الرحم وتحريم قطيعتها: «أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك...»، خطاب الطفل: خاطب الحسن بن علي ﷺ وهو صغير عندما أخذ من تمر الصدقة: «أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟»، وخطاب الكافر: وورد في موضع واحد فقط مع (أما) خص به عمه، مما يدل على أهميته وقربه وحرصه ﷺ على هدايته: «أَما والله، لأستغفرنّ لك مالم أُنهَ عَنكَ...».

ويأتي خطاب الجماعة في المرتبة الثانية بعد خطاب المفرد فيما يخص (أما):

خطاب الجماعة:

خطاب عموم الناس والصحابة في قوله ﷺ لما بشر الصحابة ﷺ بمباهاة الله بهم عند مجالس الذكر: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم. ولكنه أتاني...»، ونهيه للصحابة عندما واصلوا في الصوم: «أما والله لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا...»، وتبشيره للمؤمنين على رؤية الله تعالى يوم القيامة بلا شك وارتياب: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر...»، وخطاب الأنصار: في حديث ترضية الأنصار لما فتح حنينًا في قوله ﷺ: «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون بمحمد...»، وقوله لهم ﷺ: «أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا...».

إنَّ المتأمل لشواهد الأداة (ألا) و(أما) يجد تفوقَ عدد شواهد خطاب الجماعة على خطاب المثنى والمفرد، فقد بلغ عددُ شواهدِهما في خطاب الجماعة: مئةً وثلاثين شاهدًا، بينما بلغ عدد شواهد المثنى شاهدين فقط، وبلغ المفرد: ثمانية وأربعين شاهدًا، ولعل السر في ذلك عموم دعوته ﷺ؛ لأنه رجل دعوة أرسله الله تعالى إلى هذه الأمة؛ ليكون نذيرًا وبشيرًا، وكان حريصًا على إيصال هذه الدعوة للناس كافة، وحثهم على فعل الخير وترغيبهم فيه، ونهيهم عن الشر وتنفيرهم منه، وتكاليف الشرع عامة، وكُلّ مطالب بها، وخطاب الجماعة كان وسيلة من وسائل

الدعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي ﷺ بناء على تطلب المقام لذلك، خاصة الأمور التي تهم الأمة وتعظم العناية بها، فهو في موضعه كمخاطبة المفرد في موضعه، والحاجة إليه كالحاجة إلى الأساليب الأخرى، بل إنه أحيانًا يوجِّه الخطاب للجماعة بدلًا من خطاب المفرد وإن صدر الخطأ من فرد بعينه لهذا الغرض، كما في حديثه ﷺ لما سمع عمر بن الخطاب ﷺ في ركب يحلف بأبيه، فلم يوجه الخطاب له، بل ناداهم جميعًا وقال: «ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»، ويظهر أن الخطاب في هذا الحديث النبوي الشريف لا يختص بعمر بن الخطاب فحسب، وإنما يعم حكمه الجميع؛ ليشهدهم جميعًا أنه بلّغ رسالته وأدّى أمانته، لذلك فقد كان يردد بعد كل حديث لهم: (اللهم هل بلغت ؟ اللهم فاشهد) .

ولغرضٍ آخر وهو أن الاعتماد على هذا الأسلوب في النصح والتوجيه والإرشاد يحمل حكمة تتمثَّل في سهولة مقابلة الجماعة بالوعظ والشدة فيه، ولا يقابل الفرد بعينه ويشد عليه، بل يرفق ويلين، وليس ثمة أبلغ ولا أدل من هذا الأسلوب في تحقيق هذه الغايات والدلالة عليها.

وفيما يلي بيان بمقامات (ألا) و(أما) ونوع المخاطبين بهما:

أولًا: أسلوب (ألا):

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
١- ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟	التشويق والتعليم والإرشاد	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٢- ألا إن آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء.	النفي	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٣- ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم.	التنبيه والتحذير	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٤- ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.	النفي	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٥- ألا تردون؟	السخرية	الجماعة، اليهود	الإيمان

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
٦- ألا تردون؟	السخرية	الجماعة، النصارى	الإيمان
٧- ألا ترون ما أنتم فيه؟	تعجب مشوب بتوبيخ	الجماعة، الناس	الإيمان
٨- ألا ترون ما قد بلغكم؟	تعجب مشوب بتوبيخ	الجماعة، الناس	الإيمان
٩- ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟	تعجب مشوب بتوبيخ	الجماعة، الناس	الإيمان
١٠- ألا ترى إلى ما نحن فيه؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، أبو البشر آدم عليه السلام	الإيمان
١١- ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، أبو البشر آدم عليه السلام	الإيمان
١٢- ألا ترى ما نحن فيه؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، نوح عليه السلام	الإيمان
١٣- ألا ترى ما قد بلغنا؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، نوح عليه السلام	الإيمان
١٤- ألا ترى إلى ما نحن فيه؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، إبراهيم عليه السلام	الإيمان
١٥- ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، إبراهيم عليه السلام	الإيمان
١٦- ألا ترى إلى ما نحن فيه؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، موسى عليه السلام	الإيمان
١٧- ألا ترى ما قد بلغنا؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، موسى عليه السلام	الإيمان
١٨- ألا ترى ما نحن فيه؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، عيسى عليه السلام	الإيمان

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
١٩- ألا ترى ما قد بلغنا؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، عيسى عليه السلام	الإيمان
٢٠- ألا ترى ما نحن فيه؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، محمد ﷺ	الإيمان
٢١- ألا ترى ما قد بلغنا؟	الاستعطاف والتوسل	المفرد، محمد ﷺ	الإيمان
٢٢- ألا تقولون كيفه؟	الحث على النظر والاستنباط	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٢٣- ألا إن الإيمان ههنا.	التعيين والمدح	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٢٤- ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٢٥- ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا؟	التشويق والتعليم	الجماعة، الصحابة	الطهارة
٢٦- ألا يعرف خيله؟	التقرير	الجماعة، الصحابة	الطهارة
٢٧- ألا ليذادن رجال عن حوضي.	تعجب	الجماعة، الصحابة	الطهارة
٢٨- ألا هلم.	الأمر	الجماعة، الصحابة	الطهارة
٢٩- ألا أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به.	التحضيض والحث	الجماعة، الصحابة	الحيض
٣٠- ألا تحسن صلاتك؟	الإنكار	المفرد، الذكر، المسيء في صلاته	الصلاة
٣١- ألا ينظر المصلى إذا صلى؟	التعجب	المفرد، الذكر	الصلاة
٣٢- ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟	التحضيض والحث	الجماعة، الصحابة	الصلاة

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
٣٣- ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا.	التنبيه والتحذير	الجماعة، الصحابة	الصلاة
٣٤- ألا إنها العشاء.	التنبيه على الخطأ	الجماعة، الصحابة	المساجد ومواضع الصلاة
٣٥- ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله.	الزجر والتوبيخ	المفرد، المذكر، صحابي	المساجد ومواضع الصلاة
٣٦- ألا وإن من كان قبلكم.	التنبيه والتأكيد	الجماعة، الصحابة	المساجد ومواضع الصلاة
٣٧-ألا فلا تتخذوا القبور مساجد.	التحذير والنهي	الجماعة، الصحابة	المساجد ومواضع الصلاة
٣٨- ألا تكفيك آية الصيف.	الحث على الاستنباط	المفرد، المذكر، الصحابي عمر بن الخطاب	المساجد ومواضع الصلاة
٣٩- ألا تصلون؟	الأمر	المثن، ﷺ، والسيدة فاطمة	صلاة المسافرين وقصرها
٤٠- ألا تشرع يا جابر؟	الأمر	المفرد، الصحابي، جابر بن عبد الله	صلاة المسافرين وقصرها
٤١- ألا صلوا في الرحال.	الحث والتحضيض	الجماعة، الصحابة	صلاة المسافرين وقصرها
٤٢- ألا ترى حالي وحال الناس؟	التقرير والإيضاح	المفرد، المذكر، عمرو بن عبسة	صلاة المسافرين وقصرها
٤٣-ألا إنها تعدل ثلث القرآن.	الإعلام والتبشير	الجماعة، الصحابة	صلاة المسافرين وقصرها

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
٤٤- ألا هل بلغت.	التقرير	الجماعة، الناس	الكسوف
٤٥- ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع.	التحضيض والإخبار	الجماعة، الصحابة	الجنائز
٤٦- ألا رجلٌ يمنحُ أهل بيت ناقة تغدو بعس.	التحضيض والحث	الجماعة، الصحابة	الزكاة
٤٧- ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء؟	إنكار وتوبيخ	الجماعة، الصحابة	الزكاة
٤٨- ألا وقد كان لفلان كذا.	النهي	المفرد، الرجل	الزكاة
٤٩- ألا تجيبوني؟	أمر	الجماعة، الأنصار	الزكاة
٥٠- ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل؟	التحضيض والتقرير	الجماعة، الأنصار	الزكاة
٥١- ألا تبايعون رسول الله؟	الطلب والأمر	الجماعة، الصحابة	الزكاة
٥٢- ألا إن المدينة كالكير.	المدح	الجماعة، الصحابة	الحج
٥٣- ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع.	تأكيد الإبطال	الجماعة، الصحابة	الحج
٥٤- ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي.	الفخر	الجماعة، الصحابة	الحج
٥٥- ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار.	التأكيد	الجماعة، الصحابة	الحج
٥٦- ألا وإنها ساعتي هذه حرام	التعليم والإرشاد	الجماعة، الصحابة	الحج
٥٧- ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة.	التنبيه والتأكيد	الجماعة، الصحابة	النكاح
٥٨- ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟	الحث والتحضيض	المفرد، عمر بن الخطاب	الطلاق
٥٩- ألا وإن لكل ملك حمى.	التأكيد	الجماعة، الصحابة	المساقاة
٦٠- ألا وإن حمى الله محارمه.	التأكيد	الجماعة، الصحابة	المساقاة
٦١- ألا وإن في الجسد مضغة.	التشويق	الجماعة، الصحابة	المساقاة

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
٦٢- ألا وهي القلب.	البيان بعد الإبهام، الإيضاح	الجماعة، الصحابة	المساقاة
٦٣- ألا إنما الربا في النسيئة.	التحذير والنهي	الجماعة، الصحابة	المساقاة
٦٤- ألا تخرجون مع راعينا في إبله.	الحث والتحضيض	الجماعة، نفر من عكل	القسامة والمحاربين والقصاص والديات
٦٥- ألا ليبلغ الشاهد الغائب.	الأمر	الجماعة، الصحابة	القسامة والمحاربين والقصاص والديات
٦٦- ألا هل بلغت.	التقرير	الجماعة، الصحابة	القسامة والمحاربين والقصاص والديات
٦٧- ألا كلما نفرنا غازين.	التوبيخ	الجماعة، الصحابة	الحدود
٦٨- ألا أخبركم بخير الشهداء؟	العرض والتشويق	الجماعة، الصحابة	الأقضية
٧٠- ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة.	النهي	الجماعة، الصحابة	الجهاد والسير
٧١- ألا هذه غدرة فلان.	التعيين	الجماعة، الصحابة	الجهاد والسير
٧٢- ألا رجل يأتيني بخبر القوم؟	التحضيض والحث	الجماعة، الصحابة	الجهاد والسير
٧٣- ألا تبايعني يا سلمة؟	الأمر	المفرد، الصحابي، سلمة	الجهاد والسير
٧٤- ألا فما اسمي إذا (ثلاث مرات).	التنبيه على الخطأ	الجماعة، الأنصار	الجهاد والسير
٧٥- ألا إن القوة الرمي (ثلاث مرات).	التعليم والإرشاد	الجماعة، الصحابة	الإمارة
٧٦- ألا كلكم راع.	التعليم والإرشاد	الجماعة، الصحابة	الإمارة

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
٧٧- ألا فكلكم راع.	التعليم والإرشاد	الجماعة، الصحابة	الإمارة
٧٨- ألا من ولي عليه وال.	التنبيه والإرشاد	الجماعة، الصحابة	الإمارة
٧٩- ألا رجل يضيف هذا، رحمه الله.	التحضيض والحث	الجماعة، الصحابة	الأشربة
٨٠- ألا خمرته ولو تعرض عليه عودا.	التحضيض والحث	المفرد، الصحابي، أبو حميد الساعدي	الأشربة
٨١- ألا أخبركم عن النفر الثلاثة.	التنبيه والتشويق	الجماعة، الصحابة	السلام
٨٢- ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب.	التحذير والنهي	الجماعة، الصحابة	السلام
٨٣- ألا أرى هذا يعرف ما هاهنا.	الإنكار والتنبيه على الخطأ	الجماعة، المؤنث، نساء النبيﷺ	السلام
٨٤- ألا ألحق نبي الله فأخبره؟	التنبيه	المفرد، فتى موسى عليه السلام	الفضائل
٨٥- ألا في الليلة المظلمة المصحية.	التكثير	المفرد، الصحاب، أبي ذر	الفضائل
٨٦- ألا إني فرط لكم على الحوض.	التنبيه	الجماعة، الصحابة	الفضائل
٨٧- ألا تريحني من ذي الخصلة؟	التحضيض والحث	المفرد، المذكر، جرير بن عبد الله	فضائل الصحابة
٨٨- ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة.	التعجب والإيضاح	المفرد، المؤنث، السيدة عائشة	فضائل الصحابة
٨٩- ألا أيها الناس فإنما أنا بشر.	التنبيه	الجماعة، الناس	فضائل الصحابة
٩٠- ألا وإني تارك فيكم ثقلين.	التعظيم	الجماعة، الناس	فضائل الصحابة
٩١- ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله.	النفي	الجماعة، الصحابة	فضائل الصحابة
٩٢- ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟	الإيناس	المفرد، السيدة فاطمة	فضائل الصحابة
٩٣- ألا أنبّئكم ما العضه؟	التعليم والإرشاد	الجماعة، الصحابة	البر والصلة والآداب

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
٩٤- ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟	التشويق والتعليم والإرشاد	المفرد، المذكر، أبو موسى الأشعري	الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار
٩٥- ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟	التعليم والإرشاد	المثنى، علي ﷺ والسيدة فاطمة	الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار
٩٦- ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟	النصح والإرشاد	المثنى، علي ﷺ والسيدة فاطمة	الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار
٩٧- ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟	التشويق والنصح والإرشاد	المفرد، المذكر، أبي ذر	الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار
٩٨- ألا أخبركم بأشد حرًا منه يوم القيامة؟	الإعلام والتحقيق	الجماعة، الصحابة	صفات المنافقين وأحكامهم
٩٩- ألا أخبركم بأهل الجنة؟	التشويق والترغيب	الجماعة، الصحابة	الجنة وصفة نعيمها
١٠٠-ألا أخبركم بأهل النار؟	التشويق والترهيب	الجماعة، الصحابة	الجنة وصفة نعيمها
١٠١- ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟	التشويق	الجماعة، الصحابة	الجنة وصفة نعيمها

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
١٠٢- ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم.	التنبيه والتشويق	الجماعة، الصحابة	الجنة وصفة نعيمها
١٠٣- ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة.	التخصيص	الجماعة، الناس	الجنة وصفة نعيمها
١٠٤- ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي.	تعجب	الجماعة، الناس	الجنة وصفة نعيمها
١٠٥- ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	الفتن وأشراط الساعة
١٠٦- ألا إنه أعور.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	الفتن وأشراط الساعة
١٠٧- ألا تستجيبون؟	الأمر	الجماعة، شرار الناس	الفتن وأشراط الساعة
١٠٨- ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟	التقرير	الجماعة، الصحابة	كتاب الفتن وأشراط الساعة
١٠٩- ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن.	التعيين	الجماعة، الصحابة	كتاب الفتن وأشراط الساعة
١١٠- ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدثه نبي قومه.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	الفتن وأشراط الساعة
١١١- ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	كتاب الفتن وأشراط الساعة
١١٢- ألا فإذا نزلت أو وقعت.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	كتاب الفتن وأشراط الساعة

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الموضوع
١١٣- ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه.	الحث على الاستنباط	الجماعة، الصحابة	الزهد والرقاق

ثانيًا: الأداة (أما):

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الكتاب
١- أَما والله، لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عَنكَ.	التأنيس والتلطف	المفرد، المذكر، الكافر (عمه)	الإيمان
٢- أما إنه من أهل النار.	التحذير والتخويف	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٣- أما عَلِمتَ أَنَّ الإِسلامَ يَهدِمُ مَا كَانَ قَبلَهُ.	الإعلام والتبشير	المفرد، المذكر، المؤمن الصحابي عمرو بن العاص	الإيمان
٤- أَمَا لَئِن حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأكُلَهُ ظُلمًا لَيَلقَيَنَّ اللَّهَ وَهُوَ عَنهُ مُعرِض.	التخويف والتحذير	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٥- أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك.	التعليم والإرشاد	المفرد، الرسولﷺ	الإيمان
٦- أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟	التشويق والتبشير	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٨- أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟	التشويق والتبشير	الجماعة، الصحابة	الإيمان
٨- أما لو لم تفعل، للفحتك النار.	التخويف والتحذير	المفرد، الصحابي، أبا مسعود الأنصاري	الإيمان
٩- أما إنهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير.	التخويف والتحذير	الجماعة، الصحابة	الطهارة
١٠- أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام.	الإنكار والتوبيخ	الجماعة، الصحابة	الصلاة
١١- أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر.	التشويق والتبشير	الجماعة، الصحابة	المساجد ومواضع الصلاة
١٢- أما لكم في أسوة؟	التعجب	الجماعة، الصحابة	المساجد ومواضع الصلاة

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الكتاب
١٣- أما إنه ليس في النوم تفريط.	الإيضاح	الجماعة، الصحابة	المساجد ومواضع الصلاة
١٤- أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟	الإنكار والتوبيخ والتنبيه على الخطأ	المفرد، الطفل، الحسن بن علي	الزكاة
١٥- أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه.	التعظيم	المفرد، المؤمن، عمر بن الخطاب	الزكاة
١٦- أما وأبيك لتنبأنه، أن تصدق وأنت.	التشويق	لمفرد، رجل يسأل عن الصدقة	الزكاة
١٧- أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا.	الحث والتحضيض	الجماعة، الأنصار	الزكاة
١٨- أما لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا.	التخيير	الجماعة، الأنصار	الزكاة
١٩- أما والله لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا.	التعجب والتمني	الجماعة، الصحابة	الصيام
٢٠- أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتقَاكُم لِلَّهِ.	الإنكار وتصحيح المفاهيم	المفرد، الصحابي، عمر بن أبي سلمة	الصيام
٢١- أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟	التعليم والإرشاد	المفرد، الصحابي، عبد الله بن عمرو	الصيام
٢٢- أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمت فَالكَيسَ.	الحث والتحضيض	المفرد، الصحابي، جابر بن عبد الله	الرضاع
٢٣- أَمَا تَرضَىَ أَن تَكُونَ لَهُما الدُّنيَا؟	التحضيض على الرضا	المفرد، الصحابي، عمر بن الخطاب	الطلاق
٢٤- أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك؟	الحث والتحضيض، والتخيير	المفرد، رجل، أخو القتيل	القسامة والمحاربين والقصاص والديات

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الكتاب
٢٥- أما والله، إن يمكنّي من أحدهم.	التهديد والوعيد	الجماعة، الصحابة	الحدود
٢٦- أما إنها ستكون.	التبشير	مفرد، الصحابي، جابر بن عبدالله	اللباس والزينة
٢٧- أما شعرت ما عملوا بعدك؟	التعظيم والإنكار	المفرد، الرسولﷺ	الفضائل
٢٨- أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون؟	التحضيض على الرضا	المفرد، الصحابي، علي بن أبي طالب	فضائل الصحابة
٢٩- أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟	التلطف والإيناس	المفرد، المرأة، فاطمة بنت الرسولﷺ	فضائل الصحابة
٣٠- أما إني لم أقلها، ولكن قالها.	المدح	الجماعة، قبيلة أسلم وغفار	فضائل الصحابة
٣١- أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟	التحذير والتخويف	حديث قدسي، خطاب غير العاقل(الرحم)	البر والصلة والآداب
٣٢- أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟	الحث والتعليم والإرشاد	المفرد، ابن آدم	البر والصلة والآداب
٣٣- أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟	الحث والتعليم والإرشاد	المفرد، ابن آدم	البر والصلة والآداب
٣٤- أما علمت أنه استطعمك عبدي؟	الحث والتعليم والإرشاد	المفرد، ابن آدم	البر والصلة والآداب
٣٥- أما علمت أنك لو أطعمته؟	الحث والتعليم والإرشاد	المفرد، ابن آدم	البر والصلة والآداب
٣٦- أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي؟	الحث والتعليم والإرشاد	المفرد، ابن آدم	البر والصلة والآداب
٣٧- أما تعلمين شرطي على ربي؟	الإنكار والتعليم	مفرد، امرأة، أم سليم	البر والصلة والآداب
٣٨- أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم؟	الفخر و النفي	الجماعة، الصحابة	الذكر والدعاء

الحديث	المقام	نوع المخاطبين	الكتاب
			والتوبة والاستغفار
٣٩- أما لو قلت: حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات.	التعليم والإرشاد	المفرد، ذكر، رجل يسأل النبيﷺ	الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار
٤٠- أما، والله! لله أشد فرحًا بتوبة عبده، من الرجل براحلته.	الترغيب والتبشير	الجماعة، الصحابة	التوبة
٤١- أما إنه يوشك أن لا تثمر.	الإعلام	الجماعة، رجال من لخم وجذام	كتاب الفتن وأشراط الساعة
٤٢- أما إن ماءها يوشك أن يذهب.	الإعلام	الجماعة، رجال من لخم وجذام	كتاب الفتن وأشراط الساعة
٤٣- أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه.	الحث	الجماعة، رجال من لخم وجذام	كتاب الفتن وأشراط الساعة

وهناك موضوعات لم ترد فيها (ألا) و(أما) وهي: الجمعة، صلاة العيدين، الاستسقاء، الاعتكاف، اللعان، العتق، البيوع، الهبات، الوصية، النذر، اللقطة، الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، الأضاحي، الآداب، الألفاظ من الأدب، الشعر، صفة القيامة والجنة والنار، الرؤيا، القدر، العلم، الرقاق، التفسير.

وهذا لا يعني أن هذه الموضوعات غير مهمة؛ لخلوها من أسلوبي التنبيه (ألا) و(أما)، فمع عظم هذا الأسلوب وبلاغته إلا أنه وسيلة من الوسائل التي وظفها الرسول ﷺ للدلالة على أهمية الموضوعات وتحقيقها كما وظف غيرها، يتأكد هذا الأمر حين ننظر للأحاديث التي جاءت خلوًا من أسلوبي التنبيه (ألا) و(أما)، وهي من الأهمية بمكان، وقد وظّف فيها أساليب تشويق وتنبيه أخرى لا حصر لها؛ وذلك أنها متعددة بتعدد المقامات والأحوال، وبحسب الغرض الذي يريد تحقيقهﷺ .

على سبيل المثال لو نظرنا إلى أحاديث موضوع (العلم) وقد خلت من أدوات التنبيه (ألا) و(أما)، ولا يخفى أهمية العلم وقيمته في الإسلام، فقد بدأت رسالة النبي ﷺ بأول وأعظم عنوان للعلم والمعرفة كلمة (اقرأ) جاءت

تستفتح الدنيا بالعلم والقراءة، في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[١]، كما حكى القرآن في كثير من آياته على طلب العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[٢]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ۝١١٣﴾[٣]، وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى أهمية العلم وعظمه في أحاديث كثيرة، من ذلك:

ما رواه عبد الله بن عمرو، قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا قال: « فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»[٤] وظف ﷺ بلاغة الإشارة (الغضب)، وآثر أسلوب القصر بـ(إنما) في هذا المقام؛ ليؤثر في النفوس المخاطبين، ويوقظ مشاعرهم، فيتوجهوا إليه بقلوبهم وأنظارهم، فتقر المعاني المهمة، وتتمكن أفضل تمكن، ويقوى حرصهم عليها.

وما رواه جرير بن عبد الله قال: «جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[٥]، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر الذي دلهم عليه الرسول ﷺ في هذا الحديث أمر عظيم، هو من الدين بمكان، فقد اتخذ من أسلوب الشرط وسيلة للوصول إلى ما يريد، وتحقيق ما يرنو إليه، ومما زاد هذا الأسلوب أثرًا وتأثيرًا؛ أنه بنى عليه الحديث كله.

---

(١) سورة العلق:١.
(٢) سورة طه:١٤.
(٣) سورة النساء:١١٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن.
(٥) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

وحينئذ فسندرك أهمية وعظم جميع الأحاديث التي صدرت من الرسول ﷺ سواء جاءت بأسلوبي التنبيه (ألا) و(أما) أم خلا كلامه ﷺ منهما.

المبحث الثاني

المقارنة بين أسلوبي (ألا) و(أما) في صحيح مسلم.

إذا تأمّلنا الخصائص التركيبية لبناء جمل التنبيه من خلال أسلوبي (ألا) و(أما) ومدخولاتها في صحيح مسلم نجد أن النبي ﷺ لم يلتزم صورة واحدة، بل إن البناء اللغوي للجمل اتخذ أنماطًا متنوعة، وصورًا متعددة، ومن خلال استقراء الشواهد تم حصر التراكيب اللغوية، على النحو الآتي:

أولا – الخصائص التركيبية لـ(ألا):

إن المتأمل لشواهد هذه الأداة يتبين له أن دخولها على الجملة الفعلية يزيد كثيرًا على دخولها على الجملة الاسمية، فقد بلغت شواهد دخولها على الجملة الفعلية ستة وثمانين موضعًا، أما دخولها على الجملة الاسمية فقد بلغ ثمانية وأربعين موضعًا.

وقد كثرت الشواهد التي دخلت فيها هذه الأداة على الفعل المضارع فبلغ إجمالي ورودها معه سبعة وسبعين موضعًا، وهي بذلك تفوق عدد ورودها مع الفعل الماضي الذي بلغت شواهده مع هذه الأداة سبعة مواضع، أما فعل الأمر فلم يحظَ إلا بموضعين فقط، وقد اتخذت هذه الأداة في دخولها على الجملة الفعلية والاسمية أنماطًا في تركيبها.

أنماط بناء جملة التنبيه بـ (ألا) في الجملة الفعلية:

النمط الأول: أن يكون الفعل مضارعًا مثبتًا: وقد بلغت شواهده سبعون شاهدًا، وهو النمط الأكثر ورودًا، ومن الشواهد الدالة على ذلك: ما جاء في حديثه ﷺ لأبي ذر: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله! أخبرني...»، ومنه حديث حارثة بن وهب في باب ضعفاء المسلمين وأذلائهم، أنه سمع النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى قال ﷺ: كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره...»، يعني هذه من علامات أهل الجنة، ومن ذلك ما ذكره النبي ﷺ في بيان خير الشهود: «ألا أخبركم بخير الشهداء...».

النمط الثاني: أن يكون الفعل فعلًا ماضيًا مثبتًا: وقد بلغت شواهده ثلاثة شواهد، ومنها:

حديث تخمير الإناء : «ألا خمرته ولو تعرض عليه عوداً»،وحديث الانتفاع بجلد الميتة: «ألا أخذوا إهابها فدبغوه».

النمط الثالث: أن يكون الفعل مضارعًا مسبوقًا بنهي: وقد جاءت في ثلاثة شواهد، منها: حديث النهي عن المبيت عند المرأة الأجنبية: «ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب، إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم ».

النمط الرابع: أن يكون الفعل ماضيًا مسبوقًا بأداة الاستفهام (هل): وبلغت شواهده ثلاثة شواهد: ومنه قوله ﷺ في حديث صلاة الكسوف: « والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلًا ألا هل بلغت»، ومنه حديث قصة الجساسة: «... ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام...».

النمط الخامس: أن يكون الفعل ماضيًا مسبوقًا بشرط: وذلك في موضعين:

الأول: مع أداة الشرط (من)، وذلك في حديثه ﷺ عن خيار الأئمة وشرارهم: «... ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة».

الثاني: مع أداة الشرط (إذا) وذلك في حديثه ﷺ عن الفتن وأشراط الساعة: «... ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم... ».

النمط السادس: أن يكون الفعل مؤكدًا سواء كان مضارعًا أو ماضيًا: وبلغت شواهده ثلاثة شواهد:

أولا: الفعل المضارع المؤكد بلام التأكيد والنون، من ذلك حديث الحوض والطوائف التي تردهم الملائكة: «ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم...».

ثانيا: الفعل المضارع المؤكد بلام الأمر، ومنه خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع «ألا ليبلغ الشاهد الغائب...».

ثالثًا: الفعل الماضي المؤكد بـ(قد)، ومن ذلك قوله ﷺ عندما سئل: أي الصدقة أعظم أجرًا؟ «ألا وقد كان لفلان».

النمط السابع: أن يكون الفعل مضارعًا مسبوقًا بـ(ثُمَّ): وقد ورد في ذلك شاهد واحد وهو قوله ﷺ عن الفتن وأشراط الساعة: «ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها...».

النمط الثامن: أن يكون الفعل فعل أمر أو اسم فعل الأمر: وورد ذلك في شاهدين:

الأول: فعل الأمر، ومنه قوله ﷺ في الليلة الباردة أو ذات مطر في السفر: «ألا صلوا في الرحال»، والثاني: اسم فعل الأمر (هلم)، وورد ذلك في حديث الحوض: «ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا».

أنماط بناء جملة التنبيه بـ(ألا) في الجملة الاسمية:

النمط الأول: أن تكون الجملة مؤكدة بـ (إنَّ) أو بـ (و إنَّ): وقد بلغت شواهد التأكيد بـ (إنَّ) تسعة عشر شاهدًا، منها حديث النهي عن الحلف بغير الله: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»، وحديث ذكر صفة المسيح الدجال: «ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى...»، أما شواهد (وإن) فقد بلغت أحد عشر شاهدًا، منها حديث أخذ الحلال وترك الشبهات: «...ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...»، ومنه حديث النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن...»

النمط الثاني: أن تكون الجملة مبدوءة بنكرة: وقد بلغت شواهدها خمسة شواهد، منه حديث إكرام الضيف وفضل إيثاره: «ألا رجل يضيف هذا، رحمه الله...».

النمط الثالث: أن تكون الجملة مصدرة بلفظ العموم (كل): وقد بلغت شواهدها أربعة شواهد، منها حديث الحث على الرفق بالرعية: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته...».

النمط الرابع: أن تكون الجملة مسبوقة بشبه الجملة: ولم يرد ذلك إلا في موضع: في حديث صفة الحوض: «...ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منه...».

النمط الخامس: أن تكون الجملة مصدرة بـ(ما الاستفهامية): ولم ترد إلا في موضع واحد: وهو قولهﷺ يوم فتح مكة: «ألا فما اسمي إذا ثلاث مرات، أنا محمد عبد الله ورسوله...».

النمط السادس: أن تكون الجملة مؤكدة بـ(إنما): ولم ترد إلا في قوله ﷺ في حرمة ربا النسيئة: «ألا إنما الربا في النسيئة».

النمط السابع: أن تكون الجملة منفية بـ(لا): ولم ترد إلا في شاهد واحد وهو حديث الغادر، وأنه يرفع له يوم القيامة لواء ويفضح على رؤوس الأشهاد: «ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة ».

النمط الثامن: أن تكون الجملة مسبوقة بـ(النداء): ولم ترد إلا فيما رواه زيد بن الأرقم أن الرسول ﷺ قام خطيبًا فوعظ وذكر: «ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي».

النمط التاسع: أن تكون الجملة مسبوقة باسم الإشارة (هذه): ولم ترد إلا في قوله ﷺ عن الغادر: «...ألا هذه غدرة فلان».

النمط العاشر: أن تكون الجملة مسبوقة بضمير الغائب (هي): ولم ترد إلا في حديث أخذ الحلال وترك الشبهات: «...ألا وهي القلب».

الخصائص التركيبية لـ(أما):

من خلال تأمل شواهد هذه الأداة تبين أن دخولها على الجملة الفعلية يزيد على دخولها على الجملة الاسمية، فقد بلغت شواهد دخولها على الجملة الفعلية سبعة وعشرين شاهدًا، موزعة بنسب متقاربة بين الفعل المضارع والفعل الماضي، وإن كان دخولها على الفعل المضارع أكثر بقليل؛ إذ جاء في سبعة عشر موضعًا، بينما الفعل الماضي في عشرة مواضع، ولم ترد مع فعل الأمر على الإطلاق، أما الجملة الاسمية فقد نالت واحدًا وعشرين شاهدًا.

وقد اتخذت الأداة (أما) في دخولها على الجملة الفعلية والاسمية أنماطًا متنوعة على النحو الآتي:

أولًا: أنماط بناء جملة التنبيه بـ(أما) في الجملة الفعلية:

النمط الأول: أن يكون فعلها مضارعًا مثبتًا: وقد بلغت شواهده أربعة عشر شاهدًا، وهو النمط الأكثر ورودًا، ومنه ما جاء في حكمه ﷺ بين القاتل وولي المقتول: « أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك »، ومثال آخر: حديث بشارة الرسول ﷺ لأمته بكونهم نصف أهل الجنة: «أما ترضون أن تكون ربع أهل الجنة...».

النمط الثاني: أن يكون فعلها ماضيًا مثبتًا: وقد ورد في ذلك شواهد، كقوله ﷺ في حديث الحوض وصفاته: «أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله! ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم...»، ومثال آخر حديث عيادة المريض وتشييع الميت: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده...».

النمط الثالث: أن يكون فعلها مضارعًا مؤكدًا بقسم صريح أو مضمر: وقد ورد في ذلك ثلاثة شواهد:

الأول: القسم الصريح في قصة رجم ماعز الأسلمي: «أما والله ! إن يمكنّي من أحدهم لأنكلنّه عنه»، وفي حديث النهي عن الوصال في الصوم: «... أما والله لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم».

والثاني: القسم المضمر في حديث أفضل الصدقة وأعظمها: «أما وأبيك لتنبأنه، أن تصدّق وأنت صحيح شحيح».

النمط الرابع: أن يكون فعلها ماضيًا مؤكدًا بشرط: وقد ورد في ذلك شاهد واحد وهو حديث فضل ذكر الله والتعوذ به من السوء والشر: «أما لو قلت: حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك».

النمط الخامس: أن يكون فعلها ماضيًا مؤكدًا بالقسم المضمر والشرط: ولم يرد إلا في شاهد واحد وهو وعيد النبي ﷺ لمن اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة: «أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلمًا، ليلقين الله وهو عنه معرض».

النمط السادس: أن يكون فعلها مضارعًا منفيًا مسبوقًا بشرط: ولم يرد إلا في موضع واحد وهو حديث زجر النبي ﷺ لأبي مسعود ﷺ كي يتوقف عن ضرب غلامه: «أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار».

ثانيًا: أنماط بناء جملة التنبيه بـ (أما) في الجملة الاسمية:

النمط الأول: أن تكون الجملة مؤكدة بـ(إن): وقد بلغت شواهدها ثلاثة عشر شاهدًا، وهو النمط الأكثر ورودًا، ونلاحظ أنه لم ترد الواو قبلها و(إن) مثل نمط بناء جملة التنبيه بـ (ألا) مع الجملة الاسمية المؤكدة بـ (إن) و(أن)، ومن الأمثلة على ذلك: دعاؤه عليه السلام لأسلم وغفار: «أما إني لم أقلها، ولكن قالها الله عز وجل"»، ومنه قصة زواج جابر ﷺ: «أما إنك قادم فإذا قدمت الكيس الكيس».

النمط الثاني: أن تكون الجملة مصدرة بالقسم: وقد وردت في أربعة مواضع، ومنها قوله ﷺ لمن ظن أن جواز التقبيل للصائم من خصائص رسول الله ﷺ؛ لأنه مغفور له: «أما والله إني أتقاكم لله، وأخشاكم له».

النمط الثالث: أن تكون الجملة مؤكدة بـ(إن) والسين: وقد ورد ذلك في ثلاثة شواهد، ومنها: قوله ﷺ لجابر ﷺ في اتخاذ الأنماط: «أما إنها ستكون».

النمط الرابع: أن يكون خبر الجملة مقدمًا (جارًا ومجرورًا): ولم ترد إلا في شاهد واحد وهو قوله ﷺ لأصحابه بعد أن ناموا عن صلاة الفجر ليس في النوم تفريط: «أما لكم فيّ أسوة؟».

وبعد، فهذا ما يتعلق بأبرز خصائص (ألا) و(أما) التركيبية في بناء جملتها، من خلال استقرائي لشواهدهما في صحيح مسلم، وإنعام النظر فيها، تحدثت فيه عن كل أداة على حدة، بدءًا بالأكثر ورودًا وهي (ألا) ثم الأقل وهي (أما)، كما ذكرت عدد ورود كل أداة مع الجملة الفعلية والاسمية، وقد تبين مما سبق أن الأداة (ألا) تفوق الأداة (أما) في عدد ورودها مع الجملة الفعلية والاسمية.

ويضاف إلى ما سبق أن (ألا) انفردت عن (أما) بخاصية وهي : أنها اختصت بالنكرة دون (أما): والعجيب أنها في لفظ (رجل) بالذات؛ وذلك يدل على مزيد من الاهتمام بخصائص الرجولة في هذه السياقات، والعناية بالأمر المراد تحقيقه وتقريره في النفوس، وذلك في خمسة أحاديث:

١. قوله ﷺ في فضل المنيحة: «ألا رجلٌ يمنحُ أهل بيت ناقة تغدو بعس وتروح بعس، إن أجرها لعظيم».

٢. قصة الصحابي الذي أتى بخبر قريش يوم الأحزاب: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟...» كررها ثلاثًا.

٣. قوله ﷺ في إكرام الضيف وفضل إيثاره: «ألا رجل يضيف هذا، رحمه الله...».

أما الخصائص التركيبية المشتركة بينهما فهي عشر خصائص، وقد رتبتها حسب كثرتها:

أولًا: اقترانهما بأسلوب الاستفهام، وقد بلغت الأحاديث المفتتحة بـ (ألا) و (أما) المقترنة بالاستفهام ثمانية وستين حديثًا :

ذلك أن الاستفهام يتصدر المرتبة الأولى في الاقتران بهما مقارنة بالأساليب الأخرى المشتركة بين (ألا) و(أما) بصور متعددة وأدوات مختلفة؛ لأنه من أكثر أساليب الكلام تعبيرًا عن المعاني في المواقف التي يراد بها التأثير على المخاطبين، وتهييج مشاعرهم، وصولًا إلى جذبهم إلى صف الإيمان، والالتزام بأحكام الشريعة، وردعهم عن انتهاك المحرمات، لذلك حرص النبي ﷺ على استعماله بكثرة ليمكن المعاني في نفوسهم[(١)].

---

(١) ينظر: أساليب الطلب في الحديث النبوي، عبدالله سعيد، ٧٣.

وكثيرًا ما يأتي الاستفهام توطئة تمهد لأسلوب التنبيه، فيؤثر في المخاطبين تأثيرًا بالغًا؛ إذ إن الاستفهام « يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور جاشت في نفس ملقيه»[١]، وهو يجعلهم طرفًا فاعلًا، ويشعرهم بأهميتهم عند المتكلم، فيستقر المراد في وجدانهم.

وقد اقترن أسلوب الاستفهام بـ (ألا) في ثلاثة وأربعين موضعًا، بينما اقترن بـ (أما) في خمسة وعشرين حديثًا، ومن شواهده :

أولًا: أسلوب (ألا):

١. حديث المسيء لصلاته: «يا فلان! ألا تحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه...».

٢. حديث الأمر بإتمام الصفوف في الصلاة وتسويتها: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله ! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟...».

٣. حديث بيان فضل الذكر: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة – أو قال– على كنز من كنوز الجنة؟...».

٤. حديث الطاعات التي يمحو بها الله الخطايا ويرفع الدرجات: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟...».

ثانيًا: أسلوب (أما) ومن شواهدها:

١. قوله ﷺ بعد ما أهم الصحابة ﷺ فوات الصلاة في السفر: «أما لكم فيّ أسوة ؟...».

٢. حديث تحريم الصدقة على أهل البيت: «أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟...».

٣. حديث النهي عن الوصال في الصوم: «ما بال رجال يواصلون؟ إنكم لستم مثلي، أما والله لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا...».

٤. حديث النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به: «أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟...».

---

(١) دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ٢٦١.

ثانيًا: اقترانهما بأسلوب الشرط، وقد بلغت الأحاديث المقترنة بالشرط ثمانية وثلاثين حديثًا:

واحتفال الحديث النبوي بأسلوب الشرط قوي جدا، وله حضور واضح في جملته، ولعل طبيعة الحديث ووظيفته تفسِّران ذلك[١]، بل قد يبنى الحديث بأكمله على هذا الأسلوب، وعليه يقوم المعنى ويكتمل، وتتضافر عناصره لتحقق التماسك في نص الحديث، لتكون الفكرة أكثر تأثيرًا في المتلقي، ويتحقق الغرض أو الهدف الذي أراد ﷺ تحقيقه، وبلغ عدد مواضع وروده مع (ألا) زهاء سبعة عشر موضعًا، أما (أما) فقد بلغت واحدًا وعشرين موضعًا، على النحو الآتي:

أولًا: (ألا):

١. حديث براءته ﷺ من خلة المخلوقين ومحبته ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ: «قال رسول الله ﷺ: ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله».

٢. قولهﷺ عن أفضل الصدقة: «...أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان».

٣. قوله ﷺ في النهي عن الحلف بغير الله تعالى: «ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».

٤. قوله ﷺ في النهي عن زواج المتعة: «ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئًا فلا يأخذه».

ثانيًا: (أما):

١. حديث الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات: «... أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك».

٢. حديث النهي عن الوصال في الصوم: «أما والله لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم».

---

(١) ينظر: بناء الجملة في الحديث، خليل أبو عودة، ٥٠٩.

٣. حثه ﷺ لجابر ﷺ على طلب الولد: «...أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس».

٤. حديث فضيلة صلة الرحم ووعيد من قطعها: «أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك».

ثالثًا: اقترانهما بأسلوب القصر، وقد بلغ تسعة وعشرين موضعًا:

ورد أسلوب القصر كثيرًا في الخطاب النبوي الخاص بأسلوب (ألا) و(أما)، بل وقد يبنى عليه الحديث كله، فيشكل السمة الأسلوبية الأبرز؛ ويرجع ذلك لثراء أسلوب القصر، وكثرة فوائده، وتنوع طرقه، فهو من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة والأسرار الكثيرة[١]، وهو ضرب من الإيجاز والتأكيد، ويقصد منه تمكين الكلام وتقريره في الذهن[٢].

وجاء الخطاب النبوي على هذا الطريق من القصر مع أسلوب (ألا) في تسعة عشر موضعًا، أما (أما) فقد بلغت عشرة مواضع.

أولًا: (ألا):

١. حديث النهي عن بيع الطعام مثلًا بمثل: «ألا إنما الربا في النسيئة ».

٢. قوله ﷺ موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم: «ألا إن آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين».

٣. قوله ﷺ في فضل الرمي والحث عليه: «...ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

٤. حديث تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية: «ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب، إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم».

---

(١) ينظر: علم المعاني، بسيوني فيود، ٢/٢٨٣.

(٢) ينظر: البلاغة العالية في علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، ٤٨.

٥. حديث المسيح الدجال وصفته: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور...».

ثانيًا: (أما):

١. قوله ﷺ فيمن نام عن صلاة: «أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يُصَلّ الصلاة حتى يجيء...».

٢. قوله ﷺ في تقديم الزكاة «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله... يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»؟

٣. حديث فضل الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن: «آلله ! ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم. ولكنه أتاني جبريل فأخبرني؛ أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة».

رابعًا: اقترانهما بالنداء، وقد بلغ تسعة وعشرين موضعًا:

كثر النداء في خطاب النبي ﷺ في الأحاديث الخاصة بأسلوب التنبيه بـ (ألا) و(أما)، فقد بلغ عدد وروده مع أسلوب (ألا) ثمانية عشر موضعًا، ونالت (أما) أحد عشر موضعًا.

وتجد النداء في هذه المواضع قد تقدّم على أسلوب التنبيه وقد يتأخر عنه، فكأنه يعد النفس ويهيئها لتلقي الأساليب، لذا فهي تتقوى به، لأنه يوقظ النفس، ويلفت الذهن وينبِّه المشاعر، لتتلقاه النفس بحس واع[1]، ومن نماذج ذلك ما يلي:

أولًا: (ألا):

---

(١) ينظر: علم المعاني، بسيوني فيود، ٢/٤١٨، ٤١٩.

١. حديث المسيء إلى صلاته: «يا فلان! ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي».

٢. حديث النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا...».

٣. حديث الرخصة في الصلاة في الثوب الواحد: «...ألا تشرع؟ يا جابر! قلت: بلى...».

ثانيًا: (أما):

١. قوله ﷺ لأبي مسعود لما ضرب غلامه: «...اعلم أبا مسعود! لله أقدر عليك منك عليه...أما لو لم تفعل، للفحتك النار...».

٢. حديث ترضية الأنصار: ««يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم، فسكتوا فقال: يا معشر الأنصار أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا...».

٣. قوله ﷺ لعمر ﷺ لما بعثه على الصدقة: «... يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟».

٤. قوله ﷺ لعمه عند فراش الموت: «...يا عم ! قُل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك... أَما والله! لأستغفرنّ لك مالم أُنهُ...».

خامسًا: تكرار الأداة في السياق الواحد، وقد بلغت الأحاديث التي تكررت معها الأداة تسعة عشر حديثًا:

كان التكرار منهجًا سلكه النبي ﷺ في حديثه؛ لتأكيد المعنى وتقريره في النفس، استعمله لأغراض شتى، ولغايات متنوعة؛ لما يضيفه التكرار من العناية بالأمر، والدعوة إلى الاهتمام به، فكان ﷺ يكرر المعنى أو اللفظ أو العبارة أو الحرف[١]، ومن هذا القبيل كرر النبي ﷺ أسلوب التنبيه (ألا) و(أما) لزيادة الإيقاظ والتنبيه واستمالة المخاطبين، فجاء أسلوب (ألا) مكررًا في ستة عشر موضعًا، بينما جاء أسلوب (أما) مكررًا في ثلاث شواهد، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: التكرار في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، تكرار أداة الاستفتاح (ألا)، ٨٩، ٩٠، ١١٠.

أولًا: (ألا):

١. حديث المسيء إلى صلاته: «يا فلان! ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلى...».

٢. قصة غزوة الأحزاب: «قال رسول الله ﷺ «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟...» كررها ثلاثًا.

٣. قوله ﷺ في الحث على الرماية وتعلمها: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي...» وكررها ثلاثًا.

ثانيًا: (أما):

١. حديث فضل عيادة المريض وتشييع الميت: «...أما علمت أن عبدي فلانًا... أما علمت أنك لو عدته...أما علمت أنه استطعمك...أما علمت أنك لو أطعمته...أما إنك لو سقيته...».

٢. قوله ﷺ لمن نام عن الصلاة أو نسيها: «... أما لكم في أسوة؟ أما إنه ليس في النوم تفريط....».

٣. قوله ﷺ في بيان فضل هذه الأمة ومكانتها بين الأمم: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة...أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة...».

سادسًا: اقترانهما بالقسم، وقد بلغت الأحاديث المقترنة بالقسم ستة عشر حديثًا:

والقسم من المؤكدات القوية التي كان ﷺ يؤكد به ما يستحق المقام تأكيده من معنى[١]، فهو وسيلة من وسائل التنبيه والإيقاظ وحث الهمم إلى الاستماع إلى ما يليه، فما إن يسمع المخاطب القسم حتى يفتح أذنيه ليعلم المقسم عليه[٢]، لذا نرى أنه كثر مع أسلوب التنبيه في حديثه ﷺ في الأمور الخطيرة والضرورية لعقيدة المسلم، واقترن مع (ألا) في سبعة مواضع، بينما نالت (أما) تسعة مواضع، ومن شواهد ذلك:

أولًا: (ألا):

١. حديث المسيء إلى صلاته: «يا فلان! ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله...».

---

(١) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عزالدين سيد، ١٠٤.

(٢) ينظر: بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، ٨١.

٢. حديث بيان فضل المدينة المنورة: «...والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه، ألا إن المدينة كالكير...».

ثانيًا: (أما):

١. قوله ﷺ عندما سئل عن أفضل الصدقة: «...أما وأبيك لتنبأنه، أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر...».

٢. قصة رجم ماعز بن مالك الأسلمي: «...أما والله،إن يمكنِّي من أحدهم لأنكلنّه عنه».

٣. قوله ﷺ في النهي عن الوصال في الصوم: «... أما والله، لو تماد لي الشهر لواصلت وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم».

٤. حديث التوبة وفرح الله بالتائب: «... أما، والله، لله أشد فرحًا بتوبة عبده، من الرجل براحلته».

سابعًا: اقتران (ألا) و(أما) بالحركة والإشارة:

بالنظر للأحاديث النبوية الخاصة بـ(ألا) و(أما) يمكننا أن نلحظ أن عددًا منها تضمنت إيحاءات وتعبيرات صادرة من وجه النبي ﷺ وعينيه الكريمتين، من حزن وفرح وغضب وغير ذلك، كذلك استعمل يديه الشريفتين بحركات مخصوصة للتعبير عن مقاصده.

وقد كان لحركته ﷺ وإشارته دور كبير في أداء المعنى؛ فهي توحي أكثر مما تصرح، فحركته معبرة تستلفت النظر، وتنبه الغافل، وتعين على الحفظ[١]

حيث أنه لا يكتفي بالتنبيه بـ(ألا) و(أما) بل يستعين بهذه الحركات والإيحاءات لتعضد التنبيه بهما، فكأنه تنبيه إلى تنبيه، ليكون أشد بيانًا وأوقع على النفس.

---

(١) ينظر: الحديث النبوي (مصطلحه، بلاغته، كتبه)، محمد الصباغ، ٥٧.

ولدى استقراء صحيح مسلم تبين أن عدد المواضع المتضمنة للإشارات المتنوعة مع أسلوب التنبيه (ألا) و(أما) أربعة عشر موضعًا، مقسمة على النحو الآتي:

أولاً: عشرة مواضع مع (ألا)، منها:

١. حديث بكاء النبي ﷺ لمرض سعد بن عبادة: «...ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا (وأشار إلى لسانه) أو يرحم».

٢. حديث بيان أكبر الكبائر: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟... وكان متكئًا فجلس...».

٣. حديث قصة بطولة جرير في غزوة ذي الخصلة: «يا جرير! ألا تريحني من ذي الخصلة... وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده في صدري فقال: اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا...».

٤. حديث حث النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنها على القيام لصلاة الليل: «أن النبي ﷺ طرقة وفاطمة، فقال: ألا تصلون؟... ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا».

ثانيًا: أربعة مواضع مع (أما):

١. قصة بكاء عمر ﷺ حين رأى حال النبي ﷺ: «... فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ... فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة».

٢. قصة دعاء النبي ﷺ على يتيمة أم سليم: «...فضحِك عليه الصلاة والسلام، ثم قال: يا أم سليم، أما تعلمين شرطي على ربي...».

٣. قصة الجساسة: «... فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه...أما إن ماءها يوشك أن يذهب... وأومأ بيده إلى المشرق».

نلاحظ في هذا العرض أن النبي ﷺ استعمل الإشارة مع أسلوب التنبيه (ألا) و(أما) في مقامات توجيه المخاطبين إرشادهم؛ لأن ذلك أدعى لأن يفهموا مراده ويتأثروا به.

ثامنًا: دخول (ألا) و(أما) على فعل (الرضا) بصيغة المضارع، وذلك في ثلاثة عشر حديثًا:

خمسة أحاديث مع (ألا)، وثمانية مع (أما) ومن أمثلة ذلك:

أولًا: (ألا):

١. قوله ﷺ في غزوة حنين يسترضي الأنصار بعد وجدهم لحرمانهم من الفيء: «...ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم الأنصار شعار...».

٢. قوله ﷺ لعمر ﷺ عندما بكى لرؤية أثر الحصير في جنب النبي ﷺ: «ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا قلت بلى...».

٣. قوله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها عندما جزعت لمرضه: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك».

ثانيًا: (أما):

١. قوله ﷺ لعلي ﷺ حين خرج إلى تبوك ولم يستصحبه: «...أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟».

٢. قوله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «...أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟».

٣. حديث فضل صلة الرحم وحرمة قطيعتها: «...أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟...».

٤. قوله ﷺ لعمر ﷺ: «...أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة؟!».

تاسعًا: اقترانهما بالدعاء، وقد بلغت الأحاديث المقترنة بالدعاء مع (أما) و (ألا) تسعة مواضع:

يختار النبي ﷺ الدعاء في خطابه مراعاة لحال المخاطب؛ نظرًا لعظم موقعه عند المخاطب

في أغراض كثيرة، وقد يأتي مستقلًا بنفسه في الخطاب، وقد يأتي مصحوبًا بغيره[١]، كاستخدامه مع أسلوب التنبيه حيث بلغ عدد مواضع استخدامه مع (ألا) سبعة مواضع، بينما لم يرد مع (أما) إلا في موضعين فقط، على النحو الآتي:

أولًا: (ألا):

١. قصة غزوة الأحزاب: «قال رسول الله ﷺ «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟...».

٢. حديث الأنصاري الذي آثر ضيفه على أهله: «ألا رجل يضيف هذا، رحمه الله...».

٣. قصة غزوة ذي الخصلة: «يا جرير! ألا تريحني... وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده في صدري فقال: اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًا...».

ثانيًا: (أما):

١. حديث دعائه ﷺ لقبيلة أسلم وغفار: «"أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها، أما إني لم أقلها، ولكن قالها الله ﷻ».

٢. قصة دعائه على يتيمة أم سليم: «يا أم سليم، أما تعلمين شرطي على ربي...فأيما أحد دعوت عليه من أمتي، بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهورًا وزكاةً وقربةً يقربه بها منه يوم القيامة».

عاشرًا: تنوع استخدام (ألا) و(أما) في السياق الواحد، وقد بلغت الأحاديث التي جاء فيها هذا التنوع ثلاثة أحاديث :

حيث يرد التنبيه بـ(ألا) و(أما) معًا في الحديث الواحد؛ لتحقيق أهداف كان النبي ﷺ يسعى إليها، كتأكيد المعنى، أو التحذير منه، أو الترغيب فيه، أو الوعيد والتهديد، أو غير ذلك من الأغراض التي حققها من خلال التنويع بين (ألا) و(أما) في الحديث الواحد، آتت أكلها وثمارها في قلوب السامعين، كما في حديث قصة رجم ماعز بن مالك الأسلمي حين جيء به إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى، حيث استخدم أولًا (ألا) ثم (أما): «ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله خلف أحدهم...أما والله إن يمكني من أحدهم لأنكلنّه عنه»، وكذا في

---

(١) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، يوسف العليوي، ١٨٢.

حديث ترضية الرسول ﷺ للأنصار لما فتح حنينا وقسم الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم، حيث جاء بـ (ألا) أولًا ثم (أما) وختم بـ(ألا): «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي...ألا تجيبوني...أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا...ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل...»، كذلك حديث الجساسة في الحديث الطويل،: «...أما إنه يوشك أن لا ماءها يوشك أن يذهب... أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه،... ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟...ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن...». نوّع ﷺ بين (ألا) و(أما) في خمسة مواضع في هذا الحديث العظيم، ولا عجب فقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تحذير أمته من يوم القيامة وأشراطه، وخاصة ما يكون من شر فتنة المسيح الدجال، فهو من أعظم الفتن التي ستأثر بالبشرية من لدن آدم إلى قيام الساعة، فلم يألُ النبي ﷺ جهدًا في بيان علاماته وذكر صفاته.

بعد تقديم هذا التصور للمقامات التي استدعت الافتتاح بأسلوب التنبيه بـ(ألا، وأما)، وأنواع المخاطبين بهما، والموازنة بينهما، خلص هذا الفصل إلى نتائج، على النحو الآتي:

١- تفاوتت المقامات البلاغية لأسلوب التنبيه بـ(ألا وأما) من حيث الكثرة والقلة، فهناك مقامات كثر وردوها منها: التحضيض والحث، التشويق، التعليم والإرشاد، وهناك مقامات قل ورودها منها:السخرية، التكثير، الاستعطاف، وهناك مقامات لم ترد ومنها: الاستبعاد، التيئيس، التفجع.

٢- يختار الرسول ﷺ أساليبه وألفاظه بحسب حال المخاطبين، فيراعي ديانتهم، وبيئتهم، ومكانتهم الاجتماعية، وصفاتهم، كذلك كان يراعي عدد المخاطبين وجنسهم وأعمارهم.

٣- جاءت "ألا" في خطاب (الجماعة، والمفرد، والمثنى) على حد سواء، وبلغ خطاب الجماعة مئة وأربعة موضعاً، وبلغ خطاب المفرد خمسة وعشرين موضعاً، وبلغ خطاب المثنى موضعين فقط.

٤- جاءت (أما) في خطاب الجماعة والمفرد، وبلغ خطاب الجماعة اثنين وعشرين موضعاً، وبلغ خطاب المفرد: ستة وعشرين موضعاً.

٥- تفوَّقت شواهد(ألا، وأما) في خطاب الجماعة على خطاب المثنى والمفرد، حيث قد بلغ عدد شواهدهما في خطاب الجماعة: مئة وثلاثين شاهداً، بينما بلغ عدد شواهد المثنى موضعين فقط، وبلغ المفرد ثمانية وأربعين شاهداً.

٦- جاءت (ألا، وأما) في خطاب غير المسلمين في موضعين: الأول: (مع أما) في خطاب الكافر، وهو عم الرسول ﷺ في قوله: «أَما والله! لأستغفرنّ لك مالم أُنْهُ عَنْكَ ...»، والثاني: مع (ألا) في خطاب اليهود والنصارى، في حديث معرفة طريق الرؤية:«ألا تردون فيحشرون إلى النار ... فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى ربنا ...».

٧-هناك موضوعات كثيرة لم يرد فيها أسلوب التنبيه بـ(ألا وأما) وهذا لا يعني أنها غير مهمة، لخلوها من هذا الأسلوب، فمع بلاغته إلا أنه وسيلة من الوسائل التي وظفها الرسول ﷺ، للدلالة على أهمية الموضوعات وتحقيقها.

٨- اتخذ البناء اللغوي لجمل التنبيه أنماطا متنوعة، وصوراً متعددة، ولم يلتزم صورة واحدة.

٩- تفوقت (ألا) على (أما) في عدد ورودها مع الجملة الفعلية والاسمية، فقد بلغت شواهدها مع الجملة الفعلية ستة وثمانين شاهدًا، بينما بلغت (أما) مع الجملة الفعلية سبعة وعشرين موضعاً، كذلك بلغ إجمالي ورود (ألا) مع الجملة الاسمية ثمانية وأربعين شاهداً، بينما بلغت أحاديث (أما) مع الجملة الاسمية واحدًا وعشرين شاهداً.

١٠- انفردت (ألا) عن (أما) ببعض الخصائص، منها: اختصاصها بالنكرة، مثل قوله ﷺ: (ألا رجل يمنح أهل بيت...).

١١-تشترك (ألا) مع (أما) في عدة خصائص منها: اقترانهما مع الاستفهام، والشرط، والقصر، والنداء، والقسم، والحركة والإشارة، والدعاء، ودخولهما على فعل (الرضا) بصيغة المضارع، وتكرار الأداة في السياق الواحد، وتنوع استخدامهما في السياق الواحد.

الخاتمة

لقد حاولت في هذا البحث الوصول إلى إبراز الأثر الذي يحدثه التنبيه بأسلوبي (ألا) و(أما) من خلال الأحاديث النبوية في صحيح مسلم، والكشف عن خباياه ومقدرته الكبيرة على تحريك النفوس وإيقاظ الشعور، وكيف أدى مهمته الوظيفية من تمهيد وتشويق لمعانيه العظيمة، ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة:

١. أن أسلوب الحوار كان هو الركيزة للأحاديث النبوية المشتملة على أسلوب التنبيه بـ(ألا) و(أما) في صحيح مسلم، وهو يسجل نسبة حضور مكثفة؛ نظراً لما يتمتع به من تأثير على المخاطب، وقدرة على الجذب ثم الإقناع والإفهام.

٢. أن جملة التنبيه بـ (ألا) أو(أما) لم يلزم صورة تركيبية واحدة، بل إن البناء اللغوي لجملة التنبيه اتخذ أنماطاً متنوعة، وصوراً متعددة، ولكل نمط وصورة دلالة خاصة، تكشف عنها بنية السياق.

٣. أن التنبيه بـ (ألا) أو(أما) لا يؤدي المعنى لوحده، وإنما بمعونة المقام وقرائن الأحوال، فتضفي على هذه الأساليب الدلالة المقصودة.

٤. يتعانق أسلوب التنبيه بـ (ألا) و(أما) مع سائر الأساليب الكلامية الأخرى؛ لتأدية المقصود، فيجيء معها في السياق الواحد، مثل: الاستفهام، والشرط، والقصر، والنداء... وغيرها، خاصة الأساليب الإنشائية؛ لتكون بذلك أكثر فاعلية وأعمق أثراً في نفس المخاطب.

٥. تكرار أسلوب التنبيه في الحديث الواحد إيذاناً بأهمية الكلام، وتأكيده، ولفتاً لانتباه السامع، والدلالة على العناية به.

٦. تفاوت المقامات البلاغية لأسلوبي التنبيه (ألا) و(أما) في صحيح مسلم من حيث الكثرة والقلة، فهناك مقامات كثر ورودها، مثل: التشويق، والتحضيض، والحث، والإنكار، وهنالك مقامات قل ورودها مثل: التهكُّم، السخرية، التمني.

٧. استحداث النبي ﷺ أغراضاً دقيقة ومعاني جديدة، بل إن هناك أغراضاً وردت في أحاديث الرسول ﷺ لم يتطرق لها البلاغيون، من ذلك: الحث على الاستنباط، وإعمال العقل للقياس، مثل قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «ألا تكفيك آية الصيف»، وقوله ﷺ لأصحابه: «ألا تقولون كيفه؟»، فهو ﷺ لا يرضى لأمته التقليد، ويحرص على تعليم أتباعه حسن النظر والتدبُّر والاستنباط.

٨. إعادة البناء الأسلوبي وتكراره، وهي سمة أسلوبية بارزة في الحديث النبوي الشريف، مثل قوله ﷺ: (ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليحق بإبله، ومن كانت له غنم فليحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليحق بأرضه)، وتكرار هذا النمط الأسلوبي نفسه يسهم –بلا شك– في تحقيق أعلى درجات السبك والتوازن في بيانه الشريف، ويسهل حفظه في الأذهان، ويرسخ في القلوب، ويتمكّن في النفوس.

٩. عناية الرسول ﷺ بالمخاطبين ومراعاة أحوالهم، والعوامل المؤثرة فيهم من حيث الديانة، والجنس، والعمر، والمنزلة، والبيئة، وعدد المخاطبين، مما جعل الأحاديث النبوية منظومة تواصلية

بالغة التأثير في المخاطب.

١٠. وظّف ﷺ مع أسلوب التنبيه، الإشارة والحركة الجسدية وأنزلها منزلة الألفاظ حينما يتطلبها المقام ويقتضيها الحال، وتنوعت الإشارات المستعملة في النظم النبوي الشريف من (تعبيرات الوجه، تغيير هيئة الجسم، حركة اليد...)، ومن المعلوم أن الشيء المحسوس أقوى تأثيراً على النفس، فيتنبه الغافل، وتكون عوناً في زيادة فهمه وحفظه للمعنى المراد.

١١. يستخدم النبي ﷺ التمهيد بما يخفى على المخاطب، قبل أن يطلق جملة التنبيه أحياناً، يثير فيه التساؤل والحوار، ثم يأتي بأسلوب التنبيه، ليوضّح هذا الأمر للمخاطب.

١٢. إسهام (ألا) و(أما) في التخفيف من الأمر المباشر للمخاطبين، خاصة في التشريعات، وتتخذ صورة العرض والتطلف في الطلب؛ حتى لا يثقل التكليف عليهم، مثل قوله ﷺ: (ألا تصليان)، (أما ترضين)، (ألا

ترضى)، (أما ترضون)، وهذا لأنه الرحمة المهداة للناس، يقول الله ﷻ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ}(١).

١٣. استثمار المواقف والفرص، فالمواقف تستثير المشاعر فإذا استثمرت يقع التعليم والإرشاد موقعه المناسب، وهي متنوعة كثيرة، فقد يكون موقف حزن فيتطلب الوعظ كما في وعظه أصحابه عندما عادوا رجلاً موعوكاً بالحمى: (ألا أخبركم بأشد حراً منه يوم القيامة..)، أو قد يكون مقام مصيبة كما قال لأصحابه عندما عادوا مريضاً على وشك الموت: (ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذّب بدمع العين)، أو قد تكون ظاهرة كونية مجردة: (أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر).

١٤. إسهام هاتين الأداتين في التوجيه غير مباشر في كثير من توجيهاته، دون أن يخصص أحداً بعينه، خاصة في مقامات الإنكار، وهي سمة من سمات البيان النبوي حتى لا يفضح أحداً أمام الملأ إذا أتى منكراً، مثل إنكارهﷺ على أصحابه الوصال في الصوم: (ما بال رجال يواصلون ... أما والله لو تمادى لي الشهر...)، ونهيه عن الحلف بغير الله حينما حلف عبد الله بن عمر رضي الله عنه بأبيه (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم...)، وهذه –بلا شك– من أنجع الطرق التربوية في تقويم وإصلاح السلوك.

١٥. تآزرت كثير من الأساليب البلاغية في تأدية (ألا) و(أما) المعاني المرادة منها، كالإيجاز، والإطناب، والتقديم، والتأخير، والمجاز، والتشبيه، والأسلوب الحكيم؛ ليرسم للمخاطب صورة كاملة، كأنه يراها أو يعيشها.

١٦. أن الموضوعات التي تم توظيف أسلوب التنبيه بـ(ألا) و(أما) للتعبير عنها، هي من الأهمية بمكان، حيث تطلبت تحريك الأذهان وإثارة الانفعالات؛ لتتحفز كل حواس المخاطب للتلقي والامتثال، خاصة في موضوعات العقيدة وفرائضها، وقد تجتمع كل الأساليب مع أسلوب التنبيه في حديث واحد كحديث المسيء لصلاته: «يا فلان! ألا تحسن صلاتك، ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر بين يدي»، جمع فيه الأساليب الآتية: (تنبيه، نداء، استفهام، قصر، تأكيد، قسم)، وهذا دليل على عناية

---

(١) سورة آل عمران:١٥٩.

الرسول ﷺ بالصلاة، لذلك حشد كل هذه الأساليب، ولا عجب لعظم هذه العبادة، فالله أمر بالصلاة ولم يقل صلوا، بل قال ﷻ: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ}[1] وإقامة الصلاة أعظم.

وأخيراً: فإني أحمد الله ﷻ وأشكره، وأثني عليه الخير كله على تيسيره وتوفيقه، وعلى ما منَّ به من إتمام هذا البحث، وإنجازه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

(١) سورة البقرة:٤٣.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٧م.
- أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي في البلاغة العربية، وليد إبراهيم القصاب، ضمن بحوث ندوة الدراسات البلاغية بين الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ.
- أحرف التنبيه في القرآن الكريم – دراسة نحوية وصفية تحليلية، حبيب الله عبدالرحيم صالح، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، (د.ط)، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٩م.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- الأدوات النحوية، إبراهيم محسن، (د.ن)، (د.م)، ط٣، ١٩٩٣م– ١٩٩٤م.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: عبدالرحمن محمود، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٩هـ.
- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في الحديث النبوي في الجزء الأول من (الترغيب والترهيب) للمنذري، لأحمد ماضي عناني، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالزقازيق، ١٩٩٦م.
- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح دراز، مكتبة وهبة، (د.م)، ط١، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.
- أساليب الطلب في الحديث الشريف، هناء محمود شهاب، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٥م.
- أساليب الطلب في الحديث النبوي الشريف – دراسة لغوية بيانية في الموطأ، عبدالله محمد سعيد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ط)، ٢٠٠٠م.
- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، صباح دراز، دار الكتب العلمية، (د.م)، (د.ط)، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، دار الجديد، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م.
- الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية، عبدالعزيز العمار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.
- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، أسامة صلاح الدين، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- أسلوب الاستفهام في الأحاديث القدسية في رياض الصالحين – دراسة نحوية بلاغية تداولية، ناغش عيدة، الجزائر، ٢٠١٢م.
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

- الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، د. محمد بن علي الصامل، مجلة جامعة الإمام، العدد: (١٥)، شعبان ١٤١٦هـ.
- أسلوب الحوار في الحديث النبوي، خليل محمد أيوب، دار النوادر، (د.م)، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- أسلوب الحوار في صحيح مسلم، محمود السيد أبو شلبي، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، ١٤١٨هـ.
- أسلوب النداء في الحديث النبوي الشريف، ضحى حيدر علي، دار جرير، (د.م)، ط١، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٨.
- أسلوبا العرض والتحضيض في الحديث الشريف: دراسة دلالية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، مجلة التربية والعلم، العدد: (١٩)، ١٩٩٦م.
- الأسلوبية والنقد الأدبي، عبدالسلام المسدي، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، السنة الثانية، العدد: الأول، ١٩٨٢م.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، مراجعة: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- أصول الحديث علومه ومصطلحه، الخطيب محمد عجاج، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الصادق الرافعي، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، (د.م)، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
- الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، محمد عبدالرحمن طوالبة، دار عمار، عمان، (د.ط)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- إمعان في أقسام القرآن ، تأليف العلامة عبدالحميد الفراهي رحمه الله، صاحب تفسير (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، مكتبة ملتقى أهل التفسير www.tafsir.org/books
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب النحوي، تحقيق: موسى الأليلي، المكتبة الوطنية، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، (د.ت).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٠هـ.
- البداية والنهاية لابن كثير، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- البديع في الحديث النبوي الشريف، خالد داود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (د.ط)، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

- البرهان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، مكتبة دار التراث، القاهرة،(د.ط)، (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، سعيد جمعة، ملتقى أهل التفسير على الموقع الآتي: www.tafsir.net
- بلاغة الإيجاز والإطناب في بناء الجملة الحديثية، هناء محمود شهاب، محمد عاصم النعيمي، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد: (١٥)، العدد: (٣)، ٢٠٠٨م.
- بلاغة التقابل في الحديث النبوي الشريف، أسماء الخطاب، دار النابغة، (د.م)، ط١، ١٤٣٥-٢٠١٤م.
- بلاغة الرسول، الدكتور علي محمد حسن العماري، دار الأنصار، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- البلاغة العالية في علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ظافر العمري، مكتبة وهبة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، عبدالله هنداوي، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، محمد محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، المجلد: (٢٦)، العدد: (٣-٤)، ٢٠١٠م.
- البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، غالب الشاويش، مكتبة الرشد، (د.م)، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية، يوسف العليوي، سلسلة البحوث العلمية المحكمة (٢٥)، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- البلاغة في السنة النبوية، عزة جدوع، مكتبة المتنبي، (د.م)، ط٣، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- البلاغة في القرآن الكريم والسنة النبوية، عزة جدوع، مكتبة المتنبي، (د.م)، ط٣، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د. عودة خليل عودة، دار البشير، (د.م)، ط٢، ١٩٩٤م.
- بيان إعجاز القرآن، ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

- البيان النبوي، محمد رجب بيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر، (د.م)، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٣هـ.
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، تحقيق: عبدالحليم النجار- رمضان عبدالتواب، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، ١٩٧٧م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- تأملات في البيان النبوي، إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.
- تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٤م.
- تحليل الخطاب النبوي للمرأة دراسة لسانية اجتماعية، محمود قدوم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، (د.م)، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
- التسهيل، ابن مالك، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، محمد السيد موسى، كلية التربية، جامعة المنصورة، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، (د.ت).
- التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية، أحمد عيضة الثقفي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة الأطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات (١٤٣)، ١٩٧٨م.
- التشويق في الحديث النبوي، بسيوني فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، (د.م)، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (د.م)، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، (د.م)، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (د.ن)، القاهرة، ط٣، ١٩٤٥م.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- تفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي، مكتبة السنة، (د.م)، ط١، ١٤٢٥هـ - ١٩٩٥م.

- التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ دراسة أسلوبية، محمد عبد المطلب، مجلة فصول، المجلد: الثالث، الجزء: الثاني، العدد: الثاني، ١٩٨٣م.
- التكرار في الحديث النبوي الشريف، أميمة بدر الدين، مجلة جامعة دمشق، المجلد: (٢٦)، العدد: (١-٢)، ٢٠١٠م.
- تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.
- تهذيب التهذيب، العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي الْمِزِّيّ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- توصيف الإشارة في الحديث النبوي الشريف، هاني صبري آل يونس، دعد يونس حسين العبيدي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، (د.م)، ط١، ٢٠١٦م.
- حاشية العصام على الجامي على الكافية، إبراهيم محمد عربشاه الأسفراتيني، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صابر، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- الحديث النبوي (مصلحه، بلاغته، كتبه)، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار اقرأ، (د.م)، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- الحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د.ط)، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم، نقله إلى العربية: الأستاذ عبدالعزيز توفيق جاويد، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (د.م)، ط٩، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف، هناء محمود شهاب، دار غيداء، (د.م)، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أحمد بن عبدالله صفي الدين اليمني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر – حلب / بيروت، ط٥، ١٤١٦هـ.
- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، محمد الندوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
- دراسات في البيان النبوي، محمد رفعت زنجير، دار اقرأ ، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م.
- دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (د.م)، ط٥، ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد الشافعي، علق عليه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
- ديوان حسان بن ثابت، شرحه: الأستاذ عبد المهنا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.
- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، تعليق: يسرى عبدالغني، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- رجال مع رسول الله ﷺ في طريق الدعوة، أحمد يوسف القادري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (د.م)، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.
- رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، يوسف عبدالله العليوي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٨–١٤٢٩هـ.
- سلسلة شرح أسرار البلاغة من الدروس الصوتية، محمد محمد أبو موسى، الدرس ٢٢، ٢٣.
- السمات البلاغية في بيان النبوة، صباح دراز، مكتبة وهبة، (د.م)، (د.ط)، ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- شخصية المرأة المسلمة، محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

- شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في السمت الأول من الكلام، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (د.م)، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد عبدالله الجرجاوي الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- شرح الدماميني على مغني اللبيب المسمى المزج، أبو بكر الدماميني، تحقيق: محمد السيد عثمان، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي، تحقيق: حسن بن محمد الحفظي، يحيى بشير مصطفى، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٦٦م.
- شرح الزرقاني على موطأ ابن مالك، محمد عبدالباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- شرح العصام على الكافية، عصام الدين إبراهيم، مطبعة دار السلطان، القاهرة،(د.ط)، (د.ت).
- شرح الكافية الشافية، ابن مالك الشافعي، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية(د.ط)، (د.ت).
- شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، (د.ت).
- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين النحوي، المحقق: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الكتاب مرقم آليًا ورقم الجزء هو رقم الدرس.
- شرح ديوان المتنبي، عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، (د.ط)، ١٤٢٦هـ.
- شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني، تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- شرح شواهد المغني، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان مذيل، وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، الناشر: لجنة التراث العربي، (د.م)، (د.ط)، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- شرح صحيح مسلم الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبدالله الشّافعيّ، دار المنهاج، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م.

- شرح صحيح مسلم، حسن أبو الأشبال، دروس صوتية، موقع المكتبة الشاملة.
- شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، عبدالكريم الخضير، دروس مفرقة من موقع الشيخ الخضير، الكتاب مرقم آلياً، رقم الجزء هو رقم الدرس، ٨ دروس.
- شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، (د.ط)، (د.ت)، ويتضمن:
- التلخيص للقزويني.
- حاشية الدسوقي على شرح السعد.
- عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي
- مختصر سعد الدين التفتازاني.
- مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٣هـ.
- الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، (د.ط)، (د.ت)، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الحديث، القاهرة، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، مؤسسة المختار، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- الصناعتين، العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، ١٤١٩هـ.
- صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٢م.
- العبر للذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، بيت الياسمين، (د.م)، ط١، ٢٠١٧م.
- عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.
- علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط)، (د.ت).

- علم المعاني، بسيوني فيود، المختار للنشر والتوزيع، (د.م)، ط٤، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
- علوم البلاغة، المراغي، دار القلم، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- العمدة، ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، تحقيق: محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، الناشر: عيسى الحلبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٩هـ.
- فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي، وهو شرح على المختصر المذكور المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، عبدالله الشرقاوي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- فوائد في علوم الحديث وكتبه وأهله، أبو العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- في ظلال الحديث النبوي، نور الدين عتر، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- القصص في الحديث النبوي، محمد حسن الزير، دار المدني، (د.م)، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- القيامة الصغرى، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، ط٣، ١٩١٩م.
- الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز(مكة المكرمة- الرياض)، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، دار القبلة للثقافة الاسلامية مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)،١٣٢١هـ- ١٩٩٢م.
- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد إسماعيل الكوارتي، دار الكتب العلمية، (د.م)، (د.ط)، ٢٠١٢م.
- كيف عاملهم ﷺ؟ محمد صالح المنجد، زاد للنشر، الرياض، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

- المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، عبدالعظيم مطعني، مكتبة وهبة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- المجازات النبوية، الشريف الرضي، تحقيق وشرح: طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، (د.ط)، (د.ت).
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، (د.م)، (د.ط)، ١٩٥٥م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: مصطفى السقا، نشر معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- مدخل إلى البلاغة النبوية، حلمي القاعود، دار النشر الدولي، (د.م)، ط١، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.
- مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة، دار التراث، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- معالم البيان النبوي في الحديث النبوي، عبدالمحسن العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، (د.ط)، ١٤٣٥هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، المكتبة الأموية، ط٤، ١٩٨٣م.
- المعجم المفصل في الإعراب، طاهر الخطيب، منشورات: محمد علي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- مغني اللبيب حاشية محمد الأمير، جمال الدين الأنصاري، دار إحياء الكتب العربية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
- مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، تحقيق: يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، أحمد محمد السيد، محي الدين ديب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، (د.ط)، (د.ت).

- مقاييس اللغة، أبو الحسين بن فارس الرازي، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.

- المقتصد في شرح الإيضاح، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٢م.

- مقدمة في البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، (د.ن)، (د.م)، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، (د.م)، ط٢، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٨م.

- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، (د.م)، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩١م.

- من بلاغة الحديث الشريف، عبدالفتاح لاشين، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، (د.م)، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- من بلاغة الرسول التصوير البياني في الحديث النبوي، أحمد علي عبدالعزيز، دار اليقين، مصر، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

- منة المنعم في شرح صحيح مسلم، صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م.

- منهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، (د.ط)، ١٩٦٦م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د.ط)، (د.ت).

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، (د.ت).

- نداء المخاطبين في القرآن، علي عبدالواحد وافي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد: الثامن، ١٩٧٨م.

- نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

- نقد الأسلوب من علم البلاغة إلى علم الأسلوبيات، مازن الوعر، بحث مقدم إلى مؤتمر النقد الأدبي الرابع، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- وحي الرسالة، الزيات، دار الثقافة، بيروت، ط٩، ١٩٨٥م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسملة	أ
الشكر والتقدير	ب
المقدمة	١
التمهيد	٧
أولاً: التعريف بالإمام مسلم ، ومكانة كتابه الصحيح .	٨
ثانياص: مصطلح (المقام) في البلاغة العربية : أصوله وأهميته في الدرس البلاغي .	١٣
الفصل الأول :أسلوب (ألا) في صحيح مسلم .	٢٧
المبحث الأول : (ألا) : تأصيلها ، وأثرها في النظم .	٢٩
المبحث الثاني : مدخولات (ألا) في صحيح مسلم والأثر البلاغي المترتب على ذلك .	٣٤٠
الفصل الثاني : أسلوب (أما) في صحيح مسلم .	١٥٧
المبحث الأول : (أما) تأصيلها ، وأثرها في النظم .	١٥٩
المبحث الثاني : مدخولات (أما) في صحيح مسلم ، والأثر البلاغي المترتب على ذلك .	١٦٥
الفصل الثالث : مقامات أسلوب (أما) و(ألا) في صحيح مسلم –دراسة موازنة	٢٤٢
المبحث الأول : مقامات استخدام (أما) و(ألا) ، وأنواع المخاطبين بها في صحيح مسلم .	٢٤٣
المبحث الثاني : المقارنة بين أسلوبي (ألا) ، و (أما) في صحيح مسلم .	٢٧٨
الخاتمة	٣٠٣
الفهارس	٣٠٧
مستخلص الدراسة باللغة العربية	٣٢٩
مستخلص الدراسة باللغة الإنجليزية	٣٣٠

مستخلص الدراسة

يدرس هذا البحث المعنون بـ:**(أسلوب (ألا) و(أما) في صحيح مسلم بين المقام والدلالة)**، مقامات (ألا) و(أما) في صحيح مسلم ومدخولاتها ، وآثارها البلاغية، ويستمد أهميته من كونه يتناول موضوعاً مرتبطاً ببيان الرسول ﷺ أعلى البشر فصاحةً، ويهدف باختصار إلى: جمع واستقصاء الأحاديث التي تشتمل على التنبيه بـ(ألا) و(أما) في صحيح مسلم، وتبويبها حسب مدخولاتها، وإماطة اللثام عن أهمية هاتين الأداتين وقيمتهما التعبيرية في بيانه ﷺ، وتأديتهما لمهمتها من التشويق والتمهيد وحسن التنبيه لمعانيه الجليلة التي تروي لهفة السامعين المتعطشين، والكشف عن الأنماط التركيبية لجملة التنبيه وسماتها البلاغية، واقتضى أن يكون البحث في ثلاثة فصول سبقتها مقدمة، وتمهيد وتلتها خاتمة، تناولت في التمهيد: التعريف بالإمام مسلم، ومكانة كتابه الصحيح، ودراسة مصطلح (المقام) في البلاغة العربية، من حيث أصوله وأهميته في الدرس البلاغي، وجاء الفصل الأول بعنوان: أسلوب "ألا" في صحيح مسلم، وعرضت فيه تأصيل"ألا" وأثرها في النظم، ومدخولاتها في صحيح مسلم، وآثارها البلاغية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: أسلوب (أما) في صحيح مسلم، وعرضت فيه تأصيل (أما) وأثرها في النظم، ومدخولاتها في صحيح مسلم وآثارها البلاغية.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: مقامات أسلوب "أما" و"ألا" في صحيح مسلم دراسة موازنة، وأشرت فيه إلى مقامات استخدام "أما" و"ألا"، وأنواع المخاطبين بها في صحيح مسلم، وقارنت بينهما في صحيح مسلم، ثم جاءت الخاتمة مضمنة إياها نتائج البحث وخلاصته.

:Abstract

This study, entitled ‘The Structures of Ala and Amma in Ṣaḥīḥ Muslim between Context and Significance’, examines the contexts, dependents and rhetorical effects of Ala and Amma in Ṣaḥīḥ Muslim. It derives its importance from the fact that it addresses a topic that is related to the diction of the Prophet (PBUH), the most eloquent human being, and aims, in short, to compile and investigate the Ḥadīths (prophetic narrations) that contain the alert particles of Ala and Amma in Ṣaḥīḥ Muslim, categorise them by dependent, shed light on the importance of these particles, their expressive value in the Prophet’s diction and their performance of their task of arousing interest, preparing the audience and alerting them to the lofty meanings in his speech, and point out the patters of syntax and rhetorical characteristics of alert phrases. The study falls in three chapters preceded by an introduction and a preface and followed by a conclusion. The preface introduces Imam Muslim, addresses the scholarly position of his Ṣaḥīḥ and examines the term ‘context’ (maqam) in Arabic rhetoric in terms of its etymology and importance in the study of rhetoric. The first chapter is entitled ‘Ala in Ṣaḥīḥ Muslim’. It establishes the origin of Ala and presents its impact on diction, dependents in Ṣaḥīḥ Muslim and rhetorical effects. The second chapter is entitled ‘Amma in Ṣaḥīḥ Muslim’. It establishes the origin of Amma and presents its impact on diction, dependents in Ṣaḥīḥ Muslim and rhetorical effects. The third chapter is entitled ‘The Contexts of Amma and Ala in Ṣaḥīḥ Muslim: A Comparative Study’. It points out the contexts of using Amma and Ala and the types of the audience to whom they are addressed in Ṣaḥīḥ Muslim, drawing a comparison between them. The conclusion sets .forth the findings and conclusions of the study